الثقافة الجديدة

- الدكتور صلاح خالص
- العقيد فاضل المهداوي
- العقيد وصفي طاهر
- الرئيس الاول الركن سليم الفخري
- عامر عبدالله
- حسين مروه
- الدكتور محمود الداود
- الدكتور عبدالجليل الطاهر
- شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم
- غانم الدباغ
- محمد حسين فرج الله
- حسن النجفي
- يوسف الصائغ
- موسى النقدي
- عدنان الحافظ
- نزار عباس

٧

مجلة شهرية ثقافية عامة

شباط ١٩٥٩

المحتويات

صحيفة

١ ـ معركتنا الفكرية . . . . . الدكتور صلاح خالص ١

٢ ـ الحرية الفكرية . . فاضل الهداوي ، وصفي طاهر ، سليم الفخري ٥

٣ ـ العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية على ضوء التفسير المادي للتاريخ
عامر عبدالله ١٠

٤ ـ الادب والثورة اللبنانية . . . . . حسين مروه ٢٨

٥ ـ الاصول الحديثة للاستعمار في الشرق الادنى . الدكتور محمود علي الداود ٤٢

٦ ـ بحث مقارن عن التعاونيات الزراعية . . الدكتور عبدالجليل الطاهر ٦١

٧ ـ من المادية الميكانيكية الى المادية الديالكتيكية . . محمد حسين فرج الله ٧٤

٨ ، القصة في الصين . . . . . وانغ ياو ٧٩
ترجمة : مرتضى الشيخ حسين

٩ ـ دروس من تأميم صناعة النفط في المكسيك . . . ف . سبيرين ٨٨

١٠ ـ نظرية الغشتالت في علم النفس . . . . . ا . ب . بافلوف ١٠٠
ترجمة : ناظم الطحان

١١ ـ الموارد البشرية . . . . . حسن النجفي ١٠٧

١٢ ـ العلاقات العربية الجيكوسلوفاكية . . الدكتور كارل بتراجيك ١١٣

١٣ ـ عمل في المدينة (قصة) . . . . . غانم الدباغ ١١٦

١٤ ـ تحية الوداع لموسكو العظيمة (شعر) . . . . . .
شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ١٣٠

١٥ ـ البراعم والاطفال (شعر) . . . . . يوسف الصائغ ١٣٣

١٦ ـ من اجل المقاومة الشعبية (شعر) . . . . . موسى النقدي ١٣٥

١٧ ـ البطاريات الشمسية . . . . . الدكتور بهار ١٣٧

١٨ ـ آراء ومناقشات . . . . . طالب كاظم الحسيني ١٤٢
كتب أقدمها للقارىء

١٩ ـ الحرب والشعوب : تحت أعواد المشانق . . . عدنان الحافظ ١٤٥

٢٠ ـ تطور الحركة الوطنية المصرية . . . . . انور امين المدامغة ١٤٨

٢١ ـ من الجوهر الى الوجود . . . . . نزار عباس ١٤٩

٢٢ ـ جولة في المجلات العربية والعالمية . . . . « الثقافة الجديدة » ١٥٣

٢٣ ـ وثائق ومذكرات ١٥٧

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

صاحب الامتياز
عبد الرحيم شريف الحاجي

رئيس التحرير
الدكتور صلاح عباس

العدد السابع * السنة السابعة * شباط ١٩٥٩

معركتنا الفكرية

ان انتصار ١٤ تموز الرائع ما هو الا صفحة من صفحات نضال مرير ، نضال طويل عنيف ، نضال عام شامل ضد استئثار الاقلية بمصالح الاكثرية ، ضد استغلال حفنة من الطامعين للجماهير الكادحة المرهقة ، وقد أخذ هذا النضال أشكالا مختلفة وأساليب متباينة منها السلبي المغرق في سلبيته ، ومنها الايجابي الحاد في ايجابيته ، منها المتخبطة الهوجاء ومنها الواعية المدركة المنظمة ، نضال مرير طويل عنيف في كل مكان ، في الشارع ، في المدرسة ، في المعمل ، في المزرعة ، في البيت وبين اعضاء الاسرة الواحدة ، بل انه لم يقتصر على هذه الميادين فانتقل الى نفس كل انسان فاصبحت ميدان صراع عنيف حاد بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين العدالة والظلم ، بين الجمال والقبح ، بين الحقيقة والاوهام ... ان هذا الصراع هو ما يمكن أن نطلق عليه المعركة الايديولوجية أو الفكرية . على أن ميدان هذه المعركة ونعني به نفس الانسان أو عقله ليس شيئا قائما بذاته ، منفصلا عن ميادين الحياة الاخرى ، بل هو جزء لا يتجزأ منها ،

بل ان المعركة نفسها هذه التي تجرى بين الخير والشر بين الحق والباطل بين العدالة والظلم ، بين القبح والجمال ، بين الحقيقة والاوهام ليست معركة قائمة بذاتها لا صلة لها بالمعارك الحامية الاخرى بل هي مظهر آخر من مظاهر الصراع الدامي بين الاقلية المستغلة والاكثرية الكادحة المرهقة ، مظهر آخر من مظاهر التطاحن المرير في الشارع والمعمل والحقل والاسرة ، بين ما يمكن ان نسميه قوى الخير والحق والعدالة والجمال والحقيقة من جهة ، وقوى الشر والباطل والظلم والقبح والتزوير من جهة أخرى · فالمعركة الايديولوجية أو الفكرية ليست ولا يمكن أن تكون مجرد نزاع بين الافكار المتضاربة ، مجرد اختلاف بين الآراء المتباينة ، مجرد تعارض في تقدير الامور وفهمها سببه العلم او الجهل ، بل انها انعكاس لصراع اجتماعي واقتصادي وسياسي قاس شديد ، وان كان انعكاسا معقدا في كثير من الاحيان · بل انه يتميز عن جميع هذه الاشكال من الصراع بانه أكثر عمقا وأطول أمدا وأشد قسوة وعنفا فقد يستطاع التطويح بالنظام السياسي في شهور أو أيام بل وفي ساعات كما حدث للنظام الملكي الفاسد في العراق وقد يمكن تبديل الاوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية بوضع الشرائع وسن القوانين، ولكن الغوص الى اعماق النفوس والنفوذ الى ثنايا العقول أمر لا يتم بثورة ولا بسن شريعة أو وضع قانون ، بل يتطلب جهدا خارقا وعملا دائبا وأمدا ليس بالقصير · ولن يتم لثورة ما النجاح حتى تنتصر ايديولوجيتها أي مثلها العليا ومقاييسها الفكرية والخلقية وتنفذ الى النفوس ، الى العقول والقلوب فتعيد تكوينها وخلقها وتشذب ما علق بها من أدران ولن نقول لثورة ما انها انتصرت ان لم تردف انتصارها السياسي بانتصار فكرى وثقافي عميق ، ان لم تسيطر على العقول والمشاعر كما سيطرت على كراسي الحكم · ولن يبلغ بي الاعتداد بقيمة الفكر أن أقول أن أية ثورة لن يكتب لها النجاح السياسي ان لم تنتصر فكريا انتصارا تاما ، ولكني استطيع القول باطمئنان أن أية ثورة لا يمكن أن تستمر وتدوم ان لم تسعف انتصارها السياسي بانتصار فكرى وان لم تستند في سيطرتها السياسية على سيطرة ايديولوجية فكرية متينة لا تفرض بالسيف والمدفع وانما بالقلم والكتاب بالحجة الدامغة والاقناع السليم ·

ولكن كما انه لن يكتب لثورة النصر السياسي الثابت والظفر

الدائم ان لم تعتمد على الشعب وان لم تكن استجابة لحاجاته وتطمينا لرغباته ، فان أية ثورة فكرية لن تنتصر ان لم تهدف الى خدمة الشعب ٠٠ خدمة الاكثرية الساحقة من ابنائه ، ان لم تكن تجسيدا لآماله وأمانيه وتعبيرا عن قيمه الخلقية ومثله العليا ٠

وقد انتصرت ثورة ١٤ تموز الجبارة سياسيا فأطاحت بالنظام الملكي الفاسد وانتزعت السلطة من أيدى عملاء الاستعمار والاقطاع وقبضت على زمام الحكم معبرة عن ارادة الشعب ، ثم عكفت على التركيب الاجتماعي فحطمت الاقطاع وازالت نفوذه الاجتماعي وفسحت المجال امام الجماهير لكي تنظم نفسها وترص صفوفها دفاعا عن مصالحها وعن مصالح الشعب كله ، ثم حاولت أن تقيم علاقات الافراد مع بعضهم البعض على أساس جديد أي لا على أساس تمييز فرد على فرد أو طبقة على طبقة وانما تبذل جهدها لتهيئة فرص متقاربة ان ان لم أقل متكافئة أمام جميع أبناء الشعب ٠

ولكن هل استطاعت ثورة ١٤ تموز ان تنتصر فكريا كما انتصرت سياسيا ؟! هل استطاعت ان تنفذ الى النفوس وتطهر العقول والقلوب من أدران نظام فاسد شوه القيم الخلقية وانحط بالمزايا الانسانية وزيف الواقع وشوه الحقيقة وضلل الفكر ؟! ٠٠ هل استطاعت ثورة ١٤ تموز أن تخلق قلوبا نظيفة ونفوسا نقية وعقولا نيرة !! تؤمن بالحقيقة ، تؤمن بالعلم ، تؤمن بكرامة الانسان وبحقه في الحياة الحرة الكريمة السعيدة ؟!٠٠٠ هل نجحت ثورة ١٤ تموز في خلق قيم فكرية جديدة في نفوس المواطنين ، في خلق مثل عليا نبيلة تضع مصلحة الاكثرية الساحقة من أبناء الشعب فوق كل مصلحة ؟ هل نجحت في أن تربط بين متطلبات حياة الشعب اليومية وبين فلسفته في الحياة ، نظرته للاحداث وللواقع الذى يحيط به ؟ هل نجحت في ان ترسم له خطوط المستقبل المشرق التي تقود الشعب الى حيث السعادة والنور ؟!! ٠

اذا كانت ثورة ١٤ تموز قد انتصرت سياسيا فان معركتها الفكرية لا تزال قائمة على قدم وساق ، لا تزال قائمة بشدة وعنف ضد اعداء أقوياء مغرضين يمتلكون من وسائل الدعاية والنشر ما لا نملكه ويستخدمون من وسائل الكذب والتلفيق والتزييف ما نأنف نحن من استخدامه ولكننا سننتصر رغم ذلك كله ٠٠ سننتصر لاننا ندافع عن الحقيقة ، عن مصلحة الاكثرية الساحقة من ابناء هذا الشعب

العظيم ، ندافع عن العمال والفلاحين والمواطنين الشرفاء اعداء الاستغلال والانتهازية والاستعمار ·· سننتصر لاننا لا نلفق ولا نكذب ولا نزيف الحقائق ولا نخدع الشعب ولا نضلله بكلمات حق يراد بها باطل ··· نعم سننتصر ، ولكنه لن يكون انتصارا سهلا يسيرا ؛ انه يتطلب تضحية وجهدا واستبسالا ، يتطلب وحدة كفاح المفكرين الاحرار ورص صفوفهم وتنظيم جهودهم والسير قدما للاجهاز على عدوهم العنيد ، اننا لا نشك في ان جهودا قد بذلت ولكن جهودا أكبر يمكن أن تبذل أيضا ، ويمكن أن تحقق ما لم يتحقق حتى الان ···

فاليكم يا جنود الفكر ·· يا جنود الحقيقة ·· يا جنود المعرفة ، نوجه نداءنا من قلب المعركة للوقوف صفا واحدا تجاه اعداء الشعب ، اعداء الحقيقة والمعرفة ·· ندعوكم الى الاسهام في تحطيم هذا الهيكل الفكرى الهزيل وبناء كيان متين وقلعة منيعة للفكر الحر والحقيقة الناصعة لكي نعجل في قدوم يوم النصر ونسرع في جني ثماره ·

لنشدد عزيمتنا ونضاعف جهودنا في كسب المعركة الفكرية لنسند انتصار الشعب السياسي وندعم ثورته الجبارة ونؤكد الانجازات العظيمة التي حققتها حتى الان في جميع مجالات الحياة ولنضيء طريق المستقبل أمام الجماهير لتسير بعزم وتصميم دون هوادة أو كلل ··

صلاح خالص

لست دكتاتورا ، ومن الخير ان نعطي الشعب الرأي · ولست الا واحدا من هذا الشعب الذي يقرر بنفسه نوع الحكم الذى يريده ، ومن الشعب نستمد السياسة التي سنتبعها ·

* *

ان الشعب ، بعد فترة الانتقال ، سيعطي القرار على نوع الحكم الذى يرتايه · ذلك لان الشعب مصدر السلطات ، فكل قرار من هذا النوع يجب ان ينبثق عن ارادته ·

الزعيم عبد الكريم قاسم

الحرية الفكرية

توجهت « الثقافة الجديدة » الى عدد من المثقفين تسالهم الاجابة عن هذه الاسئلة :

١ ـ ما رأيكم في حرية الفكر والتعبير والنشر عموما ؟

٢ ـ ما رأيكم في دور الحرية الفكرية في الخلق الفني ؟

٣ ـ هل تعتقدون أن الحرية الفكرية هي شرط اساسي في صيانة الكيان الجمهوري الفتي ؟ وهل للاعداء امكانية استغلالها ؟

* * * *

جواب العقيد فاضل المهداوى

أنني من أشد دعاة حرية الفكر ، الحرية المطلقة التي لا حدود لها ولا التزام ، لأنني اؤمن بان الحرية الفكرية لا يمكن ان ينتج عنها الا كل خير وصلاح · والحرية بحد ذاتها شيء مقدس جميل · فالحرية انشودة الانسان الخالدة منذ الازل ولا يمكن لأي فرد أو مجتمع أو شعب او أمة او وطن أن لا يطالب بحريته او لا يشتاق الى ان تكون الحرية عامة شاملة للبشرية جمعاء ، خاصة وان المثقفين الاحرار الشرفاء لم يتثقفوا ولم يتحرروا الا بعد ان فكروا في هذه الحرية وعرفوا معناها ومغزاها ، فلو لم يفعلوا ذلك لما تثقفوا ولما سموا بمثقفين بكل ما في الثقافة من معنى · لذلك اكرر واجزم بانني ادعو الى الحرية الفكرية المطلقة للرجل وللمرأة ولكل انسان ·

للحرية الفكرية دور مهم في الخلق الفني وهذا السؤال له علاقة بالسؤال الاول اعلاه · وكما بينت لو لم يكن المثقف حرا لما كان له ابداع او دعوة الى حرية الفكر · ففي الحرية يتحقق كل شيء ولا يمكن ان تصل هذه الحرية الا الى الخير كما بينت ايضا · وعلاقة الحرية بالفن علاقة قوية متينة مباشرة ، فلا يمكن للفن ، مهما كان ، ان ينمو او يزدهر الا بهذه الحرية الفكرية ، فهي التي تخلق الفن وتبدعه فيكون فنا حقيقيا صحيحا خالدا رائعا ، والا لم يكن هذا الفن كذلك

اذا كانت حرية الفنان مقيدة او ملزمة او لها طابع التقليد والمحاكاة · لذلك اعتبر الفنان الحقيقي هو الخلاق المبدع ، سواء كان فنه أدبا أم موسيقى أو تمثيلا أو نحتا أو رسما او خطابة ، فكلما كانت الفنون الجميلة نتيجة للحرية الفكرية الخلاقة ، كانت أكثر قابلية للبقـــاء والخلود ، كما نشاهد في آثار الفنانين الخالدة ·

انني كما بينت في الجوابين السابقين اؤمن ايمانا مطلقا بالحرية الفكرية وان هذه الحرية **الحقة** هي التي تدعم كياننا الجمهوري الفتي القوي ، لأنني كما بينت ايضا اعتقد بان الحرية الفكرية لا تســـير نحو الشر بل تتجه دوما نحو الخير بالرغم مما يرافقهـــا من ذبذبات الشر التي لا بد وانها ستتصهر في بودقة الحرية الفكرية **الحقة** فتتلاشى وتزول هذه الذبذبات وتصبح اثرا بعد عين ، فتسود الجمهورية حرية ديمقراطية شعبية صحيحة لا شائبة فيها ولا خلل مطلقـــا · لذلك ان زعيمنا **الاوحد** عبدالكريم قاسم عنـــدما يصرح ويخطب مكـــررا بان السيادة للشعب وانه من الشعب والى الشعب يعني انـــــه يدعو الى الحرية الحقيقية ، لكي تسود الجمهورية العراقيـــة الفتيـــة في أول عمرها الابدي السعيد بفضل الحرية الشعبية التي لا يمكن لشعب ان يتقدم او ينهض او يتحرر بدونها · واما الشق الثاني من السؤال فأنني أقول مرة أخرى انه اذا رافقت هذه الحرية ذبذبات فلا بد أنها ستتصهر وتزول واعني بها ذبذبات اعداء النظام الجمهوري الذين لا بد ان يظهروا في كل ثورة وخاصة في ثورتنا الشعبية الخالدة ثورة ١٤ تموز المباركة التي قضت قضاء مبرما على الاستعمـــار وعملائـــه المجرمين وعلى الملكية الفاسدة واذنابها الخونة وعلى الرجعية البالية والاقطاع الممقوت · ولكن هناك ملحوظة في مفهوم الحرية المطلقـــة ، حرية الفكر او حرية العمل ، فانه يجب ان نوضح أننـــا حين ندعو او نعتقد بان الحرية الفكرية يجب ان تكون مطلقة وسائدة ليس معنـــاه أننا نسمح او نفسح المجال لاعداء هذه الحرية الفكرية المطلقة ·· لا ، بل يجب ان نقضي على هؤلاء بالحرية الحقيقية نفسها بحيث نجعل هذه الحرية مصونة محترمة ، لها قواعد وضوابط لا تشوه مفاهيم الحريات العامة الديمقراطية الحقة ، فان من الحرية الفكرية المطلقة ما يكون أداة تخريب وعوامل افساد ووسيلة للخيانة لهذه الجمهورية الحبيبة التي هي **ثمرة مقدسة** من ثمار الكفاح الشعبي المرير والنضال الانساني الشريف ·

جواب العقيد وصفي طاهر

الحريات بصورة عامة ضرورة كضرورة الماء والهواء ، فاذا تمكن الانسان ان يحيا دون الماء والهواء ففي تلك الحالة يمكن الاستغناء عن الحريات وهذا شيء مستحيل · فالحرية الفكرية هي الاتجاه الصحيح لسلامة الشعوب وامنها ، لانه بدونها تنفرد فئة قليلة بالتصرف بامور الناس كيفما تشاء ، وهنا يكمن الخطر ، وتلعب الدكتاتورية الفردية دورها الخطير في التصرف بشؤون الشعب ودفعه للاتجاهات الخطرة التي تؤدي الى دماره ·

لا يسمو الفن دون الحرية الفكرية ، فالفن بجميع اشكاله لا يمكن ان يعبر تعبيرا صادقا عن واقع الحال وما يمكن ان تسمو به الحياة دون الحرية الفكرية التي تكون العنصر الاساسي الخلاق لبناء مستقبل افضل ·

ان الحرية الفكرية شرط اساسي وضروري جدا لصيانة كيان الجمهورية الفتية ، وهي في بدء مراحلها الانشائية · لان بقايا الرجعية والاستعمار واذنابهم يستغلون كل شيء في سبيل عرقلة سير ونمو كيان الجمهورية لان ذلك يتعارض ومصالحهم الخاصة ·· ولا يمكن السماح لاعداء الجمهورية بأن يتمتعوا بالحرية الفكرية ، لانهم سيستغلونها كما استغلت لاغراضهم الخاصة ولمصالح الاستعمار الذي كان يدعمهم ويدعم مصالحهم · فالسماح لهؤلاء بالحرية الفكرية لا يمكن اعتبارها كمعارضة شريفة ، فالمعارضة تختلف معنا بالاسلوب لا بالاهداف ، وكثيرا ما يتستر أذناب الاستعمار ودعاة القومية المزيفة والرجعية وراء اهداف الجمهورية كما يدعون ، ولكنهم يبغون شيئا آخر من وراء ذلك كما ثبت عمليا · فان الذين يلتفون حول من يسمون انفسهم دعاة القومية العربية ليسوا الا بقايا اذناب نوري السعيد وعبدالآله وغيرهم فهل يمكن ان نسمح لمثل هؤلاء بالحرية الفكرية ليبثوا سمومهم وهم مزودون بالمبالغ والاسلحة الكثيرة التي تأتيهم من جهات معلومة لدى الشعب ؟ قطعا كلا ·

جواب الرئيس الاول الركن سليم الفخرى

حرية الفكر هي احدى الحريات الاساسية المكونة للمجتمع

الديمقراطي الصحيح وبدونها لا يمكن الحد من طغيان الافـــراد والجماعات المستغلة كما انها خير ضمان لتطور المجتمع نحو حياة متقدمة فاضلة · ان الحرية الفكرية ضرورية لكل اشكال التطـور والخلق والابداع ، فهي ضرورية للتطور السياسي والاقتصادي والعلمي ولنمو الحياة بصورة عامة · والفن باعتباره وجها من اوجه الفعاليـة الانسانية يتأثر بتوفر الحرية الفكرية تأثرا كليا · لقد كان انعـدام الحرية الفكرية في العراق سببا من اسباب التخلف العام في هذا البلد في جميع مجالات الحياة ، وقاسى الفن من طغيان العهد البائد الامرين ، فقد كان الفن ، المعبر عن مشاعر الشعب وواقعه وحاجاته ، مضطهدا بل انه جمد من قبل سلطات العهد البائد تجميدا يكاد يكون تاما · ولكن روح الشعب القوية المتوثبة كانت تنعكس دائما على الفنانـين الاحرار ، فاستطاعوا ، رغم كل ما لاقوه وقاسوه ، ان يحفظوا روح الفن الواقعي المعبر عن مشاعر الشعب الحقيقية · وهكذا فان الفـن العراقي استطاع ان يقفز قفزات واسعة الى الامام حالما انبثقت الثورة · واني لأستطيع القول ان الفن في العراق يسير في طليعة القوة الفنية في البلاد العربية من حيث تأديته دورا قياديا توجيهيا في المعركة القائمة ضد الاستعمار والرجعيـــة ·

اعود الى موضوع الحرية فاقول : ان الفن يجب ان يتحرر ليس من حيث حرية الفكر فقط ، وانما اعني احدى الحـريات المهمـــة بالنسبة الى الفن هي التحرر من الحاجة · ان الفن في بلادنا فقـير ماديا ومن واجب الحكومات الوطنية ان تنعشه بالمعنويات المالية لكي يستطيع الوقوف على قدميه والسير قدما في اداء الرسالة الخطيرة ، في المساهمة بقيادة شعبنا ومجتمعنا نحو حياة افضل ·

ان الحرية الفكرية شرط اساسي لصيانة الكيان الجمهوري ، لانها الوسيلة العملية الوحيدة لتوسيع مفاهيم الثورة واهدافها بين جماهيرنا الواسعة ، ولقيادة كفاح شعبنا وتوجيهه توجيها كفاحيـا لصيانة مكاسب الجمهورية وتوسيع هذه المكاسب ولادامة تطـــور الشعب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ·

ان الانتقاص والحد من الحرية الفكرية يعني : عـــدم الثقـة بالقوى الشعبية ، وانعدام الثقة بقوى الشـــعب يعني : الدخول في حلقة مفرغة من سوء الظن وانعدام التفاهم بين الشعب والقوة المحددة

لحريته · والتاريخ حافل بالامثلة للمصير الذي آلت اليه الثـورات والحكومات التي تنعدم فيها الثقة بين الشعب والحكومة · ان الحرية تعطى للمؤمنين بالحرية ، اما اعداء الحرية الذين يريدون الحـــرية للقضاء على الحرية فليس من الصواب مطلقا اعطاؤهم الحرية ، ونحن نعلم جيدا من هم اعـداء الحـــرية في بلادنا · ان مواقفهم والاعيبهم واضحة وضوح الشمس ، فهم يتسترون كل يوم بستار ، ويرتدون كل يوم رداء جديدا ، ولكنهم لا يعدون الحقيقة البسيطة : فهم اعداء الحرية واعداء الوطن ، واعطـاؤهم الحـــرية لا يمكن ان يخـــدم الوطـــن مطلقـا ·

ان الدولة الشعبية تحمي الشعب ، وفي مثل هذه الدولة فقط ، يستطيع أبنـــاء الشعب من تثقيف نفوسهم ، واعادة سبكها بالطرق الديمقراطية في النطاق الوطني العام ·

« ماوتسي تونغ »

* * * *

لا توجد افكار فطرية في العقـــل البشري ، والتجربة هي التي تحدد الافكار التاملية ، والمصلحة الاجتماعية هي التي تحـدد الافكار « العملية » ·

« بليخانوف »

* * * *

نريد لكل شعوب العالم ان تتمكن من الانتفاع في ظل السـلام بالوسائل المتزايدة كل يوم قوة والتي تتوفر للجميع في استخـــدام قوى الطبيعة ·

« جوليو كوري »

العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية

على ضوء التفسير المادي للتاريخ

عادل عبد الله

ينشأ العلم ويتطور بدافع الحاجة الى تيسير العيش وتحسين وسائل الانتاج · ولذلك فهو يجاري في تطوره وعلى وجه العموم التطورات الحاصلة في قوى الانتاج ·

والعلم بوجه عام يتطور على نحو لولبي متظافر ومتسع الحلقات · وهو لذلك يعتبر ارث البشرية كلها ، والحصيل الكلي لنشاط مختلف الامم على مر التاريخ · فكل جيل يدخل التاريخ ، يجد محصولا من المعرفة خلفه الاسلاف ·· فيروح يعالجه ويستند اليه في تطوير معارفه وتوسيع كشوفاته · ومما يساعد رجل العلم في مهمته ، وجوده في مجتمع متطور يهيء له وسائل البحث والتقصي ، كما يساعد على ذلك مدى التواصل بين الشعوب في حقل التعاون العلمي والثقافي · وهكذا فأن اتهام بعض الشعوب (والشعوب الخاضعة للاستعمار خاصة) بالقصور العقلي ، او بالكسل والغباوة ، ان هو الا اتهام باطل يستر وراءه غرضا استغلاليا بينا · ان ايديولوجي البورجوازية والاستعمار يدأبون على ابتكار النظريات العنصرية القائلة بوجود عروق « ممتازة موهوبة » ! وعروق « متخلفة بليدة » ! ، وذلك في مسعى خبيث لاسناد نظام الاستعمار على الصعيد الايديولوجي ·

كلنا يعرف ان الشعوب التي تتحرر من العبودية والاستغلال والجهل والتأخر ، وتأخذ بأسباب التطور والتكنيك الراقي في الانتاج ، سرعان ما تكشف عن امكانيات واضحة في ميادين العلم والثقافة والاختراع · كما ان طلبة البلدان المتخلفة الذين يؤمون جامعات الغرب لا يلبثون ان يضاهوا أقرانهم من الطلبة الغربيين في امتلاك ناصية العلم والمعرفة عندما يوجدون معهم في ظروف متماثلة · وفي هذا ما يكفي لدحض النظريات العنصرية المغرضة ·

ورغم ذلك يزعم البعض ان لكل امة سجية أو (طبعا) ، وهذه السجية او الطبع ، عنوان حضارتها وعلة تقدمها العلمي ! وهذا الزعم مردود · فبالامس القريب لم يكن التطور الحضاري والتقدم العلمي في الصين او غيرها من الديمقراطيات الجديدة على ما هو عليه الآن · فما الذي حصل ؟! اتغير طبع هذه الشعوب بين عشية وضحاها ؟ كلا · وانما الذي تغير وغير هو ظروفها المادية ، هو تطور انتاجها الذي يأخذ بأرقى اشكال التكنيك ·· هو انظمتها التي تفجر الطاقات الخلاقة وتحرر العقل وتتيح فرصا عظيمة للاختراع والعلم وتطور المعرفة ·

ليس من قبيل الصدف ان يتوصل العلماء في بلدان عديدة متطورة الى كشف اسرار الطاقة الذرية مثلا · وعندما توصل العلماء الامريكيون الى هذا الاكتشاف ، لم نكن نشك ابدا ، ان الاتحاد السوفيتي سيتوصل عاجلا الى كشف مماثل · بل لم نكن نشك بأن العلماء السوفييت سيبزون اقرانهم الامريكان ليس في هذا الحقل فقط ، وانما في حقول العلم والمعرفة الاخرى · ذلك انه بالرغم من التوازي النسبي في رقي الانتاج وتطور العلوم في البلدين ـ فان النظام الاشتراكي يفسح مجالات اكبر وارحب لتطور العلوم والاختراعات · وعلى نفس الاساس من التحليل كنا نتوقع ان تستطيع الولايات المتحدة اطلاق قمرها الصناعي بعد ان افلح الاتحاد السوفيتي في اطلاق قمره الاول ، وان كنا ـ للاسباب ذاتها ـ نعتقد جازمين ان العلماء الامريكان لن يستطيعوا اللحاق بأقرانهم العلماء السوفييت في هذا الميدان او سواه من ميادين العلوم والاختراعات · وهذا الاعتقاد غير ناشيء عن تحيز ، وانما هو مستند الى حقيقة موضوعية · فثمة فرق اساسي بين نظام يتجه لتطوير وسائل الانتاج والاخذ بأرقى اشكال التكنيك لغرض تلبية الحد الاقصى من حاجات الناس المتنامية باستمرار ، ويضع العلم في متناول الملايين ـ مهيئا لهم كل اسباب البحث والمعرفة والاختراع ـ وبين نظام يتجه لتسخير وسائل الانتاج والتكنيك والعلم لغرض تكديس الارباح وحصر ذلك كله في نطاق هذا الهدف ـ وان ادى الامر الى عرقلة تطور وسائل الانتاج والتكنيك وتحديد المعرفة واضطهاد العلم ·

فالعلم لا يخضع لحكم الصدفة ـ كما هو واضح من المقدمات السالفة · وهذا هو السر فيما نلاحظه أحيانا في توصل العلماء في بلدان مختلفة ـ ولكنها متقاربة ـ من حيث مستوى تطورها ورقيها ـ الى كشوفات متماثلة دون سابق اتصال او اتفاق · ومن هنا ايضا نستطيع

ان نفسر السر في عجز البلدان المتخلفة ، ولا سيما تلك البلـدان التي تعتمد في الاساس على الزراعة وتسود فيها الامية والجهـل ، عـن التوصل الى كشوفات مماثلة · والسر هنا ليس كائنا في « طبع » القوم او « سجيتهم » او عدم « اصالة عنصرهم » ·· ! او تخلفهم العقلي · ان ابناء المستعمرات والبلدان التي تحررت حديثا او لا تزال سائرة في طريق التحرر ، سيستطيعون دون شك ان يضاهوا اقرانهـم في البلدان المتطورة ، في الاختراعات والعلوم وفي اغناء الثقافة الانسانية ، عندما يملكون مصائرهم بأيديهم ويأخذون بالانظمة الراقية وباسباب البحث والمعرفة والاستقصاء ·

ان النظرية العلمية ذاتها ، لم تظهر ولم تتطور صدفة · وليس من قبيل العجب ان تظهر الاشتراكية العلمية في اواسط القرن التاسع عشر وان تكون المانية وطنها الاول · وان تظهر اللينينية في القرن العشرين وتكون روسيا وطنها الاول · ان ظهور رواد النظرية لم يكن مصادفة حسنة من مصادفات القدر · اذ لو لم يظهر هؤلاء العباقـرة بالذات ، لظهر غيرهم من ابناء الانسانية ، في مثل ايامهم وفي مثـل اوطانهم · ان الظروف المادية للظاهرة عندما تنضج ، لا بد ان تظهر وتعرب عن نفسها جهرة · وعلى هذا النحو نستطيع ان نعلل ظهـور النظريات والاكتشافات ، كما نستطيـع ان نعلل ظهـور المخترعين والعلماء والرواد والرسل ·

لنأخذ نظرية (فائض القيمة) مثلا · لقـد كاد الاقتصـادي الانجليزي البارع (ريكاردو) ان يتوصل اليها· لقد كان أول اقتصادى استطاع ان يوضح الصلة بين كمية العمل المبذول وبين القيمة ؛ اذ قال : (ان علاقات مبادلة البضائع يمكن ان تحدد بالنتيجة بمقـدار العمل المبذول في انتاج هذه البضائع) · ويستطيع كل ملم بنظريـة فائض القيمة ان يدرك من هذه الصيغة ، الى أي حد قد دنا ريكاردو من بلوغ الهدف ·

لنأخذ المفهوم المادي لتفسير التاريخ مثلا آخر · من المعلوم ان أول محاولة قوية مركزة متقنة عن تفسير التاريخ على ضـوء صراع الطبقات ، قد انجزت عام ١٨٤٨ (البيان الشيوعي) · لكننا لو تحرينا المحاولات الاخرى التي بذلت في السنوات التي سبقت هذا التاريخ ، لوجدنا ان (جيزو)* ـ برغم اضطراب افكاره وتناقضهـا ـ يكاد

يبدي محاولة ناجحة في هذا المضمار . ففي كتابه المسمى (سيرة الشعراء الفرنسيين في القرن السابع عشر) المطبوع في باريس عام ١٨١٣ ، يرى جيزو : ان الادب الاغريقي يعكس تاريخيا السير التأريخي لتطور الفكر الانساني (الرأي المثالي) ؛ في حين ان المسألة في الوقت الحاضر هي اكثر تعقيدا بما لا يقاس ، حيث ينبغي اخذ مجموعة من العوامل الثانوية بنظر الاعتبار (هو هنا لا يزال بمحاذاة الرأي المثالي ولكنه ينأى عنه قليلا) .. واذ يأخذ جيزو بمعالجة الادب الفرنسي ومحاولة كشف عوامله يرى : ان لها جميعا جذورا في العلائق الاجتماعية السائدة في فرنسا آنذاك ، والتي تحت تأثيرها تتشكل العادات والاذواق لمختلف الطبقات والفئات في فرنسا (هو هنا يقترب بقوة ولكن ليس بدرجة كافية من الوضوح ، من الرأى المادي) . وفي مقاله المعنون (مقالة عن شكسبير) يعتبر جيزو المأساة الفرنسية انعكاسا لسيكولوجية طبقية ؛ كما يرى ان مستقبل الدراما يرتبط بتطور العلائق الاجتماعية . وفي مقاله المعنون (بحث في الادب الفرنسي) يرى : ان الكيان السياسي لبلد ما انما يحدده « ظرفه المدني » ، وذلك في جميع الاحداث التي وقعت في الامم الحديثة . ثم يعود فيؤكد ان الظرف المدني مرتبط هو الآخر بملكية الارض ، بأعتبارها سببا لنتيجة .

كل ذلك يؤكد الى اية درجة كان جيزو قد دنا من المفهوم المادي لتفسير التأريخ .

لنأخذ ايضا الناقدة الفرنسية الشهيرة (مدام ستال) . فهي برغم نظرتها المثالية الخاطئة عن تطور الادب الاغريقي ، وعزوها خفة الروح والظرف الفرنسيين الى الطبع القومي للامة الفرنسية (وجهة النظر المثالية) ، الا انها تكشف عن محاولات ناجحة في هذا المضمار . فهي تتساءل : ولكن ما هو الطبع القومي ؟ اليس هو حصيلة النظم والظروف التي أثرت في رفاهية الناس وأذواقهم وعاداتهم ؟! ثم تخرج بنتيجة باهرة فترى : ان الطبع القومي انما يقرره التطور

(*) جيزو (١٧٨٧ ـ ١٨٧٤) سياسي ومؤرخ فرنسي . وقد شغل منصب وزير الخارجية في عهد لويس فيليب ، وصار رئيسا للوزارة عام ١٨٤٧ ، ثم اضطرته ثورة ١٨٤٨ الى اللجوء الى انكلترة حيث هجر السياسة وتفرغ للنقد الادبي وكتابة التاريخ . ويعتبر كتابه « تاريخ الثورة الانكليزية » اول محاولة من نوعها لتفسير التاريخ الحديث على ضوء صراع الطبقات .

التاريخي للامة ـ وهو بهذا المعنى لا يمكن ان يكون سببا رئيسيا في التطور · ويترتب على ذلك ، ان الادب ، وهو انعكاس عن الطبيعة الروحية للامة ـ ليس الا نتاج ظروف تاريخية ، تسببت هي (اي هذه الظروف) في خلق هذه الطبيعة (أي الطبيعة الروحية للامة) · وتنتهي من ذلك الى ان تفسير الطابع الغالب على الادب الفرنسي في القرن السابع عشر ، ينبغي تلمسه في العلائق الاجتماعية والسياسية السائدة في ذلك العهد ، وبواسطة سيكولوجية طبقة النبلاء الفرنسية مدروسة من خلال علائقها مع سلطة البلاط · فطابع الخفة والظرف في الطبع الفرنسي ، ليست اذن ، الا حصيلا ضروريا للعلائق الناشئة عن النظم والعادات الملكية التي سادت فرنسا عدة قرون ·

ولنأخذ الناقد الفرنسي (تين) · انه يذهب نفس المذهب تقريبا اذ يرى ان كل تبدل في ظروف الانسان يؤدي الى تبدل في سيكولوجيته · لكنه يجاري مدام ستال في نظرتها المثالية حول تطور الفكر الانساني · فهو يرى ان ظروف الانسان هي التي تقرر سيكولوجيته ؛ لكن الذي يقرر هذه الظروف ، في نظره ، هي الطبيعة الانسانية الناشئة عن العرق (الرأي المثالي) ! فهو مثلا يفسر سبق عصر النهضة في ايطالية وزوال الاقطاع فيها قبل سواها بـ « النبوغ المبكر للعرق الايطالي وتخلصه نوعا ما من العرق الجرماني » ! وقد شهد (تين) مرة منظرا (لبوسان) في ايطالية على شكل فيلا شديدة الاناقة والتناظر ، فرد ذلك الى طبع العرق الايطالي الذي تستهويه مثل هذه المناظر ، بينما تستهوى العرق الجرماني الطبيعة الخلاء !! لكن (تين) قال في معرض آخر وقد شهد مناظر اخرى لبوسان : من أجل ان يتذوق المرء هذه المناظر ، ينبغي ان يعيش المآسي الكلاسيكية والشعر الكلاسيكي ، وأبهة الاتيكيت ، وفخفخة الارستقراطية والبلاط · يكاد يقول هنا ، ان مشاعر وأذواق المعاصرين لا تشبه مشاعر واذواق اسلافهم الذين كانت تستهويهم مثل هذه المناظر ، رغم ان اناس عصر « الملك الشمس »* ليسوا من عرق آخر غير العرق الفرنسي الذي يعيش في القرن التاسع عشر · ان (تين) ليدنو من اصابة الهدف اكثر وهو يقول : ان اي تبدل في عقلية الناس هو نتيجة لتبدل في ظروفهم ، وان الظرف الحالي هو غيره في القرن السابع عشر ؛ ولذلك فان مشاعر اناس هذا العصر تختلف عن مشاعر اولئك الذين

(*) اي لويس الرابع عشر ·

عاشوا في ايام (بوالو) و (راسين) . لكن (تين) لم يستطع ان يدرك السر في تبدل هذه الظروف ، اي لم يستطع ان يدرك لماذا افسح النظام القديم مكانه للنظام البورجوازي الجديد ، ولماذا اصبح نظام تبادل السلع هو الذي يحكم في بلد كان ملكه يقول : « انا الدولة والدولة انا »** . ان هذا الازدواج المتناقض في رأي (تين) ، الذي يرى ان عقلية الانسان انما تقررها ظروفه ثم يعود فيرى ان هذه العقلية هي السبب الرئيسي في خلق هذه الظروف ـ هذا الازدواج ناشيء عن الاوضاع التاريخية التي كانت هي بدورها محكومة بهذا الازدواج ، والتي سارت فيها النظرات المادية والمثالية جنبا الى جنب .

ورغم ذلك ، يلاحظ بوضوح ، ان ما توصل اليه (تين) من تعليلات مادية هي أكثر من أن تبخس .

هكذا نتبين ان النظرية العلمية قد جاءت حصيلا طبيعيا للتطور العلمي .. وللظروف الاجتماعية القائمة آنذاك . لقد كانت النظرية العلمية تجسيدا علميا شاملا ودقيقا لما هو موضوعي وعلمي ومعقول من عناصر نظرية القيمة (للاقتصاديين الانجليز) ولدايلكتيك التطور والتبدل الذي قام عليه منهاج (هيكل) الفلسفي ولمادية (فويرباخ) وسواه من الفلاسفة الماديين والاشتراكيين (الفرنسيين) .

على نفس النمط نستطيع ان نعمم استنتاجاتنا على العلوم الاجتماعية الاخرى ، وان نفسر تفسيرا صائبا جملة من الظاهرات التاريخية .

ان الدعوة الاسلامية مثلا ـ برغم طابعها التقدمي ابان ظهورها ـ قد جاءت مقررة للرق ولم تتجه الى القطع بتحريمه . كما انها جاءت مقررة للملكية الخاصة ، ولامتيازات الرجل على المرأة ، ولطائفة أخرى من الامتيازات الطبيعية ـ رغم ان نباهة الرسول وعبقريته وانسانيته ليست موضع جدل . ولم يستطع الخليفة النابه عمر بن الخطاب ان يحقق افكاره المثالية ، كما تملكت الامام علي الخيبة والمرارة عندما اصطدمت مطامحه الانسانية بواقع الحياة . وبالمثل اخفق ابي ذر الغفاري في نشر رسالته في المساواة ، كما اخفق العديد من الحركات والثورات في العهد العباسي ؛ وباءت بالفشل مشاريع

(**) القول للويس الرابع عشر ايضا .

ومناهج وافكار تلك الطائفة المعروفة من الاشتراكيين الطوبائيين في اوربا ·

ان (روسو) ـ وهو من افذاذ ايديولوجي الثورة الفرنسيه ـ لم يستطع ان يتوصل في كتابه (العقد الاجتماعي) الى الجمهورية السوفيتية ـ كاعلى شكل من اشكال الديمقراطية ـ ولكن الذين توصلوا الى ذلك الشكل من الحكم بصورته الاولية هم عمال باريس في ثورتهم عام ١٨٧١ · واعلان حقوق الانسان الذي جسد اهداف الثورة الفرنسية ، لم يستطع ان يرفع هذه الحقوق الى مستويات الدساتير الاشتراكية الحديثة · وليس ثمة من يستطيع ان يجادل في عبقرية الاقتصاديين الكلاسيكيين الانجليز · فاذا لم يستطع هؤلاء الاقتصاديون النبهاء ان يتوصلوا الى ما توصل اليه رواد النظرية العلمية من كشوفات هائلة ، فليس السبب تصورا في عقلياتهم ، وانما هي ظروف الزمان والمكان ، كما هو واضح من سياق هذا البحث·

* * *

العلم ، بوجه عام ، ولا سيما **العلم الطبيعي** (الرياضيات ، البايولوجي ، الفلك ، الجغرافية ، الكيمياء ، الفيزياء ·· الخ) هو ذو طابع « موضوعي » ؛ بخلاف **العلم الاجتماعي** (التاريخ ، علم الاجتماع ، الاقتصاد السياسي ، علم الاخلاق ، فقه القانون ، تاريخ النظم ·· الخ) الذي يتخذ في العادة طابعا « متحيزا » ـ وخصوصا ابان احتدام الصراع الطبقي ·

غير ان جميع العلوم ـ ولا سيما العلوم الطبيعية ـ هي مكرسة في الاصل لخدمتنا نحن البشر ·· لتعريفنا بالحقيقة الموضوعية ·· لكشف القوانين التي تجرى بمعزل عن ارادتنا· كما ان العلوم الاجتماعية ـ رغم تحيزها ـ مكرهة هي الاخرى على مجاراة حركة تطور المعرفة وحركة التطور الانسانية العامة ؛ فهي نفسها تتطور من الجهل الى المعرفة ، من الحقائق غير الكاملة الى الحقائق الاكثر كمالا ، من الحقائق النسبية الى الحقائق المطلقة ·

واذن ، فثمة استمرارية تصاعدية في حقل المعرفة الوسيع ، وثمة تفاعل تطوري في جميع فروع العلم · ان كل جيل من العلماء يدخل التاريخ ، يركن ـ كما بينا ـ الى منجزات أسلافه في مضمار المعرفة ، ثم يروح يتعهد هذه المنجزات بالتطوير والخلق · وهذه العملية

.. عملية تطور المعرفة محكومة بقوانينها الموضوعية الخاصة . ومن هنا السر في هذا التوازي الملموس الذي نلحظه في تطور مختلف فروع العلم . ويكفي ان نستشهد على هذا التوازي في الكشفين الهائلين اللذين توصل اليهما كل من (ماركس) و (داروين) . ففي وقت واحد ، وفي عام واحد (عام ١٨٥٩) خرج هذان العملاقان على العالم بكشفيهما العظيمين : هذا في العلم الاجتماعي (المفهوم المادي للتاريخ)* وذاك في العلم الطبيعي (نظرية النشوء والارتقاء) . ان هذا يدلنا على ان ثمة جامعا مشتركا ... صفة مشتركة بين العلوم ، وانها ـ فضلا عن ارتباطها بحاجات الانتاج وظروف المجتمع ـ **تتطور ايضا وبصورة اساسية طبقا لقوانينها الداخلية الخاصة .**

ولكننا ونحن نعالج هذه الصفة المشتركة بين العلوم ، ينبغي ان نميز بين الجانب (الموضوعي) للعلوم وبين الجانب (الشخصي) ، بين **المحتوى العلمي والمنهج الشخصي** ـ أي ان نحدد قبل كل شيء موضوع الدراسة ووجهته وطابعه ، لانه على هذا التحديد يتوقف تشخيص الرابطة السببية بين العلم بوجه عام أو أحد فروعه من جهة وبين عملية الانتاج من الجهة الاخرى .

يقول (لنين) لو ان البديهيات الهندسية مثلا تؤثر على المصالح الطبقية لجاءت متعارضة . غير ان هذه البديهيات ، ومثلها كثير من قوانين الميكانيك ، والفيزياء والكيمياء وغيرها ، هي ذات طبيعة **لا تؤثر عموما وبصورة مباشرة على مصالح الطبقات** . ولذلك فهي تستطيع أن تخدم مختلف أساليب الانتاج والمصالح المتعارضة .

ولكن الامر ليس كذلك بالنسبة **للعلوم الاجتماعية** . فعندما يكون موضوع الدراسة هنا علائق الملكية ، ومشاكل العمل والاجور ، والقضايا التي تتعلق بالدولة والقانون .. الخ ، فانها **تؤثر مباشرة على المصالح الطبقية** . ولذلك فهي تجيء في العادة متعارضة الاتجاه وذات **طابع طبقي متحيز .**

واذن ، فينبغي التمييز مبدئيا بين العلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية ، في هذا الشأن . فالعلوم الاجتماعية ، هي في الواقع التعبير النظري عن مصالح هذه الطبقة او تلك ، هي الاعراب الواضح عن ايديولوجيتها السياسية . ولذلك نجد ان الاقتصاد السياسي

(*) راجع مقدمة كتاب ماركس « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » .

البورجوازي ، وعلم الاجتماع البورجوازي ، ونظريات الدولة والقانون تمثل بصدق الايديولوجية السياسية للبورجوازية · انها تنشأ وتنهض على **الاساس** الرأسمالي ، ولذلك فهي جزء لا يتجزأ من **البناء العلوي البورجوازي*** · وهي اذ تكون جزءا منه لا تستهدف - في الاصل - هدفا موضوعيا ، وانما بالعكس تتجاهل القوانين الموضوعية وتكيفها حسب مصالحها ·

لهذا نجد ماركس وانجلز - وهما رائدا ايديولوجية الطبقة العاملة - يوجهان نشاطا مدمرا لفضح ونقد الاقتصاد السياسي البورجوازي ، وعلم الاجتماع المثالي ، والنظريات السياسية والقانونية البورجوازية · وبمقابل ذلك أوجدا (اقتصادا سياسيا بروليتاريا) و (مادية دايلكتيكية وتاريخية) ·

ومن بين جميع العلوم الاجتماعية ، يعتبر الاقتصاد السياسي **علما متحيزا من البداية الى النهاية** · وهو في الواقع ، اصدق العلوم الاجتماعية التي تعبر عن مصالح الطبقات المتصارعة ·

فمن المعلوم مثلا ان الاقتصاديين الكلاسيكيين الانجليز - ريكاردو ، وآدم سميث ، وبنتام - الذين ظهروا في فجر المرحلة الرأسمالية ، قد عكسوا بشكل واضح المرحلة السائدة ، وكانوا يعبرون في كتاباتهم ونظرياتهم عن مصلحة الرأسمالية الصناعية آنذاك · ان الطابع الطبقي المتحيز في كتابات هؤلاء الاقتصاديين ونظرياتهم يمكن التعرف عليه بوضوح · ذلك انهم لم يكتفوا بجعل حقوق الملكية الفردية والحرية الفردية في الاقتصاد ، في المقام الاعلى ، وانما جاوزوا ذلك بتأكيدهم على ان لقوانين الاقتصاد البورجوازي ، في شؤون الاجتماع ، حكم « نواميس الطبيعة » ! وطبيعي ان تلك القوانين لم تكن الا تلك التي تضمن مصالح الطبقة المسيطرة على وسائل الانتاج ·

اوضح ماركس هذه المسألة بكلمات بليغة عندما قال : ان البحث الحر في ميدان الاقتصاد السياسي يجتذب الى الساحة ليس فقط نفس الاعداء الذين نواجههم في جميع ميادين العلوم الاجتماعية

(*) الاساس (Basis) هو المجموع الكلي لعلائق الانتاج في مرحلة تاريخية معينة ، والبناء العلوي (Superstructure) هو المؤسسات والاشكال السياسية والحقوقية ، واشكال الوعي الاجتماعي الاخرى التي تطالبه هذا الاساس - كالعلوم والاداب والجماليات والفلسفات والاخلاق وغيرها ·

الاخرى ؛ وانما يجتذب فوق ذلك أشد الاعداء شراسة وضراوة ويستنزف من الصدور اكثر المشاعر حطة واجدرها بالمقت · وما هذه المشاعر في حقيقة الامر الا انفاسا حاقدة مشحونة بحمى المصالح الخاصة · فالكنيسة الانكليزية مثلا مستعدة لان تغفر خرق ثمانيا وثلاثين شريعة من شرائعها التسع والثلاثين ، اكثر من ان تغفر التجاوز على جزء واحد من تسعة وثلاثين جزءا من مداخيلها · والالحاد نفسه يبدو اكثر جدارة بالصفح والغفران اذا ما قيس بالنقد الموجه لعلائق التملك القائمة ·

ويرى ماركس ايضا : ان الاقتصاد السياسي يمكن في عدد من المسائل ان يعتبر علميا ، وذلك فقط عندما يكون الكفاح الطبقي ضد البروليتارية كامنا ولا يعرب عن نفسه الا في حالات منعزلة · ولكن ما ان يدخل هذا الصراع مرحلته العملية والنظرية ويتخذ له اشكالا مهددة للبورجوازية حتى يقرع ناقوس الموت لعلمية الاقتصاد البورجوازي · وعندئذ لا تعود المسألة ما اذا كانت هذه النظرية او تلك صحيحة او مخطوءة ، بل ما اذا كانت ذات فائدة او ضرر لرأس المال ، ملائمة او غير ملائمة ، خطرة سياسيا ام غير خطرة · وبدل البحث النزيه المجرد من الغاية ، ينهض في هذا الميدان مصارعون مأجورون ؛ وبدل البحث العلمي الصادق الاصيل ينفسح المجال للوجدان المتعفن والتقريظ القائم على سوء القصد* ·

وكتب (لنين) في (المادية والنقد التجريبي) يقول : ان كلمة واحدة لاساتذة الاقتصاد السياسي البورجوازي لا يمكن ان تصدق ، وذلك عندما تنجر المسألة الى النظرية العامة للاقتصاد السياسي · لان الاقتصاد السياسي في المجتمع الحديث يعتبر على درجة من التحيز لا تقل عنها بالنسبة لنظرية المعرفة · وعلى وجه الاجمال ، لا يعود اساتذة الاقتصاد السياسي الا سماسرة مثقفين للطبقة الرأسمالية ، كما لا يعود اساتذة الفلسفة اكثر من سماسرة مثقفين ايضا لاساتذة الثيولوجيا ·

وفي رأي (لنين) ان ما ينطبق على الاقتصاد البورجوازي في هذا الشان ، ينطبق ايضا على علم التأريخ ، وفقه القانون ، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الاجتماعية الاخرى · يقول ايضا : لا يمكن ان يكون

(*) راجع مقدمتي الطبعتين الاولى والثانية لرأس المال ١٨٦٧ و ١٨٧٣ ·

هنالك علم اجتماعي « غير متحيز » في مجتمع قائم على الصراع الطبقي. فلئن كنت تتوقع من هذا العلم ان يكون غير متحيز في مجتمع قائم على عبودية العمل المأجور ، فمعنى ذلك انك على درجة من السذاجة والغفلة بحيث تتوقع عدم التحيز من جانب صاحب المصنع حول مسألة زيادة اجور العمال ، وذلك عن طريق انقاص ارباح رأس المال* .

حتى **الماركسية نفسها علم متحيز** . فهي ـ كما هو معروف ـ علم يعبر عن المصالح الحيوية للطبقة العاملة ويمثل ايديولوجيتها السياسية . كما انه قد ظهر الى الوجود كنقيض مباشر للرأسمالية وبنائها العلوي .

ولهذا السبب ووجهت الماركسية بأعنف مقاومة من جانب الرأسمالية ومفكريها . وقد شغلت هذه المقاومة كل الميدان الفسيح الواقع بين « المحراب والمختبر » ـ كما يقولون .

قال لينين في بحثه عن « تدهور الدولية الثانية » : ان جميع الطبقات الظالمة المستثمرة تحتاج لادامة سلطانها الى وظيفتين اجتماعيتين : وظيفة **جلاد** ، ووظيفة **قسيس** . اما الجلاد فهو الدولة التي تأخذ على عاتقها مهمة الاخضاع .. اخضاع الجماهير المستثمرة المضطهدة واخماد ثورتها . واما القسيس فهو مفكرو البورجوازية ـ بما فيهم اتباع الجناح اليميني من الاشتراكيين ـ الذين يتعهدون رسم وتقديم صورة خادعة مضللة للجماهير المضطهدة ، لتسميم وافساد أرواحهم .. لوضعهم في موضع المسالمة ازاء النظام البورجوازي القائم .. لتقويض عزمهم على الكفاح ضد الرأسمالية .. لصرفهم عن اعداد ثورة اشتراكية وبناء مجتمع خال من الاستغلال والظلم .

وصفوة القول ، ان العلوم الاجتماعية ، هي **وسائل في الكفاح الطبقي** ولذلك فهي لا يمكن ان تكون « محايدة » ، ما دامت تعبر عن مصالح الطبقة المسيطرة وتجسد ايديولوجيتها وافكارها السياسية والقانونية .

لكن الامر يختلف ، بطبيعة الحال ، بالنسبة **للعلوم الطبيعية** : فما دام العلم الطبيعي يعكس الطبيعة ويبحث في قواها المحكومة بقوانين وعمليات موضوعية ، فأنه بهذا المعنى يعتبر منبعثا من الحاجة الى انتاج الثروات المادية وتطوير تكنيك الانتاج ، وتسخير قوى الطبيعة

(*) راجع المختارات من اللينينية ص ٦٧ ـ ٧٣ ، الطبعة الانكليزية .

لنفع الانسان ، وليس لخدمة اساس اقتصادي معين أو طبقة معينة ·

ومن هنا نجد (انجلز) يتحدث في « ديلكتيك الطبيعـــة » عن مستلزمات الانتاج التي ادت بالضرورة الى ظهور وتطور علم الفـلك ، والرياضيات ، والميكانيك ، والملاحة · مشيرا الى ان نشوء وتطـور العلوم ، كان ـ منذ البداية ـ محكوما بحاجات الانتاج · وعندما كان يشير الى عهود الظلام التي اضطهد فيها العلم ، في القرون الوسطى، ذكر ان العلم عاد يزدهر ويتطور بقوة متجددة ؛ وكان الدافع الى ذلك كله هو **حاجات الانتاج** · فعلم توازن السوائل « لتوريشللي » مثلا ، قد نشأ من الحاجة الى تنظيم مجاري الميـــاه في منطقة (لومبارديا) · واقامة المشاريع المائية · أما التقدم الجوهري في علم الكهرباء ، فقد جاء هو الاخر مثلا ، نتيجة لاستخدامه في حاجات الانتاج ·

ومن ذلك يتبين ان الحاجة الى تيسير مستلزمات العيش وتطوير تكنيك الانتاج ، هو الذي استحث تطور العلوم الطبيعية ، بالدرجة الاولى ·

والعلم الطبيعي ، بوصفه يتجه في الجوهر لمعرفة قوانين الطبيعة ، وكشف الخواص الكيميائية والفيزيائية للاشياء ، يتميز عن مسائل البناء العلوي في انه مرتبط بحاجات الانتاج ، **بعملية الانتاج مباشرة** ، وليس بتوسط الاساس ·

لذلك نجد ان العلم الطبيعي يستثمر في الانتـاج ، في مختلف المراحل والعهود · فهو اليوم يطبق مثـلا ، عن وعي ، ولا سـيما في الصناعات الكبرى ، في المجتمع الرأسمالي مثلما يطبق في المجتمـع الاشتراكي · ففي المجتمعين ، ورغم اختلاف الاساسين الاقتصاديين ، يتجه الجهد بوجه عام ، وبصرف النظر عن اختلاف الغرض ، نحو الاخذ بموضوعية قوانين الطبيعة ـ من اجل استثمار قوى الطبيعة الاساسية ـ الحرارة ، البخار ، الكهرباء ، الريح ·· الخ وكذلك الاسـتفادة من الطاقة الذرية ومن الخصائص الميكانيكية والكيميائية والفيزيائيـة للمادة ·

فمن بين جميع العلوم ، يعتبر العلم الطبيعي ارث المعرفة المشترك للانسانية ، أو كما يسميه ماركس : الحصيل الروحي الكلي للتطور الاجتماعي ، أو نتاج التطور التاريخي العام كمـا يعـرب عن نفسه بمحصوله الايجابي المجرد ·

ان علاقة العلم الطبيعي المباشرة بالانتاج ، يمكن التعرف عليها

في العصر الحديث ، من خلال الفتوحات العلمية الكبرى ـ كاكتشاف البخار ، والكهرباء ، والطاقة الذرية ، وخصائص المادة ٠٠ الخ ٠ وقد سبق ان اشار كارل ماركس في الصورة التي اعطاها لتطور المجتمع الرأسمالي الى الكيفية التي تم التوصل بها الى « التطبيق التكنيكي الواعي للعلم » في الانتاج الرأسمالي الحديث ٠

غير ان ذلك كله لا يعني ان الرأسمالية ، تتناول في كل الاوقات ، بحرص ونزاهة المكتسبات الموضوعية للعلم ٠ فنحن نعرف ان القانون الاساسي للرأسمالية الاحتكارية هو جني الحد الاقصى من فائض القيمة ٠ ولذلك فهي تجد نفسها ملزمة بتطبيق المعطيات العلمية في الصناعة والزراعة الى الحد الذي يحقق لها هذا الهدف ـ باعتبارها لا تستطيع ان تنتج وتربح بدون التطبيق الواعي للعلم والتكنيك ٠ ولكن ـ كما هو معلوم ـ تلجأ في الوقت نفسه الى عرقلة كل اختراع أو كشف علمي لا يؤدي الى مزيد من الربح وتحول دون ادخاله في عملية الانتاج ٠

لكن الامر يختلف تماما بالنسبة للنظام الاشتراكي ٠ فالانتاج يبنى ويوجه على اساس الاخذ الواعي بجميع منجزات العلم وقوانين التطور الطبيعية والاجتماعية ، كما يبنى الاساس الاقتصادى للمجتمع وبناؤه العلوى ويوجهان بوعي في هذا الاتجاه ٠ ومن هنا استنتجنا فيما سبق الحقيقة القائلة بتعذر لحاق العلماء في الولايات المتحدة الامريكية باقرانهم من علماء الاتحاد السوفيتي ٠

وكما ان من خصائص البناء العلوي انه يتضمن افكارا ونظما تعكس حقيقة العلائق الموجودة في الاساس الاقتصادي للمجتمع ؛ كذلك فان من خصائص العلم الطبيعي انه يتضمن افكارا ونظريات ومناهج تعكس حقيقة العلائق بين **الاشياء والظاهرات** ٠ فالبناء العلوي يساهم في بناء المجتمع وتنظيمه ٠ والعلم الطبيعي يساهم في بناء المعامل والمحطات والمكائن وحقول الانتاج الجديدة ٠ وفي ظل الاشتراكية فقط ، تتحقق أقصى درجة من التعاون والتظافر بين العلم والانتاج ٠ ولذلك نجد العلماء السوفيت لا يفصلون بين العلم ومستلزمات الانتاج ، بين النظرية والتجربة العملية ، وانما يوحدون بين الطرفين ، ويسعون ـ بارشاد ومعاونة الدولة ـ الى ازالة التنابذ وردم الهوة بين العمل الفكري والعمل البدني ٠ والامر ليس كذلك ، بطبيعة الحال ، في البلدان الرأسمالية ؛ اذ ان النظام الرأسمالي يؤدي ، بحكم قوانينه ،

الى تعميق هذه الهوة ، ولا سيما بين العمال ـ باعتبارهم القوة الاجتماعية الاساسية التي تتعهد العمل البدني ـ وبين العلم الذي هو حكر على طائفة محدودة من الناس · فالعمال في المجتمعات الرأسمالية محرومون من المشاركة في النشاط العلمي ، في حين تعمل البلدان الاشتراكية على اشراك ملايين الشغيلة في العلم · ووضع العلم في متناول الملايين يعني العمل على ردم الهوة بين العلم والانتاج ، بين النظرية والتطبيق ؛ بين العمل الفكرى والعمل البدني · ومن هنا أيضا استنتاجنا حول الافق الرحيب لتطور العلم وتقدمه في العالم الاشتراكي ·

والملاحظ اليوم مثلا ، ان العلم الطبيعي ، هو ـ على وجه العموم ـ يخدم الانتاجين الرأسمالي والاشتراكي ··· يخدم الاستغلال والربح المفرط القائم على تكديس فائض القيمة ، كما يخدم العمل على تأمين الحد الاقصى من الحاجات المادية والثقافية لكل أفراد المجتمع المتنامية باستمرار ··· يخدم الخطط الاستعمارية المدمرة واعداد الحرب ، كما يخدم العمل السلمي الانشائي · ان كشف (باستور) العظيم يستخدم في الاتحاد السوفيتي لمكافحة الاوبئة ، ولكنه في الولايات المتحدة يستخدم احيانا لتحضير أو شن حرب بكتريولوجية ـ كما تم في كوريا · والشيء ذاته ينطبق على استخدام الطاقة الذرية ، والصواريخ الموجهة ··· وغيرها ·

ان هندسة (اقليديس) التي نشأت في العهد العبودي ، قد خدمت مختلف الانظمة الاجتماعية ، وهي لا تزال تخدم كلا من النظامين الرأسمالي والاشتراكي · ومثل هندسة اقليديس فتوحات العلم الطبيعي الاخرى · غير ان العلم الطبيعي وان كان يستثمر للانتاج اصلا ، الا ان طبيعة هذا الاستثمار تختلف ؛ فهو يستثمر في البلدان الرأسمالية ليس لتيسير عمل وظروف العمال ، وانما لخدمة رأس المال ، لزيادة الربح ، لامتصاص آخر قطرة من جهد العمال ، لاستعبادهم وتهديم صحتهم · لذلك نجد ان تطور التكنيك في المجتمع الرأسمالي ، يواجه من قبل العمال وكأنه عدو لدود قتال · وقد عالج هذه النقطة ببراعة أخاذة الممثل القدير (شارلي شابلن) في أحد أفلامه الشهيرة · وبالعكس يتجه العلم في المجتمع الاشتراكي الى خدمة المجتمع وليس لنفر من الناس أو لاغراض الربح ··وهذا هو السر فيما نراه واضحا من الاختلاف في وجهتي العلم الطبيعي في النظامين · ففي الوقت

الذي ينطلق فيه العلم الطبيعي في العالم الاشتراكي في وجهته الانشائية ، لكشف قوانين الطبيعة وتسخير قواها لنفع الانسان ، نجده في العالم الرأسمالي يتجه الى ارهاق واذلال وتهديم صحة وعقول الملايين من الناس . ان بلدان الاشتراكية تحقق في الواقع ما سبق ان تنبأ به مؤسسا الماركسية قبل قرن من الزمان وهو [ان الناس لن يصبحوا اسياد الطبيعة الا بعد ان يصبحوا اسياد انفسهم] .

* * * *

ان العلم الطبيعي ـ بمقدار ما يوفر من المحصول الموضوعي لقوانين الطبيعة وقواها ـ فأنه في هذا المدى لا يحتوى على اية عناصر « متحيزة » . وليس ثمة من يجادل في موضوعية الحدود والاسس لهندسة اقليديس ، أو في موضوعية القوانين التي كشفها لومنسوف ، ومنديليف ، وأديسون ، وباستور ، وغاليلو ، وارخميدس ، وكوبرنيك وغيرهم ...

لكن بجانب القوانين والحقائق الموضوعية التي تزكى بالتجربة والعمل ، للعلم أيضا أسسه **الفلسفية والايديولوجية** العامة . وهذه الاسس التي تقوم بوجه خاص على (الطريقة) التي يتم بها تفسير هذه القوانين ومعالجة وعرض هذه الحقائق ، **تعكس مباشرة وجهة النظر الطبقية** . ولذلك فهي اما ان تكون (مادية علمية صادقة) أو (مثالية ميتافيزيقية باطلة) .

لهذا السبب نجد العلم ـ بما فيه الفيزياء والبايولوجي ـ في عصر تفسخ الرأسمالية ، يتجه في الغالب اتجاها رجعيا ، قائما على الاسس الرجعية للفلسفة المثالية . فالرأسمالية وانصارها من الايديولوجين ، يتصدون بعناد أهوج لكل مسعى نحو الحقيقة الموضوعية قد يمس مصالحهم .

• يقول لنين : لو ان بديهيات هندسية مست مصالح الناس ، لوقعت بالتأكيد محاولات لدحضها وتفنيدها(*) .

وبصدد علمية الاساتذة البورجوازيين يقول : من بين هؤلاء الفلاسفة الذين هم قادرون حقا على تقديم مساهمات قيمة جدا في الحقول الخاصة بالكيمياء والفيزياء ، لا يوجد من بينهم فرد واحد يمكن ان يصدق ولو مثقال ذرة ـ وذلك عندما تنجر المسألة الى الفلسفة(**) .

---

* راجع ص ٦٧ من الاعمال المختارة .

** راجع ص ٣٥٧ من « المادية والنقد التجريبي » ، الطبعة الإنجليزية .

وعلى ذلك ، فينبغي عند معالجتنا للعلم البورجوازي ، ان نرسم خطا واضحا بين ما هو موضوعي وعلمي ومتجرد ، وبين ما هو متحيز قائم على فلسفة طبقية خاصة · واذ نشير الى ذلك ، ينبغي ان نؤكد دوما على ان ليس ثمة من علاقة عضوية داخلية مهما كانت بين موضوعية العلم ، والهراء المثالي ·

العلم مادي دائما وسيظل ماديا الى النهاية !

ونستنتج مما سبق ان **العلم الطبيعي** (لا العلم الاجتماعي وحده) يمكن ان يتخذ له طابعا **متحيزا وطبقيا في المجتمع الطبقي** ـ وذلك عندما يقوم على أسس فلسفية وايديولوجية خاصة · ان العلوم الطبيعية ـ بما فيها بعض فروعها التي لا يأتيها الباطل ـ كالرياضيات، والفيزياء ، قد اصبحت ميادين لامر المعارك وأكثرها ضراوة بين ممثلي العلم الرجعي وممثلي العلم التقدمي · وما هذه المعارك في حقيقتها الا جزءا من المعركة الكبرى بين المادية والمثالية ، بين الديالكتيك والميتافيزيق ؛ وهي تعكس في التحليل الاخير صراع الطبقات ·

ما من كشف علمي مس مصالح البورجوازية ، ولا سيما في عهد تفسخها ، الا وانبرى له علماء رجعيون يفندونه ويشككون فيه ويسممون محتواه · فالكشف الهائل للالكترون مثلا ، قد اعطى الدليل مرة أخرى على ان المعرفة الانسانية **لا حدود لها** · وهذا ما يؤكد بصورة قاطعة صحة المادية الديالكتيكية · الا ان ايديولوجي البورجوازية لم يلبثوا ان تصدوا لهذا الفتح العظيم بالتشويه والتشكيك ، واضعين ايديهم بأيدى رجال اللاهوت ساعين معهم بخبث للعودة بالعلم الى « المحراب » والى استنباط النتائج المثالية الرجعية من هذا الكشف العظيم · وها نحن نراهم لا يتورعون عن بذل المحاولات لكي يستنبطوا من هذا الكشف ما يبيح لهم التحدث عن « عدم وجود ما يسمى بالقوانين الموضوعية للعلم » ! وعن « امكان فناء المادة » ! وما الى ذلك · وبالمثل يفعلون بالنسبة لنظرية (انشتاين) النسبية ، فتراهم يثيرون الضوضاء ويوردون « التوكيدات » و « البراهين » حول « حلول نهاية الكون » ! و « حرية الارادة المدمرة للالكترون » !!

ان هذا يدل على ان المعركة بين المادية والمثالية لا تزال ناشبة ، بل هي في ذروتها · ولقد رأينا في السنوات الاخيرة ، كم من مرة اضطر فيها علماء افذاذ من أمثال العالم الطيب الذكر (جوليو كوري) الى

الرد على الاستنتاجات الرجعية والتهديدات الحمقاء والتشويهات المثالية فيما يتعلق بالطاقة الذرية وفعالية الاسلحة الذرية . وكم من علماء الطاقة الذرية والفيزياء الامريكان والانكليز والايطاليين قد اضطروا الى هجر اوطانهم ومختبراتهم الى حيث يستطيعون ان يوفوا موضوعية العلم حقها . ولا زلنا نشهد الكفاح الذي يشنه البايولوجيون السوفيت اتباع (مدرسة ميشورين وليزنكو) ضد اتباع (مدرسة مندل ـ مورغان) ؛ وكذلك الكفاح بين اتباع (مدرسة بافلوف) ضد (المدارس الرجعية المثالية في الفيسولوجيا) . بل وما زال الفيزيائيون السوفيت يكافحون ضد الميول المثالية عند بعض زملائهم في حقول الفيزياء والكيمياء(*) .

* * * *

وفضلا عن ذلك ، لا يرتضي العلماء السوفييت البقاء في اسر التقاليد ، وانما يذهبون بجرأة الى نبذ هذه التقاليد واقتحام آفاق جديدة خلاقة ـ كلما اقتضى الامر ذلك . وكانت نتائج ذلك كله حاسمة . فلقد امكن انبات فواكه ومزروعات جديدة ، واستحداث مواد ومركبات ليست لها نظائر في الطبيعة ؛ كما تم التوصل الى كشوفات باهرة في حقول الكيمياء والفيزياء وعلم الاحياء والجراثيم والامراض ـ على ما هو معلوم .

ويستند العلماء السوفييت في نشاطهم العلمي الى المادية الديالكتيكية ـ باعتبارها الاساس الفلسفي المعتمد والصحيح للعلم الحديث . ولذلك فهم يأخذون مثلا بالجانب المادي الموضوعي من نظرية (نيوتن) حول الجاذبية ، ولكنهم ينبذون توكيداته حول « الباعث المقدس المحرك لها » ! ويدافعون عن نظرية (داروين) ضد الظلاميين ورجال اللاهوت ، ولكنهم ينبذون منها تلك العناصر الملقحة بالايديولوجية البورجوازية (المالثوسية وسواها) . وفي الوقت الذي يعتبرون فيه كشوفات الميتشورونية ذات جدارة علمية فائقة ـ وذلك عندما يقارنون مبادءها بنتائجها العملية الباهرة ـ يعتبرون نظرية (وايزمن ـ مورغان ـ مندل) مجرد أخيلة مثالية ميتافيزيقية ـ فضلا عن ان نتائجها العملية قد جاءت عقيمة وغير مزكاة من الحياة . واستنادا الى الموضوعة الماركسية التي فصلها (انجلز) في « ديالكتيك الطبيعة » والقائلة بان المادة الحية قد نشأت من المادة غير الحية ، وان

---

* راجع فسطنطينوف في كتابه القيم (الاساس والبناء العلوي) .

الكائن الحجيرى الحي قد نشأ من المادة الحيـة اللاحجريـة ، امكن التوصل الى هدم النظرية السابقة القائلة بان الحجيرة لا تتولد الا من بناء حجيرى ، وانها لا تتوالد الا عن طريق الانشـطار والتكاثر داخل الجسم الحي • لقد دلت المعلومات التي تواترت عن مساعي العلماء السوفييت وغيرهم ، ان محاولات جدية تجري لتوليد الحجيرة من مادة حية لا حجرية ، خارج الجسم الحي ، وفي المختبر • فاذا ما انتهت هذه المساعي الى النجاح ، يكون العلم قد قفز قفزة هائلة هي في عداد المعجزات ، حيث ينفتح للانسانية أفق مشرق خلاب يكون من شأنه امكان مكافحة الشيخوخة والتهدم الحجيري الذى تنشأ عنه ، كما سيكون له شأن عظيم في ارجاع الحيوية وادامة الفتوة واطالة عمر الانسان •

لا مجال للمضي الى نقطة ابعد في هذا البحث الموجز •

ولكن من الضروري ، قبل الختام ، ان نشير الى ان العلم منظورا اليه من خلال معطياته الموضوعية ، هو ارث مشترك للانسانية كلها ، وباستطاعته ان يخدم اسلوبين للانتاج متناقضين في آن واحد ـ على الوجه الذى فصلناه ، ولذلك فهو لا يذهب مع ذهاب أساس اقتصادي قديم وظهور اساس جديد • ويترتب على ذلك ، ضرورة مكافحة التبسط المفرط الذى يذهب دون تحفظ الى اعتبار العلم على وجه الاجمال أو جميع فروعه من مسائل البناء العلوي • كمـا ينبغي التحصن ازاء الابتذال الذي ينشأ من استنكار المكتبات العلمية الموضوعية التي هي أرث مشروع للانسانية بأسرها •

الا انه ، في الوقت نفسه ، ينبغي التأكيد على ان لكل علم (بما في ذلك العلم الطبيعي) أساسه الفلسفي والايديولوجي ، تفسيراته النظرية للقوانين الموضوعية ، واستنتاجاته الخاصة منها •

وهذا الاساس الفلسفي والايديولوجي ، اما ان يكون (ماديا تقدميا) أو (مثاليا رجعيا) • وبهذا المدى فقط يعتبر العلم متحيزا ، ويكتسب **صفة طبقية** •

عامر عبدالله

●

الأدب والثورة اللبنانية

حسين مروّه

نحن اليوم في رحلة طويلة شاقة محفوفة بالمكاره من كل صوب ، ولكنها على ذلك سعيدة حبيبة الى قلوبنا ، لاننا نعرف الى اين تنتهي بنا ، ونعرف وجه الطريق فيها ، كما نعرف محطات الطريق واحدة واحدة ، ونعرف كل عقبة تعترضنا هنا وهناك ، وكل عدو يكمن لنا في هذا المنعطف او ذاك ، وفي الوقت ذاته نعرف الكثير الكثير من قوى العدو واعوانه ، ونكاد نرى الآن باعيننا ، من قريب ومن بعيد ، كمائنه كلها وحبائله كلها ، والغامه التي يزرعها الآن والغامه التي سيزرعها دائما عند كل خطوة في دربنا الطويل ... وبهذا المقياس ذاته نعرف قوانا نحن بتفصيل ، نعرف من يسير في الرحلة الطويلة الشاقة الى منتهاها ، ومن يعجزه ان يبلغ هذا المنتهى البعيد فيسقط اعياء ، ومن يلج عليه الظمأ فيقتله الظمأ سريعا ، ومن يغريه السراب فيقع في الخدعة سريعا ، ومن تلهيه الاباطيل فينصرف الى الاباطيل سريعا .. ولكن سيظل في الطريق اناس كثيرون .. كثيرون جدا ، حتى ، يبلغ شعبنا النصر الاخير ، وحتى يبلغ التأريخ الجديد للانسانية الجديدة قصده الاعظم ...

لقد ذهب ، ايها الاصدقاء ، ذلك الزمن الذي كان اعداء الحرية ، حرية الشعوب يرسمون فيه للناس طرق الحياة وطرق النشاط الانساني ، فكريا كان ام ادبيا ام اقتصاديا ام سياسيا ، في خطوط متوازية ، يذهب كل واحد منها في وجهه الى ابعد غاياته منفردا ، دون ان يلاقي بعضها بعضا في نقطة أو يتصل بعضها ببعض في مرحلة ، ودون ان يتفاعل شيء منها في شيء ابدا ، لكأنما الحياة عندهم آلة يصنعها الصانع لتسير طوع ذهنه وتفكيره ، وكأنما النشاط الانساني

---

(١) محاضرة القيت في قاعة كلية العلوم بدعوة من لجنة اتحاد الطلبة في كلية الاداب.

جهاز ميكانيكي يحركه صانعه ايضا وفق غرض محدود وبطريقة مرسومة سلفا ...

لقد ذهب ذلك الزمن ، ايها الاصدقاء ، دون رجعة ابدا ، ونحن الآن في زمن مجيد نعرف فيه ان الحياة تسلك بنا طرائق شتى حقا ، وان النشاط الانساني تتعدد وجوهه وميادينه حقا ، ولكن جميع طرائق الحياة ، وجميع نشاطات الانسان ، تتلاقى دائما ، وتتصارع دائما وتتفاعل بينها تفاعلا متصلا دون انقطاع أبدا . ونعرف ان خبرات الحياة كلها ، وابداعات الانسان كلها ، انما هي نتاج ذلك التلاقي والتصارع ، والتفاعل .. ونعرف ـ الى هذا ـ ان « عملية » التلاقي والتصارع والتفاعل ليست من صنع اذهاننا ، بل هي من صنع الحياة نفسها ، وصنع القوانين الموضوعية للحياة ، وانما هي تنعكس على اذهاننا من الخارج ، من الواقع ، ثم نتفاعل معها من جديد .

ان تلك الطريقة الرجعية في فهم الحياة ، الى عزل جوانب الحياة ومرافق النشاط الانساني بعضها عن بعض ، قد اصابتنا بضربات شديدة في بلداننا العربية بعامة وفي بلدنا لبنان بخاصة ، خلال أجيال طوال من الزمن ، واصابت أدبنا بالاخص بعزلة باردة فاصلة جعلته زمنا في منأى عن حركة الحياة العربية والوطنية ، حيث يتصارع مجتمعنا ، هنا وهناك ، داخل الحركة العالمية ، بين قوى مختلفة متباينة متناقضة ، بين قوى التقدم وقوى التخلف ، بين قوى التجديد وقوى الجمود ، بين قوى التحرر والانعتاق ، وقوى الاستعباد والاستغلال .

لقد انشأ لنا مفكرو الغرب المتطور المستعمر ثقافات ومذاهب فكرية وفلسفات مثالية ، واشاعوها فينا منذ أجيال ، واشبعوها بمفاهيم خاصة بعيدة عن واقع حياتنا ، وواقع حاجاتنا ، تنعكس عليها مصالح طبقة معينة من الباحثين عن الارض ذات الكنوز في بلداننا ، والباحثين عن المواد الاولية لمصانعهم وعن الاسواق والارباح لمصنوعاتهم ورساميلهم ، ثم ربطوا مصالحهم هذه بمصالح طبقات أخرى من شعوبنا يتعاملون معها ، ويتقاسمون واياها جهد الكادحين فينا ، وخيرات أرضنا وفلذات كنوزنا ، وتعاونوا جميعا في تثبيت تلك المفاهيم الخاطئة في صعيد اذهاننا ونفوسنا ، لكي نظل أبدا متخلفين عقليا واقتصاديا وسياسيا عن قافلة التطور البشري ، ولكي نظل

راكسين في قدريتنا المتواكلة القانعة الخانعة ٠

ولعل ابرز تلك المفاهيم أثرا في تخلف مجتمعنا العربي ، ما أشرت اليه من الحاجهم الدائب على وضع الحدود والفواصل بين حركة الحياة السياسية ، وحركتها الاقتصادية والاجتماعية ، وحركتها الادبية والفكرية ، وعزل كل واحدة منها عن الاخرى ، لكي يظلوا في مأمن تام مطمئن من أن يفكر الناس في شؤون السياسة والاقتصاد التي حاولوا ان يجعلوها وقفا على طبقة خاصة من المحترفين الذين يستأثرون بالحكم ومناصبه ومغانمه ، ويوجهونه أبدا وفق رغبات الاستعمار ، ورغبات طبقتهم المرتبطة مصالحها بمصالح الاستعمار ذاته وبذلك يعزلون طبقات الشعب العاملة وفئاته الكادحة ومثقفيه الشرفاء عن التفكير بهذه الشؤون ، حتى لا تفتضح مساوىء النظام القائم على النهب والاستغلال والاغتصاب والاضطهاد ، حتى لا تستيقظ هذه الفئات الى أمرها ، وتتعرف مكانها الحقيقي الموضوعي من حركة المجتمع والتاريخ ، وحتى لا تنتقض على الظلم ، ولا تتمرد على الاستغلال ، ولا تطالب بحق اوطانها في التحرر والاستقلال وتقرير المصير ٠

وهذا ما فعلوه في لبنان حين أقاموا فيه ثقافة من طراز خاص ، أظهر مفاهيمها أن المتعلمين والمثقفين وسائر فئات الشعب لا ينبغي لهم أن يخوضوا في شؤون السياسة والسياسيين المحترفين ، وقد اتيح لهذا المفهوم ان يثبت في أذهان العديد من المواطنين ، ولا سيما المثقفون ومنهم الادباء والكتاب والمفكرون ٠٠

هناك فرق كبير بين هذا الامر في لبنان وبينه في سائر أقطارنا العربية ، ولا سيما العراق مثلا ٠٠ فقد جاءتنا مفاهيم الفكر الغربي الاستعماري هذه الى لبنان عن طريق الثقافة قبل كل شيء ، وجاءتنا الثقافة نفسها الى لبنان منذ زمن بعيد عن طريق ما يسمونه بالطائفية والفوارق الدينية التي أوجدوا لها في لبنان أرضا خصيبة وسندا قويا ، باسم التبشير الثقافي المسيحي اولا ، وباسم حماية المسيحية والمسيحيين ثانيا ! ٠٠ ولكن الغرض البعيد من هذا كله لم يكن غير التمهيد لكل ما حدث بعد ذلك في حوادث الغزو الاستعماري ، سياسيا واقتصاديا للبنان بوصفه جسرا استراتيجيا الى سائر بلدان المنطقة ٠٠

ان بيننا الآن وبين بدء التسرب الثقافي الغربي الاستعماري الى لبنان اكثر من مئتي عام ، وفي هذا الزمن الطويل استطاع الفكر الغربي أن يقيم قواعده راسخة في اذهان العديد من المواطنين ، وان

يمد هذه القواعد في الاذهان الى النفوس والمشاعر ، الى أن جعل مفاهيمه تلك ذات جذور عميقة مديدة حتى في تفكير البسطاء من المواطنين ، فضلا عن تفكير الادباء والمثقفين ، الذين نشأت منهم أجيال وأجيال على الاخذ بهذه المفاهيم كأنها حقائق بدهية لا تقبل الجدل ولا تحتمل الشك مطلقا .

ان التفكير العلمي الدياليكتيكي يعلمنا ان التراكم الكمي يؤدي حتما الى التغيير الكيفي .. ذلك أمر قائم في القضايا الاجتماعية ، كما هو معروف تماما في المسائل الطبيعية العضوية ، في الكيمياء والفيزياء مثلا ..

وبهذا المقياس نشأ في المواطن اللبناني ، على الزمن ، نوع خاص من التفكير الانعزالي لم يقتصر أثره على فئة معينة ولا طائفة واحدة او طوائف بخصوصها من الفئات والطوائف اللبنانية .. لقد انطبع المواطن اللبناني ، في هذا الزمن الطويل ، على هذا التفكير ، حتى ليمكن القول انه صار أشبه بالجزء العضوي بوجه عام .. قد لا يخلو هذا الحكم من مبالغة ، ولكن أريد في ذلك أن اضع الصورة في اطارها التاريخي الجذري قدر الامكان وان كان هذا التفكير يختلف نسبيا في بعض الجهات عنه في جهات اخرى ، فهو عميق هنا ، وسطحي هناك ، وهو ثابت الجذور في فريق ومخلخلها في فريق آخر .

لعلكم ادركتم الآن سبب الحاحي على هذا الامر ، في معرض الحديث عن الادب اللبناني وعلاقته بالثورة الوطنية التحررية في لبنان.

وقد يكون لهذا الالحاح قصد يجاوز الحديث عن الادب اللبناني ، الى الحديث عن الثورة اللبنانية ذاتها أيضا ، فانه اذا كان هناك حقا ما يربط الادب بالثورة ، فأن لتلك المفاهيم الثقافية الاستعمارية الرجعية ارتباطها الواقعي أيضا بجانب هام من جوانب ثورتنا الوطنية بلبنان ..

انكم تعلمون ، ايها الاصدقاء ، أن ثورتنا اللبنانية قد اشتعلت نارها المباركة ، بدوافع وطنية تحررية خالصة ، لابدوافع طائفية ولا بدوافع خارجية كما أراد ويريد المستعمرون وعملاؤهم في بلادنا أن يصوروها عن قصد وتصميم ..

نقول : وطنية تحررية ، لانها لم تكن ثورة فئة بعينها ، ولا ثورة طبقة بخصوصها ، ولا ثورة طائفة بحدودها الطائفية ، بل كانت ثورة فئات وطبقات وطوائف مجتمعة منصهرة كلها في مطالب وطنية

توافقت عندها الرغبات والآراء والاتجاهات السياسية والعقائدية والاجتماعية ، على اختلافها • وتلاقى عندها العامل والفلاح والمثقف والتاجر وصاحب المصنع والحرفي والموظف من المسلمين والمسيحيين ، رجالا ونساء •• واذكر النساء هنا عن قصد ، لان المرأة قامت بمهمات كبيرة خلال الثورة • وبالاجمال : لقد حمل السلاح في ثورة لبنان ممثلون لكل هذه الفئات الوطنية ، وبذل الجهد والتضحيات المادية والمعنوية والفكرية كل من هؤلاء بقدر ما يستطيع ، وتآخى في مراكز المقاومة الشعبية خلال أشهر الثورة كل هؤلاء كذلك ، وأندمجت هذه الفئات الثائرة بقيادتها المحلية والعامة اندماجا تفاعليا حمل تلك القيادات ، بمختلف مراتبها ومنازلها الاجتماعية والسياسية، على الاحتفاظ بمواقعها من مطالب الثورة أثناء المعركة ، كما حملها على التأثر الى حد كبير بمواقف القواعد الجماهيرية الثائرة ، وحال ذلك دون تزعزع بعض السياسيين الذين كانوا بعيدين ، قبل هذا ، عن ثورية تلك الجماهير ••

ان ذلك وحده دليل قاطع على أن ثورتنا في لبنان ثورة وطنية خالصة ، والا فكيف أمكن ان تتلاقى عندها فئات متعددة • متناقضة، أصلا ، في الآراء والاتجاهات والمصالح ، وكيف أمكن أيضا أن يخوض معركتها ، جنبا الى جنب ، صفا الى صف ، الوطنيون التقدميون ، من مسلمين ومسيحيين ، ومن عرب وأرمن ، مع الوطنيين الآخرين ذوي الاتجاهات اليمينية ؟

لقد كانت هناك أهداف صريحة واضحة امام جميع الثائرين ، من تقدميين ووسط ويمينيين ، من حزبيين ولا حزبيين ، من منظمين وغير منظمين ، من جماهيريين وبورجوازيين ، من بسطاء ومثقفين •• أهداف تحررية تقصد أولا وبالذات الى تحرير لبنان من تلك الارتباطات التي جعلته في عهد شمعون موثوقا الى مشاريع الاستعمار ، وفي مقدمتها مشروع أيزنهاور ، وحلف بغداد ، واتفاق الامن المتبادل •• تقصد الى تحرير لبنان من سياسة الانحياز الى المعسكر الغربي الاستعماري ومن سياسة الباب المفتوح المطلق مع دول الاستعمار في الشؤون الاقتصادية والثقافية ، ومن سياسة التآمر على استقلال لبنان ذاته واستغلال البلدان العربية الشقيقة المجاورة ، ومن سياسة القواعد العسكرية التي تريد أن تتخذ من أرض لبنان رقبة جسر للعدوان على

أرض العرب كافة ، ولضرب الحركات الوطنية التحررية في بلدان الشرقين الادنى والاوسط معا ، وللقضاء على وثبات الشعوب الآسيوية والافريقية جميعا ، ولخنق اليقظة القومية العربية العارمة بوجه أخص ، ولعزل كل هذه الحركات والوثبات واليقظات بعضها عن بعض اولا ، ولعزلها ، ثانيا ، عن سندها الاكبر وصديقها الامين ، نصير جميع الشعوب الزاحفة الى التحرر والاستقلال الوطني والنهوض القومي ·· ذلك هو معسكر الاشتراكية والسلام ، بقيادة الاتحاد السوفياتي العظيم ، والصين الشعبية المجيدة ·

هذه هي الاهداف الكبرى الواضحة الصريحة لثورة لبنان الوطنية ، لجميع الثائرين الذين خاضوا معركتها بثقة ويقين وتضحية وبسالة ·· واما سائر الاهداف من ابعاد شمعون عن الحكم ، ومن ضرب عصابة القوميين السوريين الفاشستية ومن على شاكلتها كعصابة الطاشناق الارمنية ، وكزبانية شمعون ـ نقول : أما الاهداف الاخرى هذه ، فانه لواضح وطبيعي انها مرتبطة أوثق الارتباط بتلك الاهداف الاصلية الكبرى بل كانت الطريق الاول اليها ، لان التحرر الوطني الذي قصدته الثورة ، ما كان يمكن ان يتحقق دون ضرب هذه العصابات الاجرامية ، التي هي مركز التآمر والخيانة والرجعية والفساد الداخلي ، ومطية الاستعمار الطيعة ··

وينبغي أن نقول هنا ان تلاقي جميع الفئات الثائرة على تلك الاهداف بجملتها ، رغم تباين الاتجاهات ، انما كان يدفع اليه سبب ، بل أسباب كثيرة واقعية هي أشد زخما واعظم قوة من كل المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي جهدت الثقافات الاستعمارية ، منذ ذلك الزمن البعيد ، في صوغ المجتمع اللبناني على قالبها الرجعي القديم ··

ان هذه الفئات اللبنانية التي حملت أعباء الثورة مجتمعة متآزرة، قد خرجت على تلك المفاهيم ، بهذه الثورية الرائعة الباسلة ، لان فريقا منها قد انصهر بتجارب النضال الوطني منذ سنين طوال ، مهتديا بقيادة نضالية قادرة مسلحة بالمعرفة الدياليكتيكية الخلاقة ، وبالنظرية الثورية المبدعة ، وبالايمان الوطني والقومي الثابت أثبت من الصخر ·· ولان فريقا آخر قد رأى بوعيه الوطني والطبقي معا ان استقلال لبنان الحق ، وتحرره من السيطرات الاستعمارية ، سياسيا واقتصاديا ، هو السبيل الاوحد ، في الواقع ، لتطوير الحياة

الاقتصادية الوطنية ، وانعـــاش الدخل القومي وتوطيـده على أسس انتاجية ثابتة متطورة ·· وهناك فرقاء آخرون من الوطنيين والقوميين استطاعوا ، في خضم الاحداث والتجارب ، أن يهتدوا أخيرا – وبعض الوقت – الى الروابط الموضوعية بين استقلال لبنان واستقـــلال البلدان الاخرى ، وقد كانو قبل ذلك ينظرون الى خارج لبنـــان أكثر مما ينظرون الى القضية اللبنانية ذاتها ، وهم بذلك كانوا يقفون على طرف النقيض الآخر حيال اللبنانيين الانعزاليين الذين كانت ولا تزال نظرتهم لا تتجاوز حدود لبنان الضيقة البالغة الضيق ·

واذا شئنا ان نتعمق أسباب الخلاف او التناقض بين الانعزاليين هؤلاء وغير الانعزاليين في لبنان ، لا بد أن ننظر الى الطائفيـــة التي يثير المستعمرون والعملاء والانتهازيون غبارها ، حينا بعد حين ، كلما اصطدمت الحركة الوطنية التحررية هناك بمصالح الاستعمار والرجعية المستغلة ، لا بد ان ننظر الى هذه الطائفية على انها وجه مصطنع للقضية من أساسها ··

ان الطائفية هذه ليست في لبنان – واقعا – سوى وجه مصطنع لصراع المصالح وصراع الثقافات في وقت واحد ، وحتى صراع الثقافات بالذات ، انما كان أثر فوقيا من صراع المصالح الاقتصادية والسياسية كما أشرت في أول الحديث ، غير أن هذا الصراع قد اتخذ الطائفيـــة شعارا دائما مستمدا من تاريخ المكائد الاستعمارية القديمة التي يرجع عهدها الى عام ١٨٦٠ ·· فأن سببا ما قد أقام من بعض الفئـــات اللبنانية على رأس المتصرفين باقدار الاقتصاد اللبناني ، والمستغلين موارده ومصادره ، والمرتبطين مباشرة بالاوضاع السياسية والاجتماعية والمفاهيم الفكرية التي يؤيدها الاستعمار ويؤكد وجودها ويحـــرص على بقائها دون تغيير ، لان ذلك سبيله للبقاء والاستمرار والاستغلال في بلد عربي كلبنان يعد ، من الوجهة الاستراتيجية ، أحـــد الابواب العريضة للتآمر على القومية العربيـــة المتحررة ، وللتمركز قـــرب اسرائيل بعد ايجادها حصنا للمؤامرة الاستعمارية في هذا الشرق ·

ان هذا البعض من الفئات اللبنانية المستغلة (بالكسر) ، قـد اتفق – لسبب تاريخي موضوعي – أن كان في الاغلب من المنتمين الى احدى الطوائف دون الاخرى ، ومن ذلك اتفق ان كان الفريق الآخر من المواطنين المستغلين (بالفتح) ينتمون على الاغلب أيضا الى غير تلك

الطائفة . مع العلم ان جماهير الكادحين من جميع الطوائف هم الذين يتحملون على السواء أذى الاستغلال .. ومن هذا الباب ، أو من هذه الثغرة ، وجد الاستعمار والرجعيـــة والانتهازيـــة مدخلا مستمرا لاستنفار العواطف الطائفية عند الفريق المستغل (بالكسر) والفريق المستغل (بالفتح) كليها ، بغية تفكيك وحـــدة الشعب ، وتفتيت الحركة الوطنية التحررية ، وعزل الفئات المناضلة لصيانة استقـلال لبنان وتوكيد عروبته ، عن الفئات الاخرى المتشبثة بالاوضاع الرجعية المؤيدة لمصالحها ولبقاء لبنان ضمن نطاق الانحياز للغرب المستعمر .. ومن خلال هذا الصراع بين فريق ترتبط مرابحه ومرافهه بقـــوى الرجعية والاستعمار العالميين ، وبين فريق ترتبط مصالحه وحقوقـه الانسانية بقضية التحرر الوطني والقومي ، من خلال هذا الصـــراع انبثقت في آخريات الثورة الوطنية اللبنانية ثورة مفتعلة رجعية طائفية برعاية السفارة الامريكية والبريطانية ، لتكون سندا وذريعة للجيش الامريكي المحتل يومئذ أن يستبقي احتلاله .. ولكن المؤامرة تكسرت على متانة الوعي الوطني عند الفئات الثورية .

في ضوء هذا التحليل للواقع اللبناني ، نستطيع ان نتعرف جميع المواقف ، الايجابية والسلبية ، في لبنان حيال الثورة الوطنيـــة التي تعرفون .

ولكن لماذا لا تسألونني الآن : هل نسيت أن حديثنا هـذا كان عن « الادب اللبناني والثورة » ، ولم يكن عن الثورة اللبنانية وحدها ؟.

الواقع أنني لا أزال الذكر أين انا من موضوع الحديث ، ولكـن أردت أن أصيد عصفورين بحجر واحد ، اذا صدقتم أنني ممن يضربون بالحجارة ! ..

أردت ـ أولا ـ ان احدثكم عن أصول ثورتنا الوطنية في لبنـان وجذورها ، وعن تركيب عناصرها وحقيقة أهدافها ، وتركت الكـلام عن نتائجها ، لان ذلك يخرج بنا عن نطاق الموضوع اطلاقا ..

وأردت ـ ثانيا ـ ان أرجع بموقف الادب اللبناني حيال هـذه الثورة الى مصادره الواقعية القائمة في تركيب المجتمع اللبناني ذاته ، وفي الاصول الثقافية والمفاهيم الفكرية التي تنطلق منها مواقف الادباء اللبنانيين جميعا في مزدحم الصراع القائم هناك قبل الثورة وبعدها .

لقد قلت في مطالع هذا الحديث ان الزمن الذي كان أعداء الحرية

حرية الشعوب ، يرسمون فيه طرق الحياة وطرق النشاط الانساني ، اشبه بالخطوط المتوازية التي لا تتلاقى أبدا ـ قد ذهب بعيدا الى غير رجعة ·· وعلى هذا الاساس ذاته نرى أن الادب ، وهو وجه من وجوه النشاط الانساني ، انما يشق طريقة عبر جميع طرق الحيـــاة وعبر جميع النشاطات الانسانية ·· بل نصحح هذا القول ، مؤكدين ان الادب ليس أكثر من انبثاق حي تعبر به الجماعات الانسـانية عـن بواعث نشاطاتها حينا ، وعن أهداف هذه النشاطات حينا ·· فكيف استطيع ، اذن ، أن أصف لكم أدب لبنان خلال الثـورة ، اذا جاريت ذلك المفهوم الرجعي ، وعزلت حركة الادب عن حركة الثورة ذاتها ؟ ··

غير أنه من صميم الواقع اللبناني ان اقول لكم ان هذا المفهـــوم الرجعي بالذات ، هو أحد المصادر التي حكمت على الكثيرين من أدباء لبنان أن يقفوا من الثورة الوطنية موقف الصمت او اللامبالاة ، بحجة ان للأدب حرما الهيا ، أو ملائكيا ، لا تدخله السياســـة ·· او أن للسياسة عمارة ابليسية او جهنمية لا ينبغي ان يدخلها الادب !

هذا المفهوم المتخلف من آثار الثقافة الرجعية الاستعمارية ، لا شك أنه هو الحاكم ـ في الاصل ـ على هذا الفريق من أدباء لبنان ان يقفوا من الثورة موقفهم ذاك ·· او هو الذي سلحهم ـ على الاصح ـ بهذه الحجة المتهافتة ·· ولكن للمسألة هنا وجها آخر ، فنحن لا نصدق أنهم يأخذون بهذه الحجة عن يقين ، بل يأخذون بها وسيلة مصطنعة وان كانت منطلقـــة عن واقع فكري لـــه جذوره الاصيلة في قـرارة تفكيرهم ·

ان صمت هؤلاء الفريق من ادباء لبنان حيال الثورة الوطنية ، انما هو ـ في الواقع ـ موقف محدد تجاه الثورة ، هـو موقف سلبي مقصود ، وليس مجردا من الغرض ، أي ليس هو اخـذا برأي أدبي انعزالي ، كما قد يبدو للنظر السطحي ، بل هو طريقة سلبية للتعبير عن رأى سياسي معاد للثـــورة ، تطلق من مصدره الواقعي الكامن في صراع القوى ذات المصالح المتناقضة ، أعنى صراع القوى المرتبطـــة مصالحها ، مباشرة ، بمصالح الرجعية المستغلة (بالكسر) ومصالح الاستعمار ، ضد قوى التحرر الوطني المرتبطـــة مصالحها بواقـــع الاستقلال الوطني ونهوض القومية العربية المتحررة ، اي القوميـــة التقدمية الديمقراطية ··

ومثل هذا الموقف الادبي حيال حركة التطور الانساني ، بعامة ، يفسر لنا المضمون الحقيقي لكل دعوة أدبية تظهر في هذه الايام ، في كل مكان ، باسم المذهب الفني القديم الداثر المعروف بمذهب « الفن للفن » ٠

لم يبق لمذهب « الفن للفن » في عصرنا العظيم غير مضمون واحد، هو معاداة التطور الانساني ، معاداة الحرية للشعوب ، معاداة الحركة النضالية العالمية التي تكافح الحرب والاستغلال والاحتكارات الامبريالية والاستعمارية في العالم ٠٠ ذلك لان وقوف جماعة من الادباء ، في اي بلد ، موقف اللامبالاة من هذه الحركة الزاخرة بالقوى ، ليس معناه الا قصد التقليل من شأن هذه القوى ، وافقادها عنصرا هاما من العناصر الدافقة الملهمة ٠٠

على أن هناك ، فريقا آخر من الادباء اللبنانين ، وقفوا من الثورة الوطنية موقفا اكثر جرأة وصراحة ٠٠ اذ أعلنوها حربا قلمية فظة على الثورة ، ورفعوا شعارات الرجعية والطائفية المصطنعة ضد شعارات الثورة ، بشراسة وبذاءة وضراوة ٠٠ وقد حفلت صحافة هذا الفريق ، ولا سيما صحافة العصابة المعروفة باسم عصابة « القوميين السوريين » ، بمثل هذه الشعارات القلمية ، ومكان حملة الاقلام من هذه العصابة في طليعة الكتاب المعادين للثورة الوطنية ٠٠

ولكن أهذا كل شيء في الادب اللبناني ؟ أهكذا كان كل مواقف الادب من الثورة في لبنان ؟ ٠٠

لا ، ان سوء الظن بالادب اللبناني الى هذا الحد ، ليس معناه التجني وحسب ، بل معناه أيضا اننا نسيء الفهم لحقيقة الادب ذاتها ٠٠ لان الادب ـ كما قلت منذ قليل ـ ليس الا انبثاقا من حركة الحياة ومن نشاط القوى الانسانية خلال هذه الحركة ٠ وذلك يعني أن لكل مجموعة من القوى المتحركة الفاعلة أدبها المعبر عن حركتها دفاعيتها وآمالها ومطامحها وأهدافها ، او الملهم لها والدافع لصفوفها نحو تلك الآمال والمطامح والاهداف ٠

وعلى هذا نقول انه كان لقوى الثورة اللبنانية التحررية أدبها أيضا ٠٠ كان هناك ادباء من لحم الثورة ودمها ، يعيشون ثوريتها في الصميم ، ويعايشون أبطالها في قلب الخنادق ووراء المتاريس وخلال المعارك بين لهب الرصاص ودوى القنابل وعصف الحقد البطولي المقدس ٠

كان للثورة أدباؤها المعبرون عن مبـــادئها الحاملون أنبـــل شعاراتها الرافعون أكرم راياتها ، الحافزون الى اشرف غاياتها ..

كان للثورة كتاب مناضلون يطلعـــون كل صباح ومســـاء على الثائرين في مراكز المقاومة الشعبية وفي الخنادق والمتاريس والبيوت والشوارع ، بمقالات نارية تحريضية ، وبمقالات تفضح مفاسـد الحاكمين الشمعونيين واذنابهم وعصاباتهم ، وبمقالات تكشف سوءآت المستعمرين وعملائهم ، وتهتك الاستار عن مناوراتهم ومؤامراتهم ، وبمقالات تدل القيادات الشعبية على مواضع الخطأ حين يصدر الخطأ ، وعلى مواضع الصواب حيث يكون الصواب ، وعلى مكامن القوى المخربة حيث تكمن هذه القـــوى ، وعلى فعاليـــات الرجعيين والانتهـــازيين والانهزاميين حيث تتحرك فعالياتهم هذه .

كان للثورة ادباؤها الذين اتخذوا صحفها واذاعاتها المحلية منابر حية تجلجل ، ليل نهار ، باحاديث البطولات الثورية في المعارك الحامية، وفي المقاومات السلبية ، وفي التعبئات الروحيـــة ، وفي التجمعات الشعبية ، وفي تضحيات الرجال والنساء بموارد ارزاقهم ، ومرابح اعمالهم ، ومهاد طمأنينتهم وفلذات اكبادهم ..

هناك أدباء لبنانيون حملوا السلاح ، وادباء افترشوا الخنادق، وادباء تعرضوا للاحكام العسكرية الشمعونية بالموت ، وادباء كانـوا يعقدون حلقات من الثائرين ، في مراكز المقاومة الشعبية ، يتدارسون معهم ظروف الثورة واحداثها يوما فيوما ، ويتتبعون واياهم تطورات السياسة العربية والعالمية خطوة فخطوة ، في تفهم علمي ويقظة وطنية مدركة .. وان كان يختلف مستوى مشاركة بعضهم في هذا كله عن مستوى مشاركة البعض الآخر ، كميا ونوعيا .

وليس من قبيل الاستقصاء والحصر ان اذكر في عـــداد هؤلاء الكتاب الاحرار الدكتور علي سعد ، واحمد سويد ، ورئيف خوري ، ومنير البعلبكي ، وسهيل ادريس ، ومحمد ابراهيم دكروب ، والخوري طانيوس منعم ، ويوسف خطار الحلو ، ونسيب نمر ، ولعلكم تغفرون لي ان أحشر اسم حسين مروه في هذا المجال ! ..

ولعلكم تعرفون ان أحد الكتاب الوطنيين ، وهو الشهيد نسيب المتني ، كان مصرعه على يد عصابات شمعون أحد الاسباب المباشـــرة لانفجار الثورة اللبنانية الوطنية .. وبذلك قدم الكتاب الوطنيون أول شهيد في معركة التحرر ..

ولكن حين نتحدث من هذا الفريق من الادباء اللبنانيين الشرفاء الاحرار لا نعني ان أدب الثورة في لبنان قد فجر كل طاقاته الابداعية ، بحيث يصبح القول ان النتاج الادبي نفسه كان معادلا لمستوى الثورة كميا ونوعيا ..

ولكي أكون أمينا للأدب والحق وللثورة نفسها ، يجب الاعتراف بأن الامر لم يكن كذلك واقعا ، فان النتاج الادبي الذي عايش الثورة فعلا وانصهر في لهبها ، لم يجاوز حدود المقالة اليومية .. أما الشعر ، واما القصة والرواية والمسرحية ، اما هذه الفنون الادبية كلها ، فلم تؤد مهمتها قط خلال اشتعال الثورة ، ولا خلال الانتقاض الرجعي على الثورة .. بل وقفت هذه الفنون جامدة راكـــدة ، حتى هدأت فورة السلاح والسواعد ، وبدأت فورة الصراع من جديد على وجه آخر .. وحينئذ رأينا الشعر يخرج من ركوده ، ورأينـا القصـــة تنفلت من خمائرها الطريئة ، ورأينا الرواية تحاول أن تجوس خـــلال الذكريات الملتهبة ، ولكن ذلك كله بتؤدة ربما كان وراءها تحفز للانطلاق .

ولعل هذه الظاهرة الادبية ليست بذاتها امرا غريبا ، فان المدى الزمني للثورة لم يكن كافيا لاختمار هذه الفنون وانطلاقها ، ولعـــل المفاجأة التي أطلعت الثورة بشكلها الذي حدث دون اعـداد كامل في النفوس ، ولا سيما نفوس الأدباء بالذات ، لعـل هذه المفاجأة كانت من العوامل الرئيسة في تخلف الشعر والقصة والرواية والمسرحية عن ركب الثورة .

ومهما يكن فأن المقالات اليومية التي عايشت نار الثورة ، يمكن أن نعدها حصيلة طيبة تدخل في باب الادب الثوري المعبر الصـــادق الوافر الحيوية ، فضلا عن كونها تسجل طابع المرحلة التاريخية التي حدثت الثورة اللبنانية في اطارها المحلي والقومي والعالمي .

أننا لننتظر منذ اليوم أن يبدأ الادب اللبناني بمختلف فنونـه واتجاهاته ، مرحلة تطورية تتساوق مع ظروف الصراع الذي يتخـذ الآن ، طابع العنف والضراوة بوجه جديد . وينبغي أن أقول هنـــا ان الجانب الرجعي في هذا الصراع يضم من أهل الادب اللبناني أكثر ممن يضمهم الجانب الوطني التحرري والتقدمي .. هـذا من حيث الكم وحده ، اما من حيث الكيف فأن الرجحان يكاد يكون معكوسا .

ولست أخرج عن الصدد اذا قرنت هذه المسألة بمسألة مفهوم

الديمقراطية في التقاليد اللبنانية ·· فان الظاهرة العجيبة لديمقراطية لبنان ، انها تحمل طابع التسيب المطلق ، وهو الطابع الذي يضع كل الفرقاء على صعيد واحد ، ويفسح للرجعيين واعداء الشعب الرقعة ذاتها التي يفسحها للوطنيين والتقدميين ·· وهذه الظاهرة ـ ولا شك ـ كثيرة الشرور بالنسبة لمصالح الشعب ، بل هي عقبة شديدة عنيدة دون تحرر الشعب وتطوره السياسي والاقتصادي والثقافي ، ولكنها أكثر شرا بالنسبة لقضية الادب والفكر ·· انها تفتح الطريق واسعا وعريضا لكل الافكار الرجعية والفاشستية والاستعمارية ، جنبا الى جنب مع الافكار والمفاهيم الوطنية والتقدمية البناءة ·· انها تكلف الادب الشريف والادباء الشرفاء حمل الاعباء الثقال في نضال عسير شديد تبهظه المشاق ، وتوزعه الى جبهات عديدة تقتضيه أن يحارب على كل جبهة منها بمقدار ما يحتاج الى القوة والسلاح والعتاد في سائر الجبهات ···

وهذا بالذات ما يقف بنا هنا ، في عراقنا الجديد العظيم وقفة الاجلال والرجاء معا ، ننظر الى حقيقة الديمقراطية النابعة من صميم تاريخه النضالي متوسمين فيها كل عناصر الديمقراطية الوطنية الواعية التي يكمن في طبيعتها ومضمونها ما ينفي عنها الزيف والرياء والانحراف ، ويزيح من طريقها ، حتى بالاساليب الديمقراطية ذاتها ، كل العوائق الموضوعية والمصطنعة ، لكي تقيم من مبادئها الصحيحة السليمة بنيان وطن متحرر حقا ، موطد الاركان على أسس الإستقلال المتطور ، ولكي ترفع لواء الفكر الوطني التقدمي الخالص من شوائب الرجعية ومفاهيمها الاستغلالية والقدرية ، ولكي تفتح أمام الفكر العربي كله ، وامام الوطن العربي كله ، السبيل الاقوم الى الغد السعيد الانور ·

ان عراقنا الجديد العظيم ، بديمقراطيته الوطنية الواعية المدركة لهو معقد الرجاء ، وقلعة القومية العربية التقدمية ، ومنبع الفكر العربي الابداعي ·

ومن هنا يدرك جميع الوطنيين الاحرار الشرفاء ، في ديار العرب عامة ، أن شعب الجمهورية العراقية ، مدعو اليوم ، وفي هذه اللحظات التاريخية الحاسمة بالاخص ، لان يحفز كل طاقاته النضالية ، وكل يقظاته المشهودة ، للحفاظ على جمهوريته وديمقراطيته وقيادته ،

حفاظا على مكاسب القومية العربية المتحررة ، ودفاعا عن قلاع الحرية جميعا في وطننا الكبير ، ووقاء للمعركة الضارية بيننا وبين الاستعمار والرجعية وعملائها أن تمتحن بالانتكاسات والانحرافات التي تحاول أن ترفع أعلامها اليوم باسم القومية العربية ذاتها ، زيفا ونفاقا ! ..

ان حريتنا جميعا رهن بهذه اليقظة الساهرة الواعية التي تدفع اليوم بشعب العراق الجديد العظيم الى الذياد عن جمهوريته وديمقراطيته وقيادته .

عاش العراق الجديد العظيم شعبا وجيشا وقائدا .

حسين مروه

« هناك مفهومان للدراسة ، المفهوم العقائدى الجامد الذي لا يعبأ بالاوضاع القائمة في البلاد بل يقلد دونما تمييز ما هو قابل للتطبيق وما هو غير قابل له ، وهذا مفهوم سيىء. والمفهوم الآخر القائم على شحذ الفكر اثناء الدراسة بما يتلائم مع الاوضاع القائمة في البلاد ، أي ان نستوعب الخبرة التي فيها فائدة لنا . وهذه الطريقة في مواجهة الامور هي التي نحن في حاجة اليها . »

* * * *

« ان مسألة الصواب والخطأ في الفن وفي العلم ينبغي أن تحل عن طريق نقاش حر بين اوساط الفنانين والعلماء، عن طريق ممارسة الفن والعلم ، ولا يجوز ان تحل باساليب مفرطة في السطحية . وغالبا ما يكون مرور الزمن ضروريا لتحديد ما هو صحيح وما هو خاطىء » .

« ماوتسي تونغ »

الأصول الحديثة للاستعمار في الشرق الأدنى

الدكتور محمود علي الداود

اختلفت الاراء في تسمية المنطقة الجغرافية التي يطلق عليها حاليا منطقة الشرق الادنى او منطقة الشرق الاوسط · وهذان التعبيران جغرافيان يتبعان التوزيع الجغرافي لمنطقة غرب آسيا وشرق البحر الابيض المتوسط ، وكان الكتاب الغربيون هم اول من استعمل هذه التعابير · وقد عنوا بتعبير « الشرق الادنى » ذلك الاصطلاح الذي وضعه الفرنسيون عن منطقة شرق البحر الابيض المتوسط اي الامبراطورية العثمانية وممتلكاتها في البلاد العربية ، وشبه جزيرة البلقان ودويلات الدانوب وجزر قبرص وكريت · وقد استعمل المؤرخون الفرنسيون اصطلاح (Proche Orient) اثناء كتاباتهم عن الامبراطورية العثمانية وعنوا بمسألة « **الشرق الادنى** » مسألة الدولة العثمانية أو **المسألة الشرقية** التي كانت مسرحا للمنازعات بين روسيا القيصرية وفرنسا من جهة وبين وزارة الخارجية البريطانية من جهة أخرى والتى كانت تتعلق بصورة مباشرة باتجاه التوازن الدولي على القارة الاوربية بصورة عامة ·

وقد اهتم المؤرخون الأوربيون بصورة عامة طوال القرن التاسع عشر بدراسة منطقة الشرق الادنى من حيث العلاقات الخارجية لبلادهم من جهة ، ومن حيث المصالح الاقتصادية من جهة ثانية · فاهتم المؤرخون الأوربيون بقضايا من شأنها اظهار الامبراطورية العثمانية بمظهر « **الرجل المريض** » مثل الحركات الارمنية واليونانية وادعوا ان الوازع الانساني هو الذي حفزهم على الاهتمام بالحركات الاستقلالية ! وكانوا في الغالب تحت تأثير موجة الدعاية السياسية لكسب رضى الرأى العام · كما أنهم أكدوا على **الاهمية الاقتصادية**

لبلدان الشرق الادنى مثل وقوع المنطقة على طرق التجارة العالمية وامكانية استغلال مرافقها الطبيعية لاغراض الشركات والمؤسسات الاوربية واخذوا يفكرون منذ بداية القرن التاسع عشر في مشاريع ربط منطقة الشرق الادنى بممتلكاتهم في الهند عن طريق الملاحة النهرية او طريق السكك الحديدية والقنوات ٠

وهكذا ، فان الكتابات الاوربية عن منطقة الشرق الادنى في خلال القرن التاسع عشر تتصف بميزة **المصالح الاستعمارية السياسية** من جهة ، وقضايا **الاحتكار الاقتصادي** من جهة ثانية ٠ وقد تناسى اولئك المؤرخون مع الاسف **الشعوب** التي كانت تقطن المنطقة واحوالها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وانظمتها السياسية البالية ٠ ولم ينحصر هذا الاهمال بالمؤرخين والكتاب فحسب ، بل تعداه الى التقارير الرسمية التي كتبها وكلاء سياسيون من المنطقة نفسها ٠ فاذا تصفحنا الوثائق الرسمية التي كتبها القنصل البريطاني العام في بغداد والوكيل البريطاني في مسقط والسفير البريطاني في طهران لرأيناها **خالية** من الاشارة الى مستوى معيشة السكان وتقدمهم الثقافي والصحي **ولم تكن المناطق التي سيطر عليها الانكليز في الشرق الادنى مباشرة احسن حظا من تلك التى كانت تحت الادارة العثمانية المباشرة ولا تزال بعض مناطق الخليج في منتصف القرن العشرين من اكثر البلاد « المتأخرة اقتصاديا » فقرا وتعاسة ٠**

أما تعبير **الشرق الاوسط** فهو اكثر حداثة ، وقد استعمله **العسكريون** على الخصوص بعد الحرب العالمية الاولى ٠ وقد ورد تعبير « الشرق الاوسط » لاول مرة في تقارير الكولونيل هنل (Hennell) القنصل البريطاني العام في مسقط خلال عصر محمد علي وسعيد بن سلطان ، وعنى بالتعبير منطقة **الخليج العربي** ٠ وقد زاد استعمال هذا الاصطلاح بعد مؤتمر الصلح في باريس وخاصة بعد ان استعمل على نطاق واسع من قبل المعهد الملكي للشؤون الدولية (تحت رئاسة البروفسور توينبي (Toynbee) في لندن الذي كان اول مؤسسة غربية اهتمت بالكتابة عن الشرق الاوسط ضمن بحوثها عن الشؤون الدولية بصورة عامة ٠ ويعنى بمنطقة الشرق الاوسط التي شملها تعبير الشرق الادنى (الامبراطورية العثمانية ومخلفاتها) باضافة كل من ايران وافغانستان وشمال افريقيا العربية ٠ وكل من هذين التعبيرين لا يزالان غامضين ٠ وقد اضافت معاهد الولايات المتحدة التي اهتمت

بالمنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ، دولا اخرى مثل الهند والپاكستان على أساس اجتماعي وليس على اساس سياسي · واذا نظرنا الى خريطة الشرق الاوسط بالنسبة الى معهد الشرق الاوسط في واشنطن نجد انها تتعدى المناطق التي ذكرتها اعلاه ، فتشمل سيلان والپاكستان ووسط آسيا السوفيتية اى العالم الاسلامي بأسره · **فاذن تسمية « الشرق الادنى » و « الشرق الاوسط » هى تعبيرات تقريبية ، وليست مطلقة مثلها كمثل تعبير « وسط آسيا »** ، فقسم من الاخصائيين يضم افغانستان اليها ، وقسم يضم كشمير ، وقسم يؤكد ان جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاسلامية هى جزء من منطقة آسيا الوسطى ·

أما اصطلاح « **العالم العربي** » فهو اكثر وضوحا من تعبيرات « الشرق الادنى » او « الشرق الاوسط » وذلك لان العالم العربي منطقة جغرافية محددة بصورة مطلقة وواضحة من ناحية التوزيع الجغرافي **وتمتاز بوحدة العنصر واللغة والتاريخ والعادات والشعور** · وتعتبر مصر البلاد التي يلتقي فيها عرب الشرق وعرب الغرب أما عرب الشرق فيشملون سكان الهلال الخصيب وجزيرة العرب والخليج العربى وحضرموت وعدن · وأما عرب الغرب فيشملون عرب وادى النيل (اي عرب مصر والسودان) وعرب ارتريا والصومال وليبيا وتونس ومراكش ونايجيريا · وهذة المنطقة تشمل كذلك البلاد المنسلخة عن الجسم العربي **قسرا** (مثل سنجق الاسكندرونة) **وكرها** (مثل عربستان بما في ذلك المحمرة) ·

تعتبر سنة ١٤٥٣ م نقطة تحول مهمة في العلاقات بين الشرق والغرب · فان سقوط القسطنطينية في تلك السنة بأيدي الاتراك فتح بوابة جنوب شرق اوربا بوجه القوات العثمانية العسكرية التي وصلت في زحفها في بداية القرن السادس عشر الى معاقل ڤينا وحدود پولونيا · وكان الاتراك العثمانيون قد هاجروا من مواطنهم الاصلية في وسط آسيا وغرب الصين منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي ، وبعد اكتساحهم وسط آسيا وايران استفادوا من ضعف الدولة العباسية فانحدروا غربا واحتلوا العراق وآسيا الصغرى · وكان السلاجقة الاتراك عاملا مهما في الحروب الصليبية وقد اعتبر المؤرخون الاوربيون التهديد العثماني للقارة الاوربية امتدادا للحروب الصليبية واعتبروا احتلال القسطنطينية نجاحا للخطط العسكرية الاسلامية

السابقة • وكان من نتائج فتح القسطنطينية (١) : زوال الامبراطورية البيزنطية (الامبراطورية الرومانية الشرقية) التي كانت في تزاحم شديد مع الامبراطورية الغربية والبابوية • وكان هذا التزاحم يرجع الى اختلاف مذهبي وفكري بين الكنيستين الشرقية والغربية •(٢) : وقوع طرق التجارة المهمة في المستقبل القريب عبر العراق والخليج العربي تحت السيطرة التركية • (٣) : بدأ ما يعرف بالمسئلة الشرقية فان احتلال الاتراك للقسطنطينية ساعدهم على الاستيلاء على حوض نهر الدانوب وأصبح هم الدول الاوربية الشاغل اتباع كل الوسائل السلمية والدبلوماسية والعسكرية وتكوين الاحلاف لارجاع القوات التركية الى آسيا الصغرى • وبعد ان ضعف الحكم العسكري التركي على شعوب نهر الدانوب انتقلت المعركة الى آسيا الصغرى نفسها حيث كانت السفارات البريطانية والفرنسية والروسية القيصرية تتدخل تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية للامبراطورية وتعمل على وضع الاقتصاد التركي تحت رحمة الاخصائيين الاوربيين وتحت تصرفات الشركات الاحتكارية الاوربية وكان الاوربيون يعملون كل ذلك تحت ستار « تجديد الامبراطورية العثمانية » وتحت « فكرة الاصلاحات » وكان هذا معناه تحقيق الامال الاقتصادية والسياسية للاستعمار الغربي من جهة وخلق نوع من التنافس بين الدول الاوربية على حساب الباب العالي الذي كان يحكم العالم الاسلامي معتمدا على نظام من الرجعية الدكتاتورية • (٤) : السيطرة التركية البحرية على حوض البحر الابيض المتوسط واستيلائهم على قواعد بحرية في كريت وقبرص مما اعتبر خطرا مباشرا لاحتكار الدويلات والمدن الايطالية لتجارة المنطقة • وبالرغم من اهتمام الاتراك في التوسع في بلاد العرب غير أن البلاد العربية اصابها الاهمال الاقتصادي والسياسي للخطر المباشر العسكرى الذي كانت اوربا تهدد الاتراك به عن طريق البلقان • وفي الوقت الذي كانت فيه الشعوب الاسلامية تحت نير الاستعمار التركي الرجعي تطيعه باسم الاسلام والخلافة كانت الشعوب الاوربية في البلقان وعلى حوض الدانوب ماضية في حركاتها الاستقلالية معتمدة بذلك على الدول الاوربية المتضاربة المصالح •

وفي عهد السلطان سليمان القانوني اتصل الشرق الادنى لاول مرة بالسياسة الاوربية اتصالا ظل حتى الوقت الحاضر • وقد انتهز الفرنسيون فرصة انشغال القوات التركية في الحروب البحرية في

اوربا الشرقية وانشغال الاسطول التركي في معارك البحر الابيض المتوسط ضد بحرية الامبراطورية الرومانية المقدسة فعملت على الحصول على امتيازات ومعاهدات من الدولة العثمانية تضمن لفرنسا حرية التجارة والمعاملة في الشرق الادنى • وهكذا بدأت مناطق النفوذ الاوربية في الشرق الادنى فقد ركزت السياسة الاوربية اهتمامها اولا في النواحي التجارية والاقتصادية وكان لا بد من الاستعانة بالحكام والولاة للمحافظة على مناطق نفوذهم التجارية وهذا أدى بالطبع الى التدخل المباشر في الامور المحلية وفي السياسة الداخلية لمقاطعات الامبراطورية العثمانية • وقد تبعت فرنسا دول اوربية اخرى مثل روسيا القيصرية وبريطانية والمانيا فتقدمت هذه الدول تطلب اعطائها مركز الافضلية أو السبق في التجارة العثمانية • وقد اهتم الاوربيون بالعراق ومناطق الخليج العربي لانها تكون الطريق التجاري العظيم بين الشرق والغرب ونتيجة لضعف النفوذ التركي والفارسي في منطقة الخليج العربي فقد شاهدت هذه البقاع منافسة دامية بين البرتغال وهولندا وفرنسا وانكلترا حول السيادة عليها • وكان البرتغاليون اول من دخل الخليج العربي من الاوربيين وذلك بعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح في اواخر القرن الخامس عشر ورأوا في موانيه قواعد مهمة للتموين في الطريق الى الهند • وكانت السياسة الاوربية في الخليج العربي متصلة اتصالا مباشرا بالوضع العام في القارة الاوربية نفسها ، فعندما انضمت البرتغال الى اسبانيا في بداية القرن السادس عشر انتهز الهولنديون فرصة ضعف مركز البرتغال في البحرين وبندر عباس فعملوا على تأسيس مراكز تجارية ومصانع لانتاج الحرير في جسك وبندر عباس ولكن انتعاشهم الاقتصادي لم يستمر وذلك لظهور المنافسة الفرنسية في الخليج العربي من ناحية وتبلور خطر لويس الرابع عشر على الاراضي المنخفضة من ناحية اخرى •

وقد بدأ النفوذ الانكليزي يركز اقدامه في الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر وذلك على اثر قيام الحكومة الفارسية بطلب مساعدة الاسطول البريطاني لاخراج البرتغاليين من البحرين وقد تم لهم ذلك في ١٦٢٢ • وقد جعل الانكليز قاعدتهم في ميناء بوشير الفارسي حيث قاموا في ١٧٦٣ بتأسيس وكالة سياسية تحولت بعد ذلك التاريخ الى مقيمية عامة ظلت في ذلك الميناء حتى تم انتقالها الى جزيرة البحرين العربية في ١٩٤٦ تحت اسم « دار الاعتماد

البريطاني في الخليج العربي » • ومن المعروف ان سجلات الحكومة البريطانية في الهند الرسمية **تذكر النشاط الواسع النطاق الذي قامت به « شركة الهند الشرقية » قبل فتح قناة السويس بمدة طويلة ، فقد نجحت تلك الشركة في فتح ما يعرف «بريد الصحراء» أو** (Desert Mail) **على الطريق بين اوربا الى الهند عبر حلب والكويت** • وترينا تلك الوثائق ايضا ان قوافل الجمال قطعت المسافة بين الكويت وبغداد في اواخر القرن الثامن عشر بثلاثين يوما ، وثمانين يوما بين الكويت وحلب وكانت السلطات البريطانية تستعمل **الرشوة لشراء ضمائر الحكام المحليين وزعماء القبائل للمحافظة على تلك القوافل** • وقد تمكن الانكليز ، نتيجة لضعف الدولة العثمانية ، من الحصول على سلسلة من الامتيازات في العراق وسوريا • وهكذا نجد عهد المماليك في العراق ، الذي انتهى بسقوط حكومة داود باشا في بغداد يمتاز بتدخله المباشر في العلاقات العراقية الداخلية ، وقد تبلور موقفهم في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وبدأوا يفكرون لاول مرة في بناء **سكة حديد** بين الاسكندرونة والكويت عبر ديار بكر والموصل وبغداد • وقد تمكنت شركة خاصة هي « شركة سكة حديد دجلة والفرات » الانكليزية من الحصول على امتياز لتحقيق هذا المشروع من الحكومة العثمانية في ١٨٥٦ • وقد اعتبر الانكليز مناطق الهلال الخصيب باجمعها طريقا تجاريا الى الهند •

وهكذا تأثرت سياستهم الخارجية وعلاقاتهم مع الامبراطورية العثمانية بهذه النظرية • وكانت السياسة الخارجية البريطانية في القرن التاسع عشر ، اي في الفترة التي اعقبت تأسيس النفوذ البريطاني في القارة الهندية ، تخشى قيام الدول الاوربية المنافسة لها ، وخاصة روسيا القيصرية وفرنسا ، بالاستيلاء على الهند • وفي الوقت الذي كانت القوات الروسية البرية تهدد افغانستان وحدود الهند الشمالية الغربية ، كانت فرنسا بعد السيطرة النابليونية على مصر تهدد موانىء الخليج • وقد اتصل نابليون مثلا بحكام فارس ومسقط وأمراء الهند لمساعدته في تنفيذ خطة عسكرية لغزو الهند وقد تبلورت هذه الخطة بعد معاهدة تلست (Tilsit) في ١٨٠٧ بين نابليون والاسكندر التي مهدت السبيل لتنفيذ خطته الهندية بالتعاون مع القوات العسكرية الروسية في وسط آسيا •

وقد تنفست وزارة الخارجية البريطانية الصعداء بعد انسحاب

القوات الفرنسية من مصر سنة ١٨٠٥ وبعد الفشل العسكري الذي اصاب الجيوش النابليونية في أوربا بصورة عامة بعد الحملة الروسية في ١٨١٢ ، ثم انهيارها الاخير في معركة واترلو • ولكن الارتياح البريطاني للاوضاع في الشرق الادنى اصيب بخيبة أمل نتيجة لظهور محمد علي باشا على مسرح السياسة العامة في الشرق الاوسط • وعلى هذا فقد قام اللورد بالمرستون (Palmerstone) وزير الخارجية البريطانية بمحاولات جدية لوقف الزحف المصري في سوريا وجزيرة العرب خشية السيطرة المصرية على طرق التجارة التي كانت بريطانية تستعملها في الشرق الاوسط • وكانت قوة محمد على معتمدة بالدرجة الاولى على المقدرة الفائقة التي اظهرها الجيش المصري في الميادين العسكرية من جهة وعلى تفهمه للدبلوماسية الاوربية من جهة أخرى •

لقد انتشرت في الاوساط البريطانية الدبلوماسية بعد ١٩٣٠ اراء مختلفة حول مستقبل العلاقات البريطانية في الشرق الاوسط ، فقد اتفقت الاراء الانكليزية السياسية على نظرية اللورد بالمرستون (Palmerstone) المعروفة بان محمد علي كان يهدف الى تأسيس أمبراطورية عربية قوية في الشرق الاوسط وسيعمل بعد القضاء على الامبراطورية العثمانية للسيطرة على طرق التجارة البريطانية الى الهند وكانوا يعتقدون ان الحملة المصرية ضد الحركة الوهابية ستوسع رقعة الاحتلال المصري في شرق جزيرة العرب والخليج العربي وان محمد علي كان جادا في بناء قاعدة بحرية له في جزيرة البحرين• ولقد أكد المؤرخون الفرنسيون على هذا النظرية من امثال بارولت (Barrault) وبونتي (Pontes) اللذين فسرا الصراع العسكري بين محمد علي ومحمود الثاني بانه صراع بين العرب والاتراك او بصورة اصح صراع بين القوميتين التركية والعربية •

ان النظرية السابقة كانت مغلوطة لعدة عوامل ، منها : (١) **ان العلاقة السياسية بين الحكام الاتراك والرعايا العرب لم تكن مبنية على أساس القومية بل على أساس الدين كما أن القومية العربية لم تكن واضحة العالم قوية الاهداف في فترة سيطر الجمود الفكري على المجتمع العربي الذي كان مجتمعا انعزاليا بسبب تأخره الاقتصادي من جهة وانعدام طرق المواصلات بين اجزاءه من جهة اخرى • (٢) : ان محمد علي لم يكن عربيا ولم يتكلم العربية ولذلك صعب عليه فهم العناصر العربية • (٣) : ان المعارضة التى لقيها حكم ابراهيم باشا**

في سوريا وفلسطين كانت احسن دليل على عدم وجود العامل القومي في العلاقات بين محمد علي وسوريا. (٤) : لم يعتمد محمد علي في تنظيم جيشه على عناصر عربية بل على عناصر فرنسية وتركية والبانيـــة . ولذلك يمكن القول بدون تردد ان الصراع بين محمد علي ومحمـود الثاني كان صراعا بين شخصيتين طموحتين ، ولا علاقة له بالقوميـة العربية .

من السهولة على المؤرخ ان يلاحظ تشابها بارزا بين شخصيتي محمد علي ومحمود الثاني . فالاثنان تداولا حكم الشرق الاوســط الاسلامي فيما بينهما حكما ديكتاتوريا دون الرجوع الى دستور مكتوب او مجالس تمثيلية ، ولكنهما حاولا الاصلاح لاجل معالجة قضـــايا الشؤون الخارجية المعلقة مع الدول الاوربية . وقد نجح محمد علي في القضاء على **النظام الاقطاعي** الذي اوجده المماليك ، ولكنه من ناحيـة أخرى نصب نفسه الملتزم الاكبر **والاقطاعي الاكبر** وجعل اراضي مصر الزراعية ترتبط به مباشرة . وكذلك الامر في **الصناعة المصرية** التي ربطها محمد علي بعجلة حكومته **الاوتقراطية** . وكانت **الزراعة المصرية** كما كانت الصناعة المصرية معلقة **بالمجهود العسكري** لمحمـــد علي .. ومعنى ذلك أن مجهود الفلاح المصري في الحقل وعناء العامل المصري في المصنع **كان يستهلك لخدمة اطماع شخص واحد وخدمة اغراضـــه التوسعية** ، وكان نجاح محمد علي معتمدا على مساندة الدبلوماسيـة الفرنسية له ووجود طبقة معينة من الاجانب عملت على تدريب الشباب المصري على اساليب العلم الحديثة . ولكن ذكاء محمد علي في امكانية « **تجديد مصر** » لاجل استخدامها جميعا لخدمة اغراضه العسكريـة ، أحدث أضرارا ساحقة بالشعب المصري الذي ظل فقيرا معدما في الوقت الذي كان الابطال المصريون يتساقطون على أبواب قونية وتريب .

وهكذا فشلت حركات الاصلاح المصرية بعد ضياع اهدافهـــا الاولى اي بعد فشل محمد علي عسكريا نتيجة للاحلاف العسكريـــة ضد مشاريعه التوسعية وهكذا انهار الاقتصاد المصري واصاب الزراعة المصرية الفوضى ، واهمل واتلف كثير من المصانع ، وتركت اعمـــال الري بدون اصلاح ، وكان على شعب مصر المسكين ان يخضع لجيـل جديد من عائلة محمد علي التي امتازت بعده بالتفسخ والتبذير عـلى حساب الشعب الذي رفع محمد علي من دكان للتبوغ في « قولة » الى بطل ظافر ..

وكذلك كانت الحال بالنسبة للسلطان محمود الثاني · فقد اراد التجديد وجلب الخبراء العسكريين الالمان لتدريب جيشه واصدر اللوائح الاصلاحية الواحدة تلو الاخرى ، ولكنه كان تحت ضغط مباشر ومتواصل من الدول الاوربية ، فكانت روسيا القيصرية لا تؤيد أية حركة اصلاحية أو دستورية الا اذا ارخت مطامعها التوسعية في البحر الاسود وكانت فرنسا تمثل نفسها حامية للاقليات الكاثوليكية في سوريا وفلسطين · أما بريطانية التي كان محمود الثاني قد اعتمد عليها ، فكانت تمانع الحركات الدستورية بحجة ان تطبيق الدساتير الحديثة والمجالس البرلمانية أمر مستحيل بالنسبة للامبراطورية الضعيفة ، في الوقت نفسه الذي تؤكد فيه وزارة الخارجية البريطانية وجوب معاضدة الحركات الدستورية في اليونان وايطاليا واسبانيا · وهكذا فشل محمود الثاني في ما نجح فيه محمد علي ، ولكن اهميتهما كانت واحدة · لقد بقيت الشعوب الاسلامية التي كانت تحت حكمها بعيدة عن الحريات الدستورية وكانت الامال العسكرية لكل من السلطان والوالي قد استنزفت الدماء الغزيرة والاموال الهائلة ·

وعندما حدثت ثورة ١٨٤٨ الدستورية في باريس وبرلين اهتز لها العالم الاوروبي بأسره فنشط الاحرار في روسيا وبولندا والاراضي المنخفضة واسبانيا وايطاليا والجزر البريطانية · أما العالم الاسلامي فظل جسما باردا هامدا بسبب الحكام القساة ·

وكانت **الشخصية الثالثة** المهمة في التاريخ الحديث للشرق الادنى في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، هو زعيم آل سعيد في مسقط ، سيد سعيد بن سلطان (١٨٠٥ ـ ١٨٥٦) الذي كان يملك بحرية قوية اعتبرت ثاني قوة بحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي ، بعد الاسطول البريطاني ، وقد استولى سعيد بن سلطان على ساحل افريقيا الشرق بما في ذلك زنجبار وضمها الى امبراطوريته الواسعة · وقد وقع سلسلة من المعاهدات التجارية مع بريطانيا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة · وكانت بريطانية تعتبره **حليفا** لها في تلك الحياة · وقد اتصل سعيد بن سلطان مع محمد علي والي مصر ، فيما يتعلق بالحركة الوهابية ، كما اتصل بفرنسا مع عهد نابليون الذي حاول ضمه الى فكرة غزو الهند · وقد مثلت هيأت دبلوماسية سلطنة مسقط في كل من انكلترا والباب العالي ومصر والولايات المتحدة كما بلغت اطماعه التوسعية حدا كبيرا ، حتى أنه

غزا البحرين عدة مرات ، واستولى على بلوجستان الايرانية بما في ذلك بندر عباس الذي ظل بيد مسقط حتى ١٨٦٢ · وكانت وفاة سعيد بن سلطان في سنة ١٨٥٦ قد اعتبرت نهاية لامبراطوريته · ففي تلك السنة تنازع اولاده عبدالمجيد وثويني الوش المسقطي وقد انتهى النزاع في مؤتمر عقد في الهند في ١٨٦١ ، بتوسط من اللورد كننك Ganning فعقدت معاهدة بين الاخوين قضت باعطاء مسقط ومستعمراتها على الساحل الفارسي الى ثويني ، أما زنجبار وساحل افريقيا الشرقي فقد اعطيت الى عبدالمجيد الذي تعهد بدفع أتاوة سنوية الى مسقط ·

وكانت الحركة الوهابية تمثل قوة اخرى محلية في الشرق الادنى · فبالرغم من كون الحركة الوهابية دينية بالدرجة الاولى انبعثت على أثر دعوة محمد بن عبدالوهاب لاجل تنشيط الاسلام من جديد واصلاحه ، ولكنها اتخذت ستارا سياسيا أيضا وخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وكان اخر مظهر من مظاهر الحركة الوهابية كفكرة حكومية سياسية ، هو تأسيس الحكم السعودي في الرياض في سنة ١٩٠١ · وكانت الامبراطورية العثمانية تحارب الحركة الوهابية ، لانها شجعت استقلال نجد عن الدولة العثمانية ، وبالرغم من نجاح محمد علي وابنائه في دحر القوات الوهابية في الفترة ١٨٠٩ ـ ١٨٤٠ ظلت الحركة الوهابية مستمرة ، كما ان قوة آل سعود ظلت سائدة في جزيرة العرب ، وقد حاول الاتراك في عهود ومختلفة ، وخاصة في عهد مدحت باشا ، والي العراق ، القضاء على الحركة الوهابية مرة ثانية · وكان الاتراك في السنين التالية يقدمون كل المساعدات المالية والعسكرية الى آل الرشيد ، زعماء حائل ، والى رؤساء الحجاز ·

وتعتبر سنة ١٩٠١ نقطة تحول مهمة في التاريخ السياسي الحديث للحركة الوهابية · ففي تلك السنة استطاع عبدالعزيز آل سعود بمساعدة الشيخ مبارك الصباح ، شيخ الكويت ، استرجاع الرياض عاصمة نجد وجميع شرق جزيرة العرب · أما الانكليز الذين اهتموا ايضا بالحركة الوهابية ونشاطها في شرق جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج العربي، فقد قاوموا تقدمها العسكرى ونشاطها الديني في تلك المنطقة · وذلك خوفا على مصالحهم السياسية والاقتصادية في حوض الخليج العربي ·

وقد اتصل الانكليز بواسطة سعيد بن سلطان مع محمد علي ، حاكم مصر لاجل وضع خطة موحدة للقضاء على الحركة الوهابية قضاء تاما ، ولكن المفاوضات فشلت نتيجة لعوامل استراتيجية بحتة ٠

أما ايران فقد كانت في هذه الفترة في بداية عهـــد الضعف ، وكانت قد خسرت افغانستان وقسما من ممتلكاتها في آسيا الوسطى التي ضمتها روسيا ٠ كما ان البحرية الايرانية ضعفت ، بعد وفاة نادر شاه ، في الخليج العربي، وكانت كل محاولة تقوم بها ايران في خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر للتأثير على افغانستان او الضغط العسكري على حدود الهند الشمالية الغربية تقابله انكلترا بهجـــوم بحري على ساحل ايران الجنوبي ٠ فعندما قامت ايران في سنة ١٨٢٧ بالهجوم على افغانستان واحتلت مدينة هزة عاصمة افغانستان قامت البحرية الانكليزية باحتلال موانيء فارس الجنوبية مثل بوشيل وبندر عباس ٠

اما شؤون ايران الداخلية فقد انحطت تدريجيا نتيجة للحروب المتواصلة بينها وبين تركيا والتي انتهت بعد توسط روسيا وانكلترا وعقد معاهدة ارخروم سنة ١٨٤٧ اذ وضعت الحدود بينهما بصورة نهائية (منها الحدود العراقية ـ الايرانية الحالية) وفي السنة التالية تولى العرش الفارسي الشاه « نصر الدين » الذي استمر يحكم فارس قرابـة نصف قرن حتى مصرعـه في ١٨٩٦ باسـلوبه الاوتوقراطي المعروف ٠

اما الامارات العربية الصغيرة على ضفاف الخليج العربي فقـد خضعت لسلسلة من المعاهدات كانت بريطانية قد اجبرتها على قبولها في ١٨١٩ و ١٨٢٠ و ١٨٣٠ ٠ وكل هذه المعاهدات عالجت قضـــايا غير سياسية مثل قضايا القرصنة وتجارة العبير ٠٠٠ ولكن بريطانية اعتبرتها معاهدات قانونية حددت مفهوم السيادة والحمايـة على تلك المناطق العربية وقد استمرت بريطانية في تفسيرها لتلك المعاهـدات تفسيرا لا يتفق مع روح العصر حتى القرن العشرين ٠

لقد امتازت منطقة الشرق الادنى في النصف الثاني من القـــرن التاسع عشـــر باهميتها بالنسبة للتزاحم العسكري والاقتصـــادي الاوربيين ٠ وذلك لتقدم الصناعة في القارة الاوربية من جهـة وازدياد عوامل الاستعمار الحديث ووضوحها في هذه الفترة ٠ وقد امتازت منطقة الخليج العربي بحدة المنافسات الاوربية واصبح النفوذ البريطاني

في المنطقة عرضه لتنافس شديد من الدول الاوربية الاخرى ٠

بالرغم من حركة الاصلاحات التي شجعها السلطان محمود الثاني في الامبراطورية العثمانية بتاثير من روسيا والدول الغربيـــة ، فان الوضع الداخلي في تركيا وممتلكاتها لم يتحسن كثيرا ، وبقي نظـام الحكم فيها بعيـــدا عن التنظيم الدستوري الصحيح وكانت بـوادر الانشقاق قد ظهرت في الامبراطورية العثمانية قبل ذلك ٠ وقد اعتبر ظهور محمد علي واستقـلاله في مصر وتوسعه في ســوريا وفلسطين وجزيرة العرب وتهديده العسكري المباشر للاستانة نفسها اهم عامل في اضمحلال الامبراطورية العثمانية عسكريا ٠ أما بلاد العرب بما في ذلك نجد وعسير واليمن فقد كانت متمتعة باستقلال عن استنبول ولا عـلاقة لها بها الا فيما يتعلق بدفع الضرائب ٠ وقد كانت الحـركة الوهابية تهدد في الدرجة الاولى مركز تركيا في العراق وقد حاول والي العراق القوي مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) اعادة قوة الامبراطورية في شرق الجزيرة والساحل الغربي من الخليج العربي ٠ وقد قام بحملة عسكرية لغزو الاحساء والقطيف ونجد ولكن عزله عن ولاية بغـداد قد اضعف جهود تركيا في القضاء على الحركات المعارضة في جزيـرة العرب كما أضعف مركزها عموما في جنوب العراق والخليج العربي ٠ وقد حاول السلطان عبدالحميد وقف التدخل البريطاني في الشؤون الداخلية العراقية عن طريق ضرب المشاريع البريطانية الاقتصاديـة وقد كان عـدوا لدودا لشركة لنج Lynch التجـارية التي احتكرت بواخرها التجارة العراقية على نهر دجلة كما قام في الاستانة نفسها باهمال السفير البريطاني والتقرب على قدر الامكان من روسيا ، كما كان ينازع موقف بريطانية صراحـــة في الكويت والبحرين ٠ وكان يعتقد ان جميع الساحل العربي من الخليج العربي حتى حدود مسقط يقع ضمن الحماية العثمانية ٠

وفي ١٩٠١ عندما حاولت المانيا بتشجيع من السلطان عبدالحميد مد سكة حديد برلين ـ بغداد الى الكويت احتجت بريطانية على قبول السيادة التركيـــة على الكويت ولكنهـــا سرعان ما عادت فاعترفت بالحقوق السلطانية على الكويت ٠ وقد ازداد الشقاق بين السلطـان عبدالحميد والسفراء الانكليز في الاستانـــة مثـــل لايارد (Layard) ووايت (White) على اثر الاحتلال البريطاني للاراضي المصرية في سنة ١٨٨٢ وقد اجاب السلطان العثماني على الاعتـداء البريطاني بتسليح

منطقة شط العرب ومنع السفن البريطانية الحربية من الاقتراب من المياه العثمانية الاقليمية في الخليج العربي كما قام بعرقلة اعمال شركة لنج في العراق · ان احتلال بريطانية لمصر كان اعظم ضربة وجهت الى السلطان عبدالحميد في السياسة الخارجية وقد ظل حتى وفاته حاقدا على بريطانية ولم يعترف بحكمها في مصر ·

وكانت العلاقات البريطانية قد ساءت مع ايران كذلك · فان الحرب الانكليزية ـ الفارسية لسنة ١٨٥٥ ـ ١٨٥٦ قضت نهائيا على مقدرة ايران العسكرية للدفاع عن نفسها كما قضت على امالها باسترجاع حكمها على افغانستان · وكانت نتيجة تلك الحرب ان ضعف نفوذ حكومة طهران على الاقسام الجنوبية للمملكة التي أصبحت تعتبر منطقة نفوذ بريطانية· وكان نصر الدين شاه قد قضى قرابة نصف قرن على عرش الامبراطورية الفارسية (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) وقد امتازت ايران في عهده بانهيار قاسي في نظامها الاقتصادي وشؤونها الادارية وقد تقاسم اخوانه الامراء من عائلة آل قاجار جميع المقاطعات الايرانية وكانت حصة الاسد قد اعطيت الى أخيه الاكبر ظل السلطان الذى كان حاكما على جميع المقاطعات الجنوبية الغربية · وفي عهد الامير الاخير تغلغل الانكليز في حوض نهر الكارون وحصلت شركة لنج التجارية نفس الامتيازات التي حصلتها في العراق · لقد استهدفت انكلترا استغلال نهر الكارون للملاحة وحاولت اقناع الشاه منح الشركات البريطانية امتيازات خاصة بمد سكة حديد على طول الساحل الايراني على الخليج العربي · وقد تردد الشاه في قبول العروض الانكليزية وذلك لان روسيا القيصرية كانت مستعدة لان تقدم نفس الطلبات في الشمال · وقد تبلورت في ايران حركة قومية دينية ضد الاستغلال الاقتصادي الاجنبي **وقد وصلت هذه الحركة اوجها في خلال الثورة التي قام بها الشعب الايراني ضد احتكار بريطانية لتجارة التبوغ في سنة ١٨٩٢ وقد طالب الشعب الشاه بالغاء امتياز شركة رويتر في هذا الخصوص ، وعندما تلكأ الشاه في تلبية مطاليب الشعب ثار الناس وأيدهم في ذلك الروس الذين قاوموا المشروع الاقتصادي البريطاني المذكور · وقد وقف علماء الدين موقفا وطنيا يساندهم في ذلك علماء المسلمين في كربلاء والنجف الذين أفتوا ضد التدخين · وقد اضطر الشاه نتيجة للضغط الشعبي الى الغاء امتياز شركة التبوغ وقبل ان**

يدفع للشركة تعويضا مقداره نصف مليـــون باون ، وكان عليـــه ان يستقرض هذا المبلغ ، اما من البنوك الانكليزية او الروسية ٠

ان اهم عامل في ضعف حكم آل قاجار في ايران هو تشكي الشعب من الاستغلال الذي كان قد فرضه عليه أمراء العائلة المالكة وخاصـة ظل السلطان ونائب السلطنة ٠ وكان الاول حليفا للسياسة البريطانية بصورة علنية وكان يعتقد باحقيته في العرش وبامكانية بريطانيـــة مساعدته للحصول على آماله السياســـية وكان الثاني قائد الجيش وكان يميل الى السياسة الروسية ٠

أما العامل الثـــاني في اضعاف حكم آل قاجار فكان ظهـــور **حركة جمال الدين الافغاني الاصلاحية الذي دعا الى استقلال ايـران في السياسة الخارجية وتحسين احوالها الاقتصادية والادارية في العلاقات الداخليـة وابعاد الاقتصـــاد الايراني عن الاحتكار الذي تفرضـــه الشركات الاجنبية في المرافق العامة وخاصـة المواصلات ٠ ونتيجـة للرحلات التي قام بها جمال الدين الافغاني الى الهند ومصر والاستانة فقد كسب لنفسه اعوانا كثيرين كما ان زياراتـه لفرنســا وانكلترا وروسيا قد ساعدته على تفهم التقدم العلمي والصناعي والفكري الذي وصلته الحضارة الاوربية** ، وقد اعجب بالانظمة الدستورية في اوربـا الغربية واعجب بالمجالس التمثيلية ٠ وقـــد ازدادت مطاليب الشعب الايراني الدستورية بعد اغتيال الشاه **نصر الدين** في سنة ١٨٩٦ بيد أحد تلامذة جمال الدين المدعو مرزه مهدي ٠ وكان في عهد **مظفر الدين** يمتاز بعنف الحركة الدستورية من جهة وبازدياد حدة الصـراع بين انكلترا وروسيا من جهة اخرى ٠

وقد ظلت روسيا القيصرية الى سنة ١٩٠٧ صاحبة الكلمة العليا في ايران ، وقد رفضت تقسيم المملكة بينها وبين انكلترا ، كما رفضت الاعتراف بمنطقة الخليج العربي وخاصة الساحل الايراني منطقة نفوذ بريطانية ٠ وقد زاد النفوذ الروسي في طهـران نتيجة للقروض التي قدمتها روسيا للميزانية الايرانية ، وتقوى مركزها أيضا لانشغـــال بريطانية في حرب البوير في جنوب أفريقيا في فترة مابين ١٩٠٠-١٩٠٢ وكان بامكان روسيا في هذه الفترة اخضاع جميـع ايران عسكريا لو أرادت ذلك وخاصة بعد النجاح المحسوس الذي نالته الدبلوماسية الفرنسية في مسقط ، اذ وقع فيصل بن تركي على معاهدة صداقة مع فرنسا بدون اللجوء الى استشارة الحكومة البريطانية في الهند حسب

الاصول المرعية · ولكن انتهاء حروب جنوب افريقيا لصالح الانكليز واندحار القوات الروسية البرية والبحرية أمام اليابان في سنة ١٩٠٥ قد أدى الى الاتفاق البريطاني ـ الروسي حول تقسيم ايران في سنة ١٩٠٧ وقد وقعت جميع المقاطعات الايرانية الجنوبية بضمنها الموانىء الايرانية على ساحل الخليج العربي بأيدي بريطانية كما وقعت مقاطعات شمال ايران تحت النفوذ الروسي ، وبقي الشاه ملكا على طهران فقط· ومنذ ذلك التاريخ حتى الحرب العالمية الاولى تعاونت روسيا وانكلترا في الشرق الاوسط ضد النفوذ الالماني في الامبراطورية العثمانية ·

أما الوضع في الخليج العربي فقد ازداد تعقيدا بالنسبة للسياسة الخارجية البريطانية · فلقد ازداد نفوذ الحركة الوهابية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في جزيرة العرب وسواحل الخليج ، وتمكنت من اكتساح جميع شرق الجزيرة والاستيلاء على واحة البريمي التي كانت قد وقعت ضمن مناطق نفوذ الوهابيين منذ أوائل القرن التاسع عشر · وقد قاوم الوهابيون بشدة في هذه الفترة أمير حائل محمد بن الرشيد الذي كان يستخدم من قبل الاتراك لرد الغارات الوهابية على الاراضي السورية ·

ان أهم العوامل المباشرة في نجاح الحركة الوهابية في نهاية القرن التاسع عشر هو الموقف الذي اتخذه الشيخ مبارك الصباح منها ، فقد ساعد مبارك فعليا محاولات عبدالعزيز السعود الذي كان قد التجأ وأبوه الى الكويت في الهجوم على الرياض واسترجاعها من ابن الرشيد · وكان ذلك في ١٩٠١ وكانت تلك الانتصارات التي أحرزها الوهابيون في جزيرة العرب تعتبر مقدمات لتأسيس حكم آل سعود في الجزيرة بأكملها بعد مدة وجيزة · ففي سنة ١٩١٣ احتل السعوديون حائل وقرى شمر في شمال الجزيرة ، وقد وقفوا أثناء الحرب العالمية الاولى على الحياد بالنسبة الى الاتراك والانكليز ولكنهم استفادوا ماليا من الطرفين ·

اما **الكويت** فقد استمر فيها النفوذ البريطاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبانت أهميتها نتيجة **لعاملين مهمين** : (١) محاولة المانيا بموافقة تركيا مد سكة حديد برلين ـ بغداد الى خليج الكويت ، مما أدى الى تخوف بريطانية من منافسة دولية لها في مياه الخليج العربي في فترة ازداد فيها النفوذ الالماني الاقتصادي في آسيا الصغرى · (٢) ظهور **النفط** في الكويت في سنة ١٨٩٥ · وقد طلبت

بريطانية من الشيخ مبارك الصباح في سنة ١٨٩٩ الموافقة على اتفاقية أعطت حق الحماية لبريطانية على الكويت كما حصرت حق التنقيب واستخراج النفط في الكويت بالشركات الانكليزية فقط. وهذه المعاهدة لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر **بالرغم من التطورات الفكرية والوطنية التي مرت بها الكويت منذ ذلك الحين** . وكانت الكويت على صلات طيبة مع الشيخ خزعل حليف الانكليز فى المحمرة . وقد حدث في حينه انشقاق في عائلة آل صباح نفسها حول المعاهدة وذلك لان قسما منهم كان يميل الى تركيا التى كانت تتساوم على أملاكهم في جنوب العراق . ولم تهدأ الدبلوماسية البريطانية الا بعد التوقيع على معاهدة ١٩١٣ الدولية بين انكلترا وروسيا والمانيا وتركيا حول سكك الحديد عبر العراق والمنتهية بخليج الكويت . وفي تلك السنة بالذات أعطى الشيخ مبارك الصباح لاول مرة امتياز التنقيب عن النفط في صحراء الكويت لشركة انكليزية .

وكان موقف آل صباح فى الحرب العالمية الاولى هو التعاون مع المجهود العسكري البريطاني فى العراق ومع عبدالعزيز السعود في حروبه مع ابن الرشيد . وفي هذه الفترة كانت علاقات الكويت ببعض الامارات العربية فى الخليج ضئيلة **وذلك لأن معاهدة ١٨٩٩ منعت الكويت من أي اتصال مباشر مع عرب الخليج الا بموافقة الوكيل السياسي البريطاني في الكويت والمعتمد البريطاني العام في البحرين . وقد قامت انكلترا بعقد سلسلة من المعاهدات مع بقية أنحاء الخليج وكانت غايتها جميعا هي تقسيم مناطق الخليج العربي الى مشيخات صغيرة جدا يخاف بعضها من بعض . وبذلك سهلت هذه العلاقات الحماية البريطانية في الكويت والبحرين وقطر وساحل عمان ومسقط.**

أما أهمية مسقطالسياسية فقد قلتفى النصف الثاني منالقرن التاسع عشر ، وذلك للانشقاق الذي حصل في الامبراطورية التىخلقها سعيد بن سلطان . وقد باتت أهمية امامة عمان في هذه الفترة ، اذ ثار العمانيون في سنة ١٨٦٩على سلطان مسقط الذياعترف باستقلالهم الذاتي . اما من ناحية العلاقات الدولية فقد ظهرت أهمية مسقط سنة ١٨٩٨ على أثر **المعاهدة السرية** التي عقدت بين فرنسا ومسقط أو بعبارة أخرى بين القنصل الفرنسي Ottavi والسلطان فيصل بن تركي. وقد اتبعت حكومة الهند البريطانية أساليب قاسية ضد السلطان فيصل الذي هدده المقيم البريطاني بالعزل ، وأجبر السلطان على الغاء المعاهدة

الفرنسية ، والتوقيع على معاهدة جديدة قاسية منعت سلطنة مسقط من الاتصال الدولى بصورة قانونية أو سرية بأي جهة أجنبية بدون موافقة حكومة الهند البريطانية • وفي هذه الفترة بالذات كانت مسقط تحت ضغط متواصل من الحركات العسكرية التى كان يقوم بها العمانيون • فكانت ثورة ١٨٩٥ تعتبر كذلك من العوامل التىأضعفت حكومة مسقط وجعلتها تخشى منالاتصال مع عمان الداخلية وقد هاجم العمانيون ميناء مسقط بقوات عسكرية كبيرة فاضطر فيصل بن تركي الى طلب المساعدة من البحرية الانكليزية ولكن حكومة الهند البريطانية أرسلت معلومات أكيدة الىالمقيم البريطاني فىالبحرين بوجوب الوقوف على الحياد فىالصراع بين مسقط وعمانوقد أدى هذا الى قبولالسلطان المسقطي لمعاهدة الصلح التى أشرف على وضعها الوكيل السياسى البريطاني والتى اعترفت بصراحة باستقلال عمان الذاتي •

خلاصة

ان العلاقات الخارجية الاوربية بالشرق الادنى في خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تتبدل كثيرا ، وذلك لانها اتبعت الاساليب والمبادىء نفسها في ما له علاقة بالتوازن الدولى فى القارة الاوربية بصورة عامة •

ان الاستعمار السياسي والاستغلال الاقتصادي والتوسع الذي حدث فى الجيوش البرية والاساطيل اتخذ نطاقا واسعا بعد حرب القرم سنة ١٨٥٥ ومؤتمر باريس فى السنة التالية بالرغم من انتعاش الحركات الدستورية الراديكالية في اوربا على أثر ثورات ١٨٤٨ • فان التقدم العلمي والحركة الصناعية ونشاط الدول الاوربية الصناعية مثل فرنسا وانكلترا والمانيا قد فسر دخول فكرة الاستعمار في مرحلة جديدة ومفهوم جديد • لقد ظهرت فى القارة الاوربية حركات فكرية انسانية ذات أهداف تنظيمية معينة للعمال ورأس المال منها **الحركة الماركسية** التى كانت نواة لظهور الحركات الاشتراكية في انكلتراوفرنسا والمانيا ، وأساسا للحركةالنقابية العمالية فيغرب أوربا• **ولكن هذه الآراء كانت بعيدة عن منطقة الشرق الادنى التى اعتبرها الاوربيون سوقا مفتوحة لتجارتهم وصناعتهم** • لقد وصل الاستعمار الانكليزي أوجه فى العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وظهرت حركات فكرية دافعت عن الاستعمار يتزعمها شخصيات رجعية مثل Curson نائب الملك البريطاني فى الهند وكبلنك Kipling

ورودس Rhrodes الذين دعوا الى **سيادة الرجل الابيض** • وقد اتبعت فرنسا سياسة استعمارية واضحة مبنية على نشوء الصناعة الفرنسية في عهد الجمهورية الثالثة ، وكانت السياسة التى رسمها الاستعماري الفرنسي جول فرى Ferry واضحة في ما يتعلق بالتوسعات الاستعمارية الفرنسية في شمال افريقيا العربية • ان بريطانية التي جابهت معارضة عسكرية من قبل نابليون في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، أخذت تلاقي مقاومة عنيفة من الاستعمار الفرنسي في النصف الثاني من ذلك القرن • لقد كانت كل من باريس ولندن تتآمر ضد الاخرى في القضايا المتعلقة بقناة السويس والمسئلة المصرية ومن المعروف ان انكلترا في سنة ١٨٨٣ سبقت فرنسا الى احتلال مصر، وقد رفضت الاخيرة الاعتراف بالاحتلال البريطاني لمصر حتى ١٩٠٢ اي حتى الحلف الثنائي بين انكلترا وفرنسا حين اعترفت انكلترا بالسيادة الفرنسية على تونس وباحقية فرنسا في مراكش • وقد قاوم الاستعمار الفرنسي في اعالي النيل النفوذ البريطاني في مصر والسودان ، وما **حادثة فاشودا** (١٨٩٨) الا دليل واضح على الاصطدام المسلح بين مناطق النفوذ الانكليزية والفرنسية في القارة الافريقية ، ذلك الاصطدام الذي احاطه الكتاب الانكليز والفرنسيون بالاساطير والخرافات التي جذبت المباديء الاستعمارية الى صفوف الرأي العام ، كما ان الاصطدام بين فرنسا وانكلترا كان واضحا في **حادثة مسقط** في السنة نفسها ، اذ قام اللورد Curson نائب الملك في الهند بارسال اسطول بريطاني ضخم تحت قيادة الاميرال دوكلاس Douglas قائد الاسطول البريطاني في المحيط الهندي ، لاجل اجبار السلطان فيصل بن تركي علي رفض تعهداته السابقة مع فرنسا وقد طردت السلطات البريطانية القنصل الفرنسي من تلك الميناء • وقد أكدت الوثائق البريطانية الرسمية ان فرنسا كانت تعمل في منطقة الخليج العربي وفق خطة مرسومة مع روسيا وكان هدف الدولتين السيطرة على الخليج العربي الاولى في مسقط والثانية في بندر عباس ، وذلك لاضعاف خطوط التموين البريطانية الى الشرق الاقصى من جهة ، واضعاف القوات العسكرية البريطانية في حرب جنوب افريقيا • وكان النفوذ البريطاني قد انهار في ايران ، وذلك لتمكن روسيا من السيطرة الاقتصادية على طهران من جهة ، وظهور قوة روسيا الاقتصادية في آسيا الوسطى من جهة ثانية • وكانت السياسة الاقتصادية الروسية ترمي الى عدم الدخول في حرب فعلية مع بريطانية

في آسيا مع العمل على اضعافها اقتصاديا · وقد قامت روسيا بربط جميع مناطق آسيا الوسطى الى باميل بسكك حديد ذات اغراض عسكرية · وبذلك تمكنت روسيا في هذه الفترة من التاريخ الحديث من السيطرة على كل من الشرق الاوسط والشرق الاقصى في آن واحد ·

أما **المانيا** فقد كانت دولة صناعية مهمة ، ولكنها لم ترعب انكلترا في أول الامر · اذ ان الدوائر البريطانية في لندن وسفاراتها في الاستانة وطهران وحكومة الهند البريطانية أجمعت على ان ظهور الاقتصاد الالماني في الامبراطورية العثمانية والخليج العربي سيضعف المنافسة الاقتصادية الروسية · وقد تمكنت المانيا من الحصول على امتيازات مهمة من الدولة العثمانية ، ذلك لان سياسة عبدالحميد الثاني كانت موجهة ضد المصالح الاحتكارية البريطانية في شط العرب ودجلة والفرات وانتقاما من بريطانيا لموقفها من القضية المصرية·

ان التغيير الجوهري الذي حصل في العلاقات الدولية في الشرق الادنى هو الاتفاق الروسي ـ البريطاني لسنة ١٩٠٧ اذ انقسمت ايران الى مناطق نفوذ شمالية روسية وجنوبية بريطانية وقد حدث هذا على أثر العلاقات الجديدة بين روسيا وفرنسا وانكلترا من جهة وبين المانيا وتركيا والنمسا من جهة ثانية ·

لقد ظن الاستعماريون في سنة ١٩٠٧ أن المشكلة الايرانية ستختفي من الوجود بمجرد هذا التقسيم ، ولكن الذي حدث هو الانفجار الهائل الذي حدث في الشعب الايراني في فترة ما بين ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩ ، وكان تكملة للحركات الدستورية الوطنية التي كانت موجودة **من عصر جمال الدين الافغاني** والتي تبلورت نتيجة للضغط الاقتصادي البريطاني والروسي على ايران · **ان الاستعمار الممثل بالتزاحم الاقتصادي والاهداف التوسعية وسياسة الاحلاف العسكرية هو العامل الاهم في اشعال نار الحرب العالمية الاولى · وقد ولد الاستعمار الاوربي في الشرق الادني رد فعل شديد فنشأت حركات وطنية ظهرت على اشكال دينية وقومية · منها حركة جمال الدين الافغاني في ايران وافغانستان والهند ، والحركة الوطنية المصرية التي تبلورت بعد احتلال بريطانية لمصر في سنة ١٨٨٢ ، وثورة المهدي السودانية سنة ١٨٨٤ · وكانت اهداف الحركات الوطنية هذه هي استقلال البلاد الاسلامية وابعادها عن الاستغلال الاقتصادي الاجنبي ·**

الدكتور محمود علي الداود
كلية الآداب ـ بغداد

بحث مقارن عن التعاونيات الزراعية

الى اي مدى يستطيع العراق الحديث ان يقتبس تجارب الديمقراطيات الشعبية ؟

الدكتور عبد الجليل الطاهر

١ ـ تختلف الحركة التعاونية الزراعية في أهدافها ومراميها ، وفي طرقها ووسائلها ، وفي برامجها وخططها ـ بالنسبة لاختلاف عاملي الزمان والمكان ـ فهي مثلا في الصين الشعبية تختلف عنها في يوغوسلافيا ، وهي في الاتحاد السوفيتي غيرها في رومانيا وبلغاريا . وبالرغم من كل هذه الاختلافات التي تنبثق عن البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وعن المرحلة الاقتصادية والسياسية التي يمر بها كل أقليم ، فقد تهدف الحركة التعاونية الى تحويل المجتمع الاقطاعي ـ الرأسمالي ـ المتميز بالاستغلال والقنانة الى مجتمع اشتراكي كما هو الحال في الصين الشعبية ، أو قد تكون وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي ، وحل مشكلة التكاثر السريع في السكان كما هو الامر في الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

ولما كانت الجمهورية العراقية على عتبة البدء في الحركة التعاونية الزراعية كان من الواجب الاطلاع الكافي على ما حققته دول الديمقراطيات الشعبية في شرقي أوربا والاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية للافادة من الخبرات والتجارب العلمية ومحاولة تطبيق ما يناسب البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وما يلائم « المناخ العقلي » للمجتمع العراقي في مثل هذه المرحلة الانتقالية ـ حيث تحول المجتمع من حكم اقطاعي ـ استغلالي بشع الى مجتمع ديمقراطي شعبي يضمن للمواطنين كافة مستوى لائقا من المعيشة .

لقد مضى على الحركة التعاونية الزراعية أكثر من ثلاثين سنة ـ كانت زاخرة بالمعجزات ، ومليئة بالانجازات العظيمة ، التي ولا شك بانها تفيدنا في رسم الخطوط العامة العريضة في السياسة التي ننتهجها

في تطبيق التعاونيات الزراعية • ولكن يجب ان لا نستهين في الصعوبات والمشكلات التي تنبثق من البيئة الريفية العراقية ، ولا نغمض العين عن الاشاعات والاراجيف التي سيروجها الانتهازيون وايتام العهد البائد •

الحركة التعاونية الزراعية حركة شعبية جماهيرية تهدف أولا وقبل كل شيء انقاذ أكثرية الشعب ـ وهم من الفلاحين ـ الذين تبلغ نسبتهم في احصاء السكان ـ حوالي ٧٨ بالمائة من الفاقة السوداء ، وتخليصهم من براثن المرابين الجشعين ، والعمل على رفع مستواهم المعاشي ، والى توسيع الانتاج الزراعي وزيادة كفايته ، والى تشجيع الاستثمار الواسع من قبل التعاونيات ـ والى ربط كل ذلك بتغيير وسائل الانتاج من حيث التملك والنوعية ـ باعتبارها الوسيلة الفعالة في التحول الاجتماعي من الاقطاع الى التعاون •

٢ ـ الخطوط العامة ـ العريضة للحركة التعاونية الزراعية في الديمقراطيات الشعبية :

يمكن تلخيص الخطوط العامة ـ العريضة للحركة التعاونية الزراعية في النقاط التالية :

أ ـ ملكية الارض :

تختلف الدول الديمقراطية الشعبية في الصفة القانونية لملكية الارض ـ فقد تعتبر في بعض الدول ملكا للعوائل أو للافراد • بينما اتبعت دول أخرى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي سياسة تأميم الاراضي وجعلها ملكا للدولة • هذا مع العلم ان الدول الديمقراطية الاخرى التي لم تشرع بعد بمرحلة تأميم الاراضي قد اختطت للحركة هدفا نهائيا ـ طويل الامد ـ يقضي بالتأميم • ولهذا يعتبر الاعتراف بحق التملك العائلي أو الفردى ليس هدفا بحد ذاته جامدا ومستقرا ، وانما هو وسيلة للاستثمار في فترة انتقال ـ قد تقصر وقد تطول تبعا لسياسة الدولة التعاونية ـ الى مرحلة أخرى يضيق فيها المجال على هذا النوع من التملك ، ويؤكد على النوع الثاني • اذ لابد وان تنسجم الحركة التعاونية من حيث اسسها مع النظرية العامة للاشتراكية التي تقضي بالغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج للحيلولة دون الاستغلال • ولما كانت الارض الوسيلة الانتاجية التي خولت اصحابها امتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، التي من مجموعها تكونت لدينا

مؤسسة الاقطاع القائمة على « القنانة » و « السخرة » و « الاستغلال »، فالحركة التعاونية في الواقع هي الثورة في التطبيق · ولا فرق بين الصناعة والزراعة في مضمار تملك الدولة لوسائل الانتاج · يعتبر التأميم في الصناعة الشرط الاول للتحول الاشتراكي وبنفس الوقت فان التأميم هو النتيجة المنطقية · ولكن التحول في الزراعة يستلزم شيئا من الوقت ·

وعندما نناقش الصفة القانونية لملكية الارض فاننا نركز البحث على مضامينها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تمنح أصحابها سلطة وامتيازات لاستغلال جهود الاخرين ـ والعيش كالطفيليات ·

لهذا فليس بوسع ثورة ١٤ تموز الخالدة ان تتجاوز مرحلة النضال ضد الاقطاعية التي تعتبر من أكبر الركائز التي كان يستند اليها العهد البائد ، ومن أضخم قواعده · ولم يكن تعاون الاقطاع مع الاستعمار والملكية الفاسدة والخونة وأعوان الاستعمار بالامر الخفي ـ الذى يستهان به ·

لقد أكدت الديمقراطيات الشعبية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي على « اشتراكية الارض » والغاء كل أشكال تملك الارض ـ وأيدت مبدأ « الارض لمن يزرعها » الذي يتفق تمام الاتفاق مع تحريم الاستغلال ، والقضاء على الاقطاع والقنانة ·

أقر قانون الاصلاح الزراعي في العراق مبدأ التملك الفردى للمنتفع بالارض ـ ولكنه بنفس الوقت جعل الانتماء الى التعاونيات اجباريا وملزما ، وبذلك أراد القانون عدم المغالاة في الافادة من المضامين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للملكية الفردية ـ فربطها ربطا اجباريا وقسريا بالعمل التعاوني ـ وبذلك لم يعد الفلاحون المنتفعون من تطبيق وتنفيذ القانون الزراعي الاصلاحي الجديد ذرات منعزلة ومنفصلة الواحدة عن الاخرى ، كل ذرة تدور في قوقعتها وضمن اطارها ، معتمدة على طاقتها وجهدها الفردى ، الذي يؤدى حتما الى استمرار الاوضاع الاليمة المؤسفة : من فقر مدقع ، وفاقة سوداء ، ومستوى واطيء للمعيشة ، ومن مجتمع عشائرى بكل ما فيه من حزازات وانقسامات ، وانتاج زراعي قليل ··· الخ · والغرض من كل هذا الربط المحكم بين الملكية الفردية للارض والحركة التعاونية انما مرده الى أهمية العمل التعاوني ـ لاقامة مجتمع متضامن متعاون مشترك ـ اذ يشعر المنتفع فيه أن ارضه جزء لا يتجزأ من مجموعة أراضي التعاونية ،

وانه لوحده لا يستطيع أن يرفع مستواه ، ويزيد انتاجه الزراعي · وبمعنى آخر ان قانون الاصلاح الزراعي قد وازن توازنا معقولا بين الفرد والجماعة ـ بتأكيده على العامل الفردى في التملك على شرط أن يخدم هذا التملك غرضا جماعيا تعاونيا يطمئن بنفس الوقت رغبات وحاجات الافراد المنتفعين المتعاونين · ولعل العراق اليوم بأشد الحاجة الى هذا التوازن بين الفرد والمجتمع ـ فالفرد تواق جدا الى هذا النوع من حرية التملك ـ وبنفس القوة والاندفاع ـ تواق الى ان يعمل ضمن المجموع ومع المجموع لتذليل المصاعب التي تواجه حياته اليومية · والزمن كفيل ـ بعد أن يتأكد بنجاح التعاونيات ـ لتعليم المنتفعين أهمية العمل الجماعي المشترك ·

ب ـ ملكية وسائل الانتاج الاخرى من آلات ومكائن وأدوات :

اتبع الاتحاد السوفياتي ـ والدول الديمقراطية الشعبية ـ سياسة واحدة فيما يخص الالآت والمكائن ـ فالدولة هي التي تمتلك وسائل الانتاج · الا انها اعترفت بحق تملك بعض الادوات والالآت البسيطة التي قد يستخدمها المنتفعون التعاونيون في أعمالهم الزراعية اليومية · أما التراكتورات والحاصدات والناقلات وغيرها من وسائل الانتاج فهي للدولة ·

ولكن الصين الشعبية قد طبقت في المرحلة الاولى من حركتها التعاونية الزراعية تدبيرا آخرا · فقد شجعت المنتفعين التعاونيين على جمع وتوحيد ما يملكون من آلات وأدوات ، ووضعها في متناول الجميع، واكتفت في هذه المرحلة الاولى بما لديهم من آلات · ولكن المبدأ العام الذي يتعلق بوسائل الانتاج هو القضاء على الملكية الخاصة الفردية · ولم تترك هذه السياسة الا مجالا ضيقا جدا للتملك الفردي · وهو بدوره يتضاءل تدريجيا ·

وما دمنا في صدد البحث عن وسائل الانتاج فمن الضروري التأكيد على أهمية التقدم الفني والتكنيكي في الالآت والمكائن التي تستخدمها التعاونيات · فقد وضع « لنين » شعارا معلوما هو : « سلطة السوفيات + الكهرباء = اشتراكية » · وبمعنى آخر أن عملية « مكننة » الزراعة ستشجع المنتفعين على العمل التعاوني الجماعي وسيقضى على التخلف الاجتماعي والاقتصادى في الريف ·

ان النهوض بالريف العراقي (بأكثرية سكانه) عن طريق اقامة مجتمعات تعاونية زراعية يتطلب أيضا اقامة صناعات وطنية تنسجم

وتنسق في تقدمها وتطورها مع الحركة التعاونية ، لتتوثق الصلة بين الصناعة والزراعة في حقل الانتاج · وعن طريق « المكننة » الزراعية تتحول الاستثمارات الصغيرة الى استثمارات كبيرة تضمن النهوض بالمنتفع وزيادة الانتاج · وبدون عملية « المكننة » لا يمكن بناء مجتمعات تعاونية عصرية متطورة ·

والخلاصة فان **الارض ووسائل الانتاج** الاخرى تؤلف **شكلا من أشكال العمل** · فالارض الزراعية لا تعني ملكية بمفهومها العتيق البالي ـ وأنما هي اسلوب للعمل والانتاج فقط · ولهذا فان « مكننة » الزراعة ستمنح المنتفعين قدرة هائلة لزيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة ·

ج ـ العمل التعاوني :

يعتبر العمل التعاوني الوسيلة الوحيدة لتحرير الفلاحين من أدوار الاستغلال المظلمة ـ حين كان الاقطاعيون والمرابون الجشعون يستغلون الفلاحين استغلالا بشعاً · ولكن مما تجدر الاشارة اليه ان التعاونيات الصغيرة التي تتمتع بشيء من الاستقلال ، لا يمكن ان تحقق تطورا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مثل الاستثمارات التعاونية الكبيرة الواسعة ذات التنظيم الدقيق · حيث تتوافر في الاستثمارات التعاونية الواسعة الآلات والمكائن والخبرات العلمية والتدريب الفني · ولا يختلف حال التعاونية الصغيرة عن الاستثمار العائلي الكبير · وخير مثال على النوع الاول ـ الاستثمارات التعاونية في الاتحاد السوفيتي وعلى النوع الثاني التعاونيات الزراعية في الصين الشعبية · وتختلف مساحات التعاونيات في الديمقراطيات الشعبية · فلا يتجاوز معدل مساحة المزرعة التعاونية على ٢٠٠ هكتارا (ما عدا بلغاريا) ، وفي الصين ٢٥ هكتارا · وفي اطار كل مزرعة « تعاونية » توجد استثمارات زراعية « عائلية » · ولما كانت الحركة التعاونية تتوخى رفع مستوى معيشة المنتفعين ، وتغيير وسائل الانتاج ـ لان التعاون حركة اقتصادية ـ يؤلف الاعضاء بموجبها نسيجا جديدا من العلاقات والروابط ـ فان التعاون يقوم على ثلاثة اسس : ـ

(١) تضيق مجال استخدام المضامين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للملكية الفردية ـ والاهتمام بالجانب الجماعي والاغراض العامة التي تخدمها الملكية الفردية ، باعتبارها شكلا وأسلوبا من أساليب العمل ·

(٢) العمل الجماعي التعاوني ٠
(٣) استخدام الالآت والمكائن ٠

ويتم تنظيم العمل في التعاونيات بين الاعضاء المنتفعين ، وقد يكون للحكومة حق الاشراف والتوجيه ٠ كما ينظم التعاونيون كيفية استخدام الالآت والادوات والمكائن وبناء المساكن والمؤسسات التعاونية الاخرى بنفس الاسلوب ٠

تتخذ الدول الديمقراطية الشعبية من مقياس « يوم العمل » في المزارع التعاونية أساسا لتقسيم الحاصلات والمنتوجات ، بعد أخذ حصة الدولة ، التي تعتبر مالكة الارض ٠ وقيمة يوم العمل ليست محدودة سلفا ، ولكنها تحسب بعد تقسيم الحاصل بين التعاونيات والدولة أولا ، وبعد افراز حصة التعاونية بصفتها شخصية حكمية ، وبعدها يقسم الناتج على عدد الايام المسجلة في المزرعة التعاونية ٠

وبمعنى آخر يتبع التقسيم نظاما معينا تعطى الدولة بموجبه حصتها ، وتأخذ التعاونية الحصة الجماعية ، التي تدخر للبذور في السنة القادمة ، وتغطى المصروفات العامة للتعاونية ٠ وبعد ذلك يتم تقدير « يوم العمل » ٠ ولهذا فان تقدير قيمة « يوم العمل » يهبط ويرتفع نتيجة لما يبذله التعاونيون من جهود لتحسين الانتاج الزراعي ورفع كفايته ، ولما يملكونه من آلات ومكائن ٠

كان المبدأ الذي تقوم عليه عملية التحول الاشتراكي في الزراعة هو : **العمل المباشر الحر من كل سيطرة ـ والعمل التدريجي** ٠ وقد تم تطبيق هذا المبدأ بكل دقة وعناية في البدء ٠ وكانت المزارع التعاونية في الاتحاد السوفيتي لا تشغل أكثر من ١٪ من الاراضي الزراعية ٠ ولكن بعد الانتهاء من مشروع الخمس سنوات الاول وصلت الى ٦١٪ وقد كان هذا الانتماء الواسع الكبير تدريجيا ـ نتيجة للحملة التثقيفية ـ التوجيهية ٠ ولم يمض على تطبيق التعاونيات غير أربع سنوات حتى تضاعف الانتاج الزراعي ٠ وساعد الكيان الجديد المجتمعات الزراعية التعاونية على زيادة استهلاك الفلاحين وتموين سكان المدن بكل ما يحتاجون اليه من مواد غذائية ٠

وقد اقتفت التعاونيات في الديمقراطيات الشعبية نفس الخطوات والمبادىء المطبقة في الاتحاد السوفيتي فيما يتصل بأساليب العمل ٠ بدأت التعاونيات في الديمقراطيات الشعبية على شكل جمعيات زراعية بسيطة ـ تكون الاعمال الزراعية فيها مشتركة وتعاونية ، بينما بقيت

الارض والحاصل ووسائل الانتاج (ما عدا المكائن والالات المشتركة) ملكا للمنتفعين التعاونيين · (بعكس ما كان مطبقا سنة ١٩٣٠ في الاتحاد السوفيتي ـ حيث كان الانتماء للكوميون أمرا ضروريا وحتميا ـ ومما لا شك فيه أن اسلوب الاتحاد السوفيتي أكثر نجاحا وتقدما · وبمعنى آخر كانت العوائل في المزرعة التعاونية لا تمتلك بصورة فردية غير عدد قليل من الحيوانات وقطعة صغيرة من الارض · وهذه بدورها أيضا مبنية على أساس « يوم العمل » الذى تستطيع ان تقدمه العائلة ·

د ـ الاستثمارات التعاونية الكبيرة والاستثمارات التعاونية الصغيرة :

تدعو الاشتراكية العلمية الى الاستثمارات التعاونية الكبيرة الواسعة وتفضلها على الاستثمارات التعاونية الصغيرة · هذا المبدأ هو الذى شجع الحركة التعاونية وكان السبب في ظهور مشروعات الخمس سنوات الاولى · ولكن هذه الدعوة الى الاستثمارات الكبيرة قد أثارت اختلافا في التطبيق فقط ومن الممكن تلخيص هذه الاختلافات في النقاط التالية :

(١) النظرية الماركسية :

التي تقول بأفضلية الاستثمارات التعاونية الواسعة الكبيرة التي تستخدم التكنيك المتطور · ولكن الماركسية لا تحدد بالضبط سعة الاستثمارات وحجومها ومساحاتها ولا تعين بكل تأكيد زمن الشروع بها ، وانما تركت ذلك لظروف نضج كل مجتمع وأوضاعه الواقعية · فليست الماركسية مثالية حتى ترسم المدن الخيالية الطوبائية ، انما هي نظرية علمية تطبيقية · أكدت الماركسية على التطور التكنيكي واستخدامه في الزراعة ، وعلى تغيير وسائل الانتاج التي تكون قاعدة الهرم الاجتماعي · وبناء على ذلك فمن المتعذر على الاستثمارات الصغيرة أن تفيد من التطور التكنيكي ومن الآلات والمكائن ·

(٢) النظرية الماركسية ـ الستالينية :

أكد « ستالين » على وجود طريقين أمام الزراعة هما : **اما الرجوع الى الوراء نحو الرأسمالية أو السير قدما نحو الاشتراكية** · وبذلك كان « ستالين » يدفع الزراعة بحماس نحو التعاونيات الواسعة · تقدم « ستالين » بفكرة وضع الآلات والمكائن وكل ما يستخدم في الآلات الانتاج الزراعي في ملكية « مشتركة » تابعة للاعضاء المساهمين في

التعاونية · أما في الصين الشعبية فقد تقرر تأخير عملية « المكننة الزراعية » الى مرحلة أخرى ·

(٣) النظرية الثالثة :

التي ظهرت في بداية تطبيق مشروع الخمس سنوات ، تلك النظرية التي تقول بأن الاستثمارات الكبيرة أكثر تفوقا في الانتاج من الاستثمارات الصغيرة · وذلك بفضل استخدام الآلات والمكائن ، كالتراكتورات والحاصدات ووسائط النقل الكبيرة · ففي الاتحاد السوفيتي كان الاتجاه في الحركة التعاونية نحو « مزارع الدولة الكبيرة » والتي تسمى « سوفخوز » والتي قد تصل مساحتها الى ١٠٠ر٠٠٠ هكتارا ·

والفروق هذه فروق في التطبيق ـ وبكلمة مختصرة فان الاستثمارات الفلاحية الصغيرة تستخدم الايدى العاملة محل رأس المال ـ أي يأخذ العمل دور رأس المال · ولكن لا يمكن ان تصل جهودها الانتاجية الى مستوى الجهود التي يمكن أن تحقق انتاجا كبيرا في الاستثمارات الواسعة ·

من هذا العرض الموجز نجد ان الاصلاح الزراعي في العراق يجب ان لا يتمسك باتجاه معين وثابت في المرحلة الاولى ـ فعلينا ان نجرب النوعين المتطرفين « الاستثمار الصغير والاستثمار الواسع » ونضيف اليهما « الاستثمار المتوسط » ـ لنرى مدى تطابقها جميعا مع الواقع ، ومدى نجاح كل منها ثم نضع الاسس المكينة · فالصين الشعبية مثلا تفضل في المرحلة الاولى الشروع في الاستثمارات التعاونية الصغيرة بسبب توافر الايدى العاملة ـ فسياستها التعاونية احلال الايدى العاملة محل رأس المال ـ وخاصة الآلات والمكائن · اذ يتعذر على الصين أن « تمكنن » الزراعة وهي لا تزال متخلفة من الوجهة الصناعية ، وبنفس الوقت لا تريد أن تتأخر في سياستها التعاونية لهذا نجد أن الصين قد قضت على الانتاج الاقطاعي الاستغلالي بالانتاج التعاوني القائم أولا على العمل الجماعي التعاوني واستخدام الايدى العاملة ـ والادوات والآلات القديمة التي كان الفلاحون يملكونها · ولكن الصين أيضا قد رسمت سياسة حازمة لحركة التصنيع التي ستدعم الحركة التعاونية في مرحلتها الاخيرة · ولو قارنا بين أحوال الصين الاقتصادية والاجتماعية باحوال العراق لوجدنا بعض أوجه التشابه والتماثل · فالعراق لا يزال متخلفا من الوجهة الصناعية ، وليس

بالامكان ضمان عملية « الممكننة الزراعية » بسرعة تواكب رغبتنا في انجاز وتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في خمس سنوات · ان هذا الوضع يضطرنا الى الاهتمام بتشجيع العمل الجماعي التعاوني الذى سيكفل بكل تأكيد زيادة الانتاج ورفع معنوية جماهير المنتفعين من التعاونية ، ويظهر ان **الاستثمار المشترك** الذي يقوم على التعاونيين انفسهم أولا باشتراك الدولة في أمور معينة ـ كالآلات والمكائن وشق الترع والجداول وحفر المبازل وتقديم السلف الزراعية وغيرها من المساعدات ـ هو الاستجابة المنطقية والطبيعية لتذليل كافة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع الزراعي ـ الريفي العراقي ، خاصة في هذه المرحلة من التطور الاجتماعي · فلا يمكن ان نترك التعاونيات وشأنها ، وهي لا تزال في بداية تأسيسها ، فالواجب يقضي بتوجيهها ، والاشراف عليها ، ومدها بكل أنواع المساعدة · ومن الضروري أن نعمل على تقسيم حركة التعاون الى مراحل ، وان نضع لكل مرحلة أهدافا معينة · وعلينا أن نعمل على تطوير وسائل الانتاج ، وعلى مكننة الزراعة ، اذ بدون ذلك سيبقى مستوى الفلاحين متخلفا عن مستوى سكان المدن ·

هـ ـ الحركة التعاونية ثورة ثقافية واجتماعية :

الحركة التعاونية في جوهرها عبارة عن مجموعة من القوى الاجتماعية والثقافية التي تأخذ بأيدى الفلاحين لمواكبة التطور الحضارى ـ الصناعي ، والقضاء على ركود وجمود المجتمعات الزراعية ـ الريفية ، تلك المجتمعات التي كانت مقيدة بسلاسل التقاليد ، وقيود الطرق القديمة البالية · فالحركة التعاونية تعمل على رفع المجتمعات الريفية رفعا رأسيا وعموديا لرفع مستواها ، ومحو تخلفها ، وازالة الفروق بينها وبين المجتمعات الحضرية · وقد بين بكل وضوح « لنين » الدور الرئيسي الذى تقوم به التعاونيات في تغيير أساليب حياة الفلاحين ووصفه بانه دور **تثقيفي واقتصادي** ، فواجب التعاونيات تكوين مواطنين يقظين ، وحثهم على العمل المشترك · وعندما يتم تحقيق هذين الهدفين : **الثقافي والاقتصادى** ، نصل الى مرحلة الاشتراكية · وبهذا يكون تطور التعاونيات ليس عنصرا في التحول الزراعي الاشتراكي وانما جوهره ولبه · يهدف التعاون الى ايقاظ وجدان الفلاحين بضرورة اشتراكهم في العمل الجماعي وانضمامهم الى

الحركة التعاونية • ولا يرمي أبدا الى توظيف جيش جرار من الموظفين ، وادارة التعاونيات بطريقة بيروقراطية مزعجة مملة ، يتطلب انجاز الاعمال بوجودها وقتا طويلا وتسلسلا في المسؤوليات الامر الذى يقضي على الاندفاع الشعبي ، والزخم الجماهيرى الذى يكمن فيما وراء الحركة التعاونية •

ولا ينحصر الدور الثقافي في هذه الحدود انما تعمل الحركة التعاونية على محو الحزازات والعداوات التي كانت تميز المجتمعات ـ الزراعية ـ الاقطاعية ـ العشائرية ، وتحل محلها روح التضامن والتعاون وتوثق روابط العمل والمصلحة في كيان المجتمع الريفي •

وما دام الامر كذلك فليس من الصحيح الاكثار والمبالغة باللوائح القانونية والجدل الاكاديمي حول المفاهيم القانونية • لان الحركة التعاونية (كائن عضوى من حيث النمو والكمال) تمر في مراحل مختلفة وتنمو وتتطور ، ولا تقف عند حد ، بل تستمر في التطور والتغير • فليس من السياسة الواقعية ربط هذه الحركة المتطورة النامية بمفاهيم قانونية جامدة وثابتة • ولهذا وبالرغم من أن قانون الاصلاح الزراعي قد نص بصراحة على وجوب انضمام المنتفعين الى الحركة التعاونية ـ فلا ضير مطلقا من اعداد المنتفعين اعدادا ذهنيا ليتقبلوا بكل رحابة صدر ، ويندفعوا بكل اخلاص •

تعتبر الصين الشعبية أول بلاد استطاعت ان تطبق برنامجا ضخما للحركة التعاونية التي حددت لها مدة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ سنة لتجهيز زراعتها بالوسائل الحديثة للانتاج • ولكن الصين قد وضعت الاهمية الاولى أيضا على الاهداف الاجتماعية التي ستحققها الحركة التعاونية • **ويجب أن لا نضع نصب أعيننا مطلقا زيادة الانتاج الزراعي وحده دون الالتفات الى الكائن البشرى الاجتماعي الذى من أجله أوجدت الحركة التعاونية ، لان التأكيد على الانتاج وحده يضحي بأهداف الحركة التعاونية نفسها •**

تجربة الصين الشعبية في الحركة التعاونية الزراعية :

كانت التجربة الصينية في الحركة التعاونية حادثا عظيما في تاريخ الصين ، اذ لم يسبق لها مثيل في الحركة التعاونية • يمكن القول بأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للحركة التعاونية في الصين تختلف اختلافا جوهريا عن ظروف الاتحاد

السوفيتي والديمقراطيات الشعبية في شرقي أوربا · توخت الحركة التعاونية أولا تحرير الفلاحين من الطفيليات التي كانت تستغل استغلالا فظيعا جهود الفلاحين واتعابهم · ولهذا توجه الاصلاح الزراعي الى الاستيلاء على أراضي أصحاب الملكيات الواسعة (وخاصة اللوردات الغائبون) ، والى الملاك الاثرياء الذين كانوا يستغلون الفلاحين · ثم توزيع تلك الملكيات بكل ما فيها من أبنية وآلات ومكائن وغيرها من الامور على ما يقرب من ١١٠ مليون عائلة فلاحية ، حيث حصلت كل عائلة معدل ٢ ـ ٣ هكتارا · وكان من نتيجة هذا الاصلاح ان استفاد ٢/٣ الفلاحين الصينيين ، واختفى نهائيا الربا الفاحش · وتأسست بنوك التسليف الزراعي · وحرم على ملاك الاراضي والمرابين الجشعين الذين كانوا يعيشون كالطفيليات الانضمام الى التعاونيات الزراعية ·

ولم تصدر حكومة الصين الشعبية قوانين لتأميم الارض · وأفادت التعاونيات من الادوات والمكائن والحيوانات التي كان الفلاحون يملكونها سابقا ، وبذلك خطت التعاونيات في التحول الاشتراكي خطوات معينة تتصل بالتعاون الانتاجي وفي الآلات والمكائن · وقد ساعد على كل تلك الانجازات تلقائية الحركة التعاونية الصينية ، وصغر حجمها ، وارتباط الفلاحين بعضهم ببعض ارتباطا انسانيا قائما على علائق ووشائج صميمية ومباشرة ·

تتألف المزرعة التعاونية الصينية من عشرين عائلة ومساحتها لا تزيد على ٤٠ أو ٥٠ هكتارا نستنتج بان الزراعة التعاونية لا تزال على المستوى العائلي · صار العمل الزراعي في التعاونيات جماعيا ، يبدأ بالارض وينتهي بالآلات والمكائن ·

وينقسم الحاصل على أساس يشبه تماما التقسيم المتبع لمبدأ « يوم العمل » ، ويجرى حساب « أيام العمل » بكل دقة ، بعد اخراج الحصة المشتركة العامة للتعاونية · ويقدر الخبراء الصينيون انه في سنة ١٩٥٨ سيتم التحاق نصف الفلاحين الى التعاونيات · وينتهي في سنة ١٩٦٠ تكوين مزارع شبه **اشتراكية** تم تحويلها الى مزارع اشتراكية · ولا حاجة أبدا الى اجراء تغيرات مهمة في التكنيك الزراعي ·

اهتمت الحركة التعاونية في الصين بالفلاح ، وقد برهنت على معرفة أكيدة للظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وعلى مطابقة واقعية للمرحلة التاريخية التي تجتازها الصين · ان هذا التفكير الواقعي

الذى تميز بـه « ماوتسي تونغ » جعل من الفـلاح أساسـا لاقامة مجتمعات زراعية ـ اشتراكية تعاونية ٠

تجربة يوغسلافيا في الحركة التعاونية :

لم تستمر تجربة التعاونية في يوغسلافيـا غير أربع سـنوات (١٩٤٩ ـ ١٩٥٣) ، بعدها اتبعت يوغسلافيا خطة جديدة ، جعلت الحركة التعاونية من المشروعات البعيدة المدى ، واشترطت لتطورها توافر ظروف وأحوال ، وأقرت عدم قدرتها على تحقيقهـا بالعمـل المباشر ٠

لقد فشلت الحركة التعاونية في يوغسلافيا بسبب السياسـة التي تبنتها الحكومة سنة ١٩٥٣ ، لقد كان انحراف يوغسلافيا سببا في اتخاذها موقفا سلبيا من الحركة التعاونية ٠ لقـد انحـرفت بالماركسية ـ خاصة فيما يتعلق بفترة التحول من الرأسماليـة الى الاشتراكية ٠ فقد تبنت يوغسلافيا فكرة التحول التدريجي في التخطيط الاقتصادى ٠ كانت الخطة الجديدة ترمي الى فسح المجال أمام السوق وعدم عرقلة القوانين الاقتصادية بتدخل الدولة ٠ في ظل مثل هـذه الظروف وجد عدد كثير من التعاونيات اساسه الاقتصادى مزعزعا ، ومجروما من الوسائل الفنية التي يحتاج اليها الانتاج الزراعي ٠ وأن مجرد وجودها يعارض الاتجاه الجديد في السياسة الاقتصادية التي تتبعها الدولة ٠ ومنذ سنة ١٩٥٣ تعرضت التعاونيات لازمة شديدة بتأثير السياسة الداخلية ٠

وأكدت السياسة الجديدة على تحرير الزراعة من كل توجيه ذى صفة « ادارية » ، وأدعت بان تطور الزراعة يقوم على انسجام حر للقوى الاقتصادية ٠ قضت هـذه المفاهيم على كل امكانيـة لتحول المجتمع اليوغسلافي الى مجتمع « تعاوني » اشتراكي ٠ وخولت أعضاء التعاونيات الحق في تركها متى شاءوا ٠ وفي سنة ١٩٥٤ هبط عدد التعاونيات في يوغسلافيا الى خمس العدد الذى كان سابقا ٠

ان هذه السياسة التي تتبعهـا يوغسلافيـا أدت الى انحـلال التعاونيات الزراعية وانهيـارها بعكس الدّيمقراطيـات الشـعبية الاخرى ٠

خاتمة البحث : لماذا يجب تشجيع الاستثمارات التعاونية الواسعة :

يمكن مناقشة أهمية الاستثمارات التعاونية الواسعة بالنقاط التالية :

١ ـ الاراضي الزراعية :

يعني الاستثمار الواسع تنوع الحاصلات الزراعية ، واتباع الدورة الزراعية بطرق علمية وفنية ، واستخدام رأس المال ، وتسميد الاراضي الزراعية ، وتسهيل فتح الجداول وشق الترع، وحفر المبازل، والامكانية على العمل التعاوني ٠

٢ ـ العمل والتطبيق :

تبذل الاستثمارات الصغيرة جهودا كبيرة بسبب حاجتها الماسة الى رأس المال ، وتستطيع الاستثمارات الكبيرة تطبيق الخبرات العلمية ٠ وقد برهنت على جدارتها وكفايتها في رفع مستوى الفلاحين، والقضاء على تخلف المجتمعات الزراعية ٠

٣ ـ رأس المال :

١ ـ ليس من الممكن أبدا استخدام الآلات والمكائن في الاستثمارات الصغيرة جدا ٠
٢ ـ يكون استخدام الآلات والمكائن أرخص نسبيا من التأجير ٠
٣ ـ يمكن تأسيس محطات آلات ومكائن في الاستثمارات الواسعة ٠
٤ ـ يتضاعف الانتاج الزراعي بفضل استخدام الآلات والمكائن ٠
٥ ـ تتغير ذهنية الفلاحين ومواقفهم وانماط حياتهم ٠

يتضح بكل جلاء أهمية الاستثمارات الواسعة في انجاز سياسة تقدمية اصلاحية سريعة ٠ ولعل أراضي العراق الواسعة ، ومياهه الوافرة ، وسكانه القليل ، أسباب تستلزم في الواقع التفكير في تأليف التعاونيات الواسعة ٠

الدكتور عبدالجليل الطاهر

من المادية الميكانيكية الى المادية الديالكتيكية

محمد حسين فرج الله

لعل السمة البارزة التى ميزت الفكر في غضون الفترة المبتدئة من النصف الثاني للقرن السابع عشر ثم تمتد لتستغرق القرن الثامن عشر تقريبا ، بغض النظر عن ردود الفعل للمثالية ، تتمثل بالنزعة المادية التى تجنح الى تفسير الوجود تفسيرا ميكانيكيا بحتا .

ولا نخطىء التقدير اذا رجعنا بالسبب الى التقدم الهائل الذى أصابه علم الفلك وأثره الكبير على الاتجاه العام في الفكر الاوربي الحديث . فالقوانين الصارمة التى تنتظم حركة الاجرام السماوية في أفلاكها برتابة لا تحيد عنها ابدا واكتشاف نواميسها الثابتة منذ الازل، تستدرج الاذهان الى الاعتقاد بأن جميع مظاهر الوجود تخضع بدورها الى مثل تلك القوانين .

وقد يبدو غريبا أن نسلك حتى ديكارت في زمرة الفلاسفة الذين تأثروا بهذه النزعة المادية رغم عبارته الشهيرة (انا افكر اذن انا موجود) التي تطبع جانبا من فلسفته بطابع المثالية الباطنية قبل ان تختمر وتصبح فلسفة قائمة بذاتها عند المطران جورج بركلى . فقد كان اتباع ديكارت ومؤيدوه لا يتورعون عن تقصيب الحيوان والتمثيل به حيا ، زاعمين ان الحيوان لا يخرج عن حكم كونه آلة صماء تغدم كل معالم الحس ، فلا ضير عليه ان استهدف للتعذيب .. ! ! وكان من المقدور للانسان أن يكون آلة شأن الحيوان سواء بسواء لولا تلك الايماضة الالهية التي تتسرب داخل كيانه عبر الغدة الصنوبرية فتسبغ عليه الحس والشعور ، وتضيء جوانب نفسه بالفكر اللماح ، وتبتعد به عن طوره الحيواني او طبيعته الميكانيكية التى تسم الحيوان جميعا .

ولا شك ان المادية الميكانيكية بما يشيع في تضاعيفها من آراء لم تكن بعد قد استوفت عناصر نضجها ، قد تركت كثيرا من الثغرات في خطوط دفاعها ، مما أدى بالمثالية ان تشحذ سلاحها وتقتحم عليها حصونها حتى لاقبل لها على الصمود أمام تلك الهجمات العنيفة التي شنتها عليها ، لذا فلم تعد تملك الوقوف على قدميها . فالمادية اذ اوغلت في تفسير الوجود تفسيرا آليا محضا كانت قد اغفلت حقيقة القوانين

الاخرى التى تهيمن على الحياة ، بل نجد ان القوانين تتعدد وتتداخل مع بعضها عندما يكون الانسان مدار بحث لمدى تأثره بها · فهو يخضع فى بعض جوانب حياته للقوانين التى تسيطر على المادة الاولية ، ويخضع للقوانين التى تهيمن على الكائنات الحية ، ويخضع كذلك للقوانين التى تتحكم بزمام الانسان ضمن الفوارق التى تميزه عن الحيوان ، وأخيرا فانه يرضخ للقوانين التى تأخذ بدفة المجتمع وتعين مراحل تطوره ·

ونخلص من ذلك الى القول بأن القوانين التى ميدانها الفلك لا يمكن ان تعطى وصفا دقيقا للحياة ، ناهيك بالانسان الذى عرفنا تشابك القوانين المختلفة التى تتناول طبيعة تكوينه ووجوه نشاطه ·

الا ان الحقيقة تتهيب بنا ان نقيس مهمة المادية الميكانيكية من وجهة نظر تاريخية لا تغمط لها حقا بل تعيد لها اعتبارها موفورا · فقد كانت بمثابة الاساس الذى استندت اليه الثورة الفرنسية ، اذ هيأت الاذهان لاحتضان الافكار الاجتماعية الحديثة التى تمردت على المثل العليا للمجتمع القديم التى كانت ترتكز على تعاليم الكنيسة · وكان لابد للهزيمة التى منيت بها الكنيسة في ميدان العلم (الفلك) ان تلاحقها حتى في صعيد المفاهيم الاجتماعية بما توقره في الاذهان من عقائد تفسر الاوضاع السائدة على أنها نظام سرمدى لا يتناوله التبديل ولا تطاله يد النقد والتمحيص ، بل يجب ان يحتل زاوية التقديس في القلوب لانه النظام الذى ارتضته السماء للعباد ويجب ان يبقى الى يوم يبعثون ···

ورغم الخطوات التالية التى خطاها الفلك نحو التقدم ، أخذ يخلي السبيل امام العلوم الاخرى التى بدأت تعكس نتائجها الباهرة على الفلسفة · فقد كان لعلم الكيمياء دوره الخطير في توجيه دفة الفكر وجهة مستمدة من طبيعة القوانين التي تلابس المادة في تفاعلاتها وما ينجم عنها من مركبات جديدة تختلف كل الاختلاف عن عناصر تكوينها · وقد كان لهذه الحقائق التى انجاب عنها الستار في ميدان الكيمياء صداه المتردد في الفلسفة والآراء الاجتماعية وأوحت للمفكرين ان يستعيروا ابرز خصائص التفاعلات الكيمياوية ليعبروا بها عن المظاهر التى تسود المجتمع وما يواكبها من علاقات اجتماعية · ولعل في مقدمة تلك الخصائص التى وجدت تطبيقاتها في المجتمع تتمثل بالقانون القائل (بالتبدل الكمي الذي ينشأ عنه تبدل كيفي) والذى كان حصيلة ما توصل اليه (كفنديسن) من أن ذرتين من الايدروجين بالتفاعل مع ذرة

من الاوكسجين ينتج ماء · وكان محتوى القانون الآنف الذكر بمثابة اداة تعالج كثيرا من المسائل الاجتماعية وتضع لها التفسيرات الصحيحة ·

فالعلاقات الاجتماعية لم تعد تسير في خطوط متوازية شأن الاجرام السماوية في افلاكها، بل انها تتداخل فيما بينها وتتبادل التأثير من بعضها فتتأتى عنها نتائج تقوم هي الاخرى بدورها في التفاعل مع الاحداث والظواهر الاجتماعية الاخرى في سلسلة نهائية من النتائج الجديدة المتلاحقة · ويبدو أثر الكيمياء بكل وضوح في فلسفة (هيجل) التي يقوم فيها التفاعل بين الفكرة ونقيضها لتؤدى الى نتيجة تبطن هى ايضا نقيضها تتفاعل معه تمهيدا لظهور نتيجة لاحقة اكثر صقلا من سابقتها لتدفع نفسها نحو المطلق الكلى ، كما تبدو اكثر وضوحا عند (كارل ماركس) بل تؤلف أهم دعائم فلسفته التي لاتكاد تختلف عن فلسفة هيجل الا من حيث انتصابها على قدميها بعد ان كانت واقفة على رأسها عند هيجل ·

واذا كانت الكيمياء قد قامت بهذا الدور في ميدان الفلسفة ، فان التقدم الذي حققه علم الحيوان (البيولوجي) خصوصا في مستهل النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان خطوة جبارة وسريعة شقت طريقها الى الاذهان دون تلبث ، بل اننا لا نعدو الحقيقة اذا قررنا أن هذا العلم قد اجتذب اليه الفلسفة بعنف شديد احدث ضجة كبرى في مختلف الاوساط الثقافية ، حتى عمدت حكومة الولايات المتحدة الى حظر الجدل في نظرية (دارون) التي كانت بمثابة قبضة هائلة اعملت معول الهدم في صرح العقائد الموروثة ، وأهابت بالمفكرين ان يعيدوا النظر في المفاهيم التي تربعت على عرش العقول اجيالا طويلة ·

ورغم الهدوء الذي اراد دارون ان يحيط به نفسه باسلوبه التقريرى في وضع كتابة (اصل الانواع) محاولا الابتعاد عن كل ما من شأنه الاحتكاك المباشر بما وقر في الاذهان عن تعليل الخلق بالطريقة التي ترويها اسطورة (اصل الخليقة) فان حملة لواء مدرسته اندفعوا نحو النتائج المنطقية التي تؤدي اليها نظريته ، فراحوا يرفعون عقيرتهم بما توصلوا اليه من بحوث في اصل الانسان الذي لا بد وان يكون قد تحدر من سلالة القرود او تلتقى معه في حلقة مفقودة ·

وكانت القرائن يأخذ بعضها برقاب بعض للتدليل على صحة نظرية دارون مما لا يتسع المجال لايرادها ولو بالمامة العابر · وكان

العامل الاول الذي يتحكم في دفة التطور البيولوجي يتحلى في حقيقة التنازع القائم بين الكائن الحي وبيئته حتى يتاح له ان يتكيف وفق الظروف المحيطة به ليضمن لنفسه البقاء ، وقد كشف قانون (تنازع البقاء للاصلح) عن مدى الفعالية التي تتنعم بها الكائنات الحية في تجاوبها الديناميكي مع شروط البيئة التي تكتنفها ، كما أزاح الستار عن القابلية الهائلة للمادة على الخلق والابداع ٠

وكان اثر نظرية دارون على الفلسفة كبيرا جدا ، وربما تنكب بها البعض عن طريقها السوي ليرتب عليها نتائج سلبية كانت بمثابة البذرة الاولى للهرطقة الفاشية كما يظهر ذلك بجلاء في فلسفة (نيتشه وجوبينو وشمبرلن) ، ولكن البحوث العلمية التي اضيفت الى أصل النظرية أخذت تكتشف عن خطل تلك التصرفات الخرقاء التي كانت مدارا للنعرات العنصرية في تبريرها الحروب بوصفها ظاهرة تساير قانون (تنازع البقاء وبقاء الأصلح) وتقرر الاستعمار على انه تسلط القوي على الضعيف تمشيا مع منطق الطبيعة ٠

ولا شك ان المادية التي وجدت لها سندا في العلوم الموضوعية ، قد اسبغ عليها ذلك طابعها الدياليكتيكي ودفع بها الى مجالات رحيبة تستغرق جميع مظاهر الحياة ، فانه لم يبق امام المثالية الا أن تجد في البحث عن آخر معقل يتيح لها ان تمد بانفاس حياتها ولو الى حين ، وكان منها ان هرعت الى الذرة تلتمس في (خيرها) مقيلا تلقى فيه عصا الترحال وتجمع فلولها لتواجه المادية بسلاح جديد يقوم على اساس الذرة التي تتألف من دقائق لا تعرف التناهي في الصغر ، بحيث ينبغي ان يكون لها وجود يستوفى صفات الشيئية على الوجه المألوف ، او ينتزع منها كل ميزات المادة ، او انها تشبه النقطة الهندسية التي يفترض وجودها افتراضا ، وبالتالي فانها دقائق روحية لا يتهيأ لنا التأكيد على وجودها الا في حدود نشاطها ، او بالقدر الذي يتأتى لنا قياس ذلك النشاط بفضل الادوات المتوفرة لدينا ٠

ولكن هذا الزعم لا يلبث قليلا حتى يتهافت على نفسه امام المنطق الدياليكتيكي الذي ينظر الى الاداة على انها امتداد لحواسنا ، شأن الميكرسكوب الذي يكشف عن عوالم تزخر بالكائنات الحية التي لا ترى بالعين المجردة ، لانه يعتبر بمثابة امتداد لحاسة البصر ٠ كما ان المادية الدياليكتيكية وضعت صفة لتعريف المادة تقطع جهيزة القول على

حذلقة المثالية وتوسع من دائرته حتى يشمل كل ما له وجـود خارج الذهن ·

وهكذا لم يعد للمثالية مكان في صعيد العلوم الموضوعية ولا تملك ان تواجه المادية على اساس ايجابي يسمح لها ان تضـــع التفسيرات التجريدية لمظاهر الوجود ، لذا فقد عولت على الجانب السلبي بسبيل بعض الحقائق التي لما تتوصل العلوم بعد لان تنتهي بها الى قرار حاسم يتناول التفصيلات الجزئية رغم استنادها الى دعائم وطيـدة من حيث انبدء يتحطم على صخرتها منطق المثالية وينحط بها الى مستوى الوهم الهرطقي ·

محمد حسين فرج الله

الوقت

مجلة كل مناضل وطني ، مجلة كل من يهمه مصـــــير جمهوريتنا العراقية الديمقراطية الفتية ·

●

الوقت

تفتـــح أمامك آفاق المعرفة النيرة ، وتقـدم اليك أعمق التحليلات لاهم المشاكل العالمية ، ولا سيمـا قضـــايا السلم والاشتراكية وسائر القضايا الحيوية الاخرى لبلداننـا وبلدان العالم أجمع ·

●

الوقت

اقتنيها واقراها ، فهي سلاحك الفـكري وزادك الذهني الدسـم ·

●

توزعها : دار بغداد ـ ساحة الوثبة ـ عمارة الخضيري ·

القصة في الصين

منذ ١٩١٩

وانغ ياو

البروفسور في جامعة بكين

للقصة الطويلة والقصيرة في الصين ماض طويل فقد ظهرت منذ القرن الرابع عشرسلسلة من الكتب مثل (حافة الماء) ، (كل الرجال اخوان) ، (الحج الى الغرب) و (حلم الغرفة الحمراء والطلاب) كل هذه القصص الطويلة لم توف قيمتها الحقيقة او تمنح العناية التى تستحقها الا في عام١٩١٩حين برزت حركة «الرابع من مايس» الثقافية الجديدة بعد ان كانت هذه القصص تنعت باجحاف في الماضى بانها « كتب ساعات الفراغ » .

ان القصة الطويلة والقصيرة التي تطورت منذ حركة الرابع من مايس قائمة على ماضي القصة الصينية بعد تحويرها كما اطلع الكتاب بطبيعة الحال على طرف من أحسن المصادر في الادب الاجنبي .

كاتب ثوري عظيم

على أثر حركة الرابع من مايس الثقافية ظهر فيض من القصص الطويلة والقصيرة .فقد الف لوهسون(Lu Hsun)(١٨٨١ ـ ١٩٣٦) الاديب الثوري الكبير تاريخا ادبيا من قصصه القصيرة . ان مجموعته «دعوة الى السلاح والرحيل » كانت وصفا دقيقا للواقع الاجتماعى من وجهة نظر المضطهدين من عام ١٩١١ حيث اندلعت الثورة البرجوازية الى عام ١٩٢٤ حيث بدات الحرب الاهلية الاولى لانها كشفت بصورة واضحة مجموعة من المشاكل الرئيسية في المجتمع في تلك العهود . ان كثيرا من قصص لوهسون تصف الحياة الريفية التعسة القاسية وبؤس الفلاحين تحت نير الاضطهاد المزدوج من قبل الاقطاع والامبريالية . وخير ما ظهر في هذا المجال « قصة آه كيو الواقعية » . ان لوهسون كان يعتد

ان ليس بالامكان نجاح اية ثورة ما لم يستيقظ ويساهم فيها الفلاحون الذين يكونون الاغلبية الساحقة من سكان الصين ٠

وكان هذا الراى هو القاعدة الرئيسة للنقد العنيف الموجه ضد الثورة البرجوازية التي باءت بالفشل عام ١٩١٩ وفي الوقت نفسه كان يرى ان في حالة هؤلاء الفلاحين الذين كانوا محرومين حتى من أقل نصيب من الحياة اللائقة مجالا واسعا للثورة ، وهذا اظهر كذلك في (آه كيو) تخلف الفلاحين البارز ٠ ومما يراه لوهسون بان يكون هناك بعض القوة للتوجيه وحث الفلاحين ليفهموا دورهم ويستفيدوا من طاقتهم الكامنة بصورة كاملة وكان يامل ان يكون المثقفون هم هذه القوة غير ان نظره الثاقب اوضح له في الحال بانهم كانوا بتمثيل مأساتهم الخاصة بعد ان كانوا هم انفسهم يتجرعون بمرارة الام الاضطهاد فهم من اجل انعاش اهدافهم المثلى كانوا يكافحون بحرارة للحرية والتحرير غير انهم تحطموا اخيرا بقوى الشر ومنوا بعذاب اكثر ، وتلاشت جميع امالهم واحلامهم ٠

ان مأساة العصر هذه كما تعكسها مؤلفات لوهسون بصورة دقيقة حركت جميع الفئات الشعبية ذات التفكير السليم ، غير ان لوهسون عندما كتب هذه القصص لم يكن بعد قد اكتشف القوة التى كان يبحث عنها بتلهف تلك القوة التي تستطيع تغيير الواقع القائم فقد كانت هذه القصص تبدو انها تكشف مشاعره الخاصة المنعزلة وحده رغم انها كانت مشبعة برغبة نبيلة في انهاض اولئك الذين كانوا نائمين في الظلام ٠ هذه الرغبة جعلته اخيرا بعد اندحار الحرب الاهلية الاولى ، عام ١٩٢٧ ينتبه لدور البروليتاريا ومنذ ذلك الحين فيما بعد أخذ يكرس جميع قواه لقضية الثورة البروليتارية ٠

ففي اعوامه الاخيرة كتب ابحاثا مختلفة وقصصا حول تاريخ الصين قصصا اسطورية وخرافية جمعت في كتابه (قصص قديمة معادة) كما رجع الى التاريخ ليجيب على مشاكل عصره ويندد باولئك الذين يقفون في طريق التقدم ٠

ان قصص لوهسون القصيرة لها طابعها الخاص وهى وان كانت تحتوى على بعض مزايا القصص الطويلة الصينية فهي نقية صادقة ليس عليها طابع التكلف والتحذلق كما انها هجاء مقذع ولكتاباته بعض خصائص الشعر الصيني الكلاسيكي من استلهام محاسن الطبيعة وخلق الجو

والنظرة النفسية · وهو احد الاوائل الذين ادخلوا الادب الاجنبي الى الشعب الصيني وكان كتابه المفضلون كوكـول وبيتوفي وميكيفيكس الذين اثروا فيه الى حد ما ·

معاصرو لوهسون

من المعاصرين للكاتب لوهسون يمكننا ان نذكر يه شاو ـ شون (Yeh Shao-Chun)المولودفيعام١٨١٨ويوتا ـفو(Yu Ta-Fu)(١٨٩٦) وكان يهشاو ـ شون عضوا في رابطة الابحاث الادبية التي أعلنت ان الادب يجب ان يخدم الحيـاة ويجدد تكوينها وهـو يصف في اسلوب بسيط محلى الحياة الكالحة التي كان يحياها المثقفون والبرجوازيون الصغار في المدن الصغيرة بحسب ما كان يفهمه بصورة جيدة كما صور النساء والاطفال وانتقد بشدة لاذعة المجتمع القديم لضغطه على النساء وقسوته على الاطفال ·

ان يوتا فو الذى عاش ودرس سنوات كثيرة في اليابان ينتمى إلى المجتمع الخلاق فهو الـذى تغنى في تمجيد المقاومة والعمل الابـداعى والتعبير عن النفس ، ونظرا الى انـه كاتب شاب قاسـى مرارة الفقر والاضطهاد فقد وصف بصدق ويقين آلام المثقفين المبرحة وكانت تاليفه مليئة بالكرة للاداب الاقطاعية وبالاعجاب بالشباب والحب المتحرر من القيود العتيقة وبالحياة ذات الهدف المعين ·

هـذان الكاتبان كقرينهما لوهسون ولا سيما (يه) وسعـا اراء جديدة خلال الحرب الاهلية الاولى واوجدا مثيلا لتلك الاراء · ففي قصته الطويلة «ني هوان ـ شيه»(Ne Huan Chih)التي تمت في ١٩٢٩ وصف يه شاو ـ شون باخلاص الاسلوب العقلى المتعذب وغير المستوي عند بعض المثقفين الذين تحولوا من اصلاحيين متصوفين الى مدافعين عن الثورة الاشتراكية · ومن الكتاب المؤثرين خـلال الفترة مـن حركة الرابع من مايس الى الحرب الاهلية الاولى كان بنك هسن(Ping Hsin) المولود في عام ١٩٠٣ ويوانك تنك شاو (Wang Tung Chao) وانك ـ لو ـ يـين (Wang Lu Yen) (١٩٠١ ـ ١٩٤٤) ·

وبعد عام ١٩٢٧ دخلت الثورة الصينية مرحلة جديدة ذات صراع هادىء عميق مرير ، وبعد اندحار الثورة عسكريا حمل كتاب كثيرون

واجب الكفاح برفعهم راية الادب الثورى البرولتارى في المدن التى خيم عليها الارهاب الابيض وقد قدم كثير منهم تضحيات عظيمة · فمن قتلتهم حكومة الكومينتانك الرجعية قصصيين كبارا مثل(Hu Yeh Ping) (Ton Chih) ١٩٠١ ـ ١٩٣٠ (Hung Ling-Fei) ومع ذلك فالادب الخلاق ما زال يشق طريقه الرئيسي · وبفضل قيادة اتحاد كتاب الجناح اليساري الذي تأسس في ١٩٣٠ ونظم من قبل لوهسون وماوتون (Mao Tun) (ولد ١٨٩٦) وغيرهما اصبح الكتاب اكثر فعالية وقبضوا على ناصية الامور بنجاح وبمجال اوسع سابرين اعماق الحياة ، منجزين نماذج وافرة الاساليب من كتابة القصص المليئة بالطابع والمزايا المحلية ·

ماوتون (Mao Tun) **ومؤلفاته :**

ماو تون احد اقطاب الادب الواقعي ، كان قد صهر تحت ضغط وحرارة عاصفة الثورة · انجز في عام ١٩٢٩ تأليف قصته الطويلة الاولى « التآكل » وهي صورة رائعة لاستفزاز ومكر وتذبذب عدد من مثقفي البرجوازية الصغيرة الشبان امام الثورة التي عصفت بهم راسما صورة للحوادث ما قبل وبعد الثورة بما كشف عن بطل للابداع الفني في الواقعية ·

ان قصته الطويلة « منتصف الليل » كانت تاجا بين انجازاته الفنية والفكرية وتتضمن مزايا البرجوازية الوطنية الصينية النموذجية والبرجوازيةالتابعة خلال اوائل العقد الثالث· فقد صور محيطهم موضحا علاقات بعضهم ببعض فانت ترى الرأسماليين وعلاقاتهم بحركة الطبقة العاملة وحركة الفلاحين وطبقة السماسرة (الكومبادور) الذين يزجون اصابعهم في كل قضية ، ومفعول حكم ارباب الحرف وعلاقاتهم المتشابكة بالرأسماليين الوطنيين انفسهم ـ تلك المناظر الملونة في الحياة التى تعرض في شانغهاى · وفي صميم هذا التصادم نرى ووو سن ـ فو (Wu Sun-Fu)بطل القصة رأسماليا وطنيا · كان وو يمتلك القدرة والموهبة وروح تكوين المشاريع ومع ذلك يخسر المعركة ضد شاوبو ـ تاو الذي هو سمسار (كومبرادور) وعالة على الامبرياليين وكان بهذه

المثابة نظرا الى ان الامور هكذا كانت · ان اندحار (Wu Sun-Fu) كان امرا واقعيا لان الصين في العقد الثالث لم تكن متطورة في الحقل الرأسمالي وانما اصبحت اكثر فاكثر مستعمرة ·

من هذه القصة ترى مهارة ماوتون في وصف الحياة في جميع شبكاتها المعقدة في افقها الرحيب · ومن قصصه القصيرة نراه حاذقا كذلك في تركيز الانوار على زوايا الحياة في نقاط محدودة مثال ذلك قصتهالقصيرة الشهيرة « دودة القز في الربيع » التي هي صورة مجسمة لانهيار اقتصاد الصين الزراعي بصورة سريعة في العقد الثالث والتغيير العميق الذى اثر في نظرة الفلاحين · وقصته الثانية «حانوت اسرة لين» تصور تراخي وتدهور الصناعة والتجارة في مدينة صغيرة · ان انتاج ماوتون الخصب في القصص الطويلة والقصيرة يضم اغلب الحوادث والتيارات القائمة في الفترة ما بين حركة الرابع من مايس وانتصار حرب المقاومة · وكتاباته مرسومة بفهمها للحياة وواقعيتها وحيويتها وسعة اسلوبها نظرتها السايكولوجية وحبكها المتين ·

ان اتحاد كتاب الجناح اليسارى درب كتابا شبانا كثيرين بينما كانوا هم يخوضون النضال الحقيقي ومن المبرزين فيهذا المضمار شانك تين ـ يي (Chang tien-Yi) المولود ١٩٠٦ وييه تسو (Yeh Tzu) ١٩١٢ ـ ١٩٣٩ ان ييه تسو ترعرع في ايام هياج ثورة الفلاحين في هونان · وفي مجموعة قصصه المعنونة (حصاد وافر) يصور بروح ثورية عميقة الاضطهاد الطبقي في المناطق الرئيسية ويبرز بصورة واقعية القوة الكامنة الهائلة في الفلاحين الذين اخضعوا وخنقوا طويلا طريقة انفجار المقاومة عندهم · هذه القصص عنيفة ، لاذعة ، حادة النصل في الحياة · انشانك تين ـ ييه معروف بهجائه اللاذع · لقد كتب قصصا كثيرة وجلد بسخرية واستهزاء الملاكين الكبار وسكان المدن الصغار والمثقفين المتزلفين ·

لاوشيه وباسين (Pa Chin) و (Lao Sheh)

ان كثيرا من الكتاب وان كانوا ليسوا من اتحاد كتاب الجناح اليساري كانوا بين من نشر بحماس فكرة التبديل أو المقاومة وبين من كشف بكره عميق مساوىء المجتمع ، والكاتبان باشين (ولد في ١٩٠٤)

ولاوشيه (ولد في ١٨٩٧) كانا من هذا الطراز ، فقد كتب باشين قصصا طويلة كثيرة مصورا مصالح الشباب المتصادمة ـ تلك المصادمات على سبيل المثال بين العاطفة والعقل بين الحب والعقيدة ممجدا بحرارة الشباب الثوريين الذين رهنوا حياتهم من اجل الحقيقة والحرية ٠

ان كتاباته مفعمة بالحقد على النظام الاقطاعي فهي محاولة شريفة لتحريك الشعب للكفاح من اجل مستقبل افضل ٠ وقصته الطويلة المعروفة جيدا « العائلة » مرتكزة على طفولته نفسه ، فبتدهور عائلة اقطاعية يرينا حتمية تدهور النظام الاقطاعي ان شخوصه تنمو وتتبدل امام اسس الحياة الصاخبة للمجتمع المحيط به ، فالبطل وهو شاب متسم بالحرارة والعاطفة يدعى (Kao Chueh Hui) سليل عائلة على حافة التدهور كان قد رمى اصفاد الاقطاع وكرس نفسه لقضية التحسين الاجتماعي٠ ان الكاتب لا يخبرنا عن اية طريقة سلكها Kao Chueh Hui بل ان مجرد انكسار حدود عائلة اقطاعية كان بحد ذاته غالبا الخطوة الاولى للسعادة والاستناره ، والكاتب يجعل القراء يميلون الى شخوصه بسبب نظرته في عواطفهم وبالوضوح الذى كشف فيه التناقضات وحطمها ٠ هذه ميزة واحدة لجميع قصص باشين (Pa Chin) أما لاوشى فبدأ بكتابته القصص الطويلة منذ عام١٩٢٤وهو ينحدر من عائلةفقيرة لذلك فهو يعرف بحق حياة الناس الصغار في المدن والقرى ، وابطاله عادة هم المحتقرون المهانون ٠ ان قصصه القصيرة تصور حياة المجتمع بجميع مظاهره وقصته « الصبي ساحب العربة »(١) هي اشهر قصصه الطويلة انتشارا وهي قصة محزنة لصبي قوى يعمل بمشقة لجر العربة وذى حب عظيم للحياة سحقه المجتمع القديم ففقد اهدافه وثقته بالانسانية بالتدريج حتى غرق اخيرا في الانحطاط ٠ ان قلم لاوشيه متهم بالغضب والحقد على مرارة الواقع ، وجميع عواطفه هي مع اولئك الذين كانوا ضحايا المجتمع القديم ٠ كما ان سيطرته على اللغة على الغالب لا تنافس وله براعة في اختيار الكلمات الاكثر طبيعة وملائمة في التعبير يأخذها من الكلام اليومى المتداول بين الناس ٠

---

(١) كان في الصين كما هو موجود اليوم في سيلان وسيام عربات خاصة تسمى (Rickshaw) لركوب الناس يجرها الاولاد بدل الخيل والبغال ٠

فترة ما بعد ١٩٣١

احتل اليابانيون في ايلول ١٩٣١ شمال شرقي الصين وقد ادى عذاب وتنبه الشعب هناك الى بعث اول ثمرات القصص القصيرة والطويلة المرتكزة على المقاومة الشعبية للغزاة . ان قصة الكاتب Hsiao Hungs (١٩١١ ـ ١٩٤٢) « الحياة والموت » نموذج لهذه القصص .

ومثل هذه الكتابات تستنكر بغضب الفضائح التي ارتكبها الغزاة وكيفية استجابة الشعب لها . فالوطنية والحقيقة العنيفة التى تبرزها هذه الكتب كانت ذات وقع على قرائها . وفي تموز ١٩٣٧ اندلعت حرب المقاومة ضد الاعتداء الياباني وقد برهن حكام الكومنتانك على عجزهم عن مسايرة الوضع فاضاعوا المناطق الواسعة التى تسلمها الغزاة واقاموا ارهابا فاشستيا من قبلهم . ان كتابا كثيرين للقصص الطويلة والقصيرة ولا سيما (Sha Ting) المولود في ١٩٠٥ و(Ai Wu) المولود في ١٩٠٤ تحولوا من المعالجة العامة لحرب المقاومة الى لعن ظلم وجرائم حكام الكومنتانك لعنا مرا .

والقصص الطويلة الثلاثة لـ (Sha Ting) وقصص قصيرة اخرى كثيرة تدور مشاهدها على الغالب في ارياف سيشوان اذ يسخر الكاتب ويسدد نقده بصورة لاذعة اقتصاديا وفنيا ضد قوات الرجعية ملتفتا الى المنافع الفنية لمعرفته بحياة الصين الريفية وموهبته الخارقة للتعبير الفني . ان اغلب نقاد الادب يجمعون على ان شياتنك يرسم ببساطة في اغلب قصصه صورا واقعية لعالم الارواح دون الكشف عن نظرة واضحة لمستقبل افضل غير اننا في قصته الطويلة « العودة الى البيت » التى اكملها عام ١٩٤٧ نرى شيئا مغايرا الفلاحين بوحدتهم المتراصة للنضال ضد الظلم ـ هناك امل مشتاق جديد وتفاؤل جديد للصين الجديدة .

اما اى وو (Ai Wu) فيعالج حياة الريف ايضا وقصصه لا تعكس الجانب المظلم من الحياة وحسب وانما يرى كذلك دائما الحقيقة من خلال عيون الشعب الذى يرى فية القوة والامل للمستقبل . وقصته الطويلة « بين التلال » تصوز حرب فرد ضد الغزاه اليابانيين ، وهو يرينا ان العمال والفلاحين الذين اضناهم الفقر هم وحدهم الذين يمكن ان يكونوا الشعب الذي يقيم المقاومة الفعلية . واللغة السهلة المباشرة

ذات الاسلوب غير المتكلف به والمحبوكة التركيب المليئة بروح الثقة والمطبوعة بطابع الجدة والشكل المحلي الحي ، كل ذلك هي بعض مزايا قصص اى وو (Ai Wu) ·

واذ بدأت حكومة الكومنتانك تتدهور وتفسد اكثر فاكثر كان الحزب الشيوعي الصيني يقود الشعب ويشيد قواعد محكمة لتوجيه المقاومة ضد الغزاة اليابانيين، وقد سلك هذا الطريق كتاب كثيرون كانوا يتطلعون الى الحرية والتحرر والاستقلال الوطني · وفي عام ١٩٤٢ عقد مؤتمر في يينان حول مشاكل الادب والفن فأصدر الرفيق ماوتسى تونغ بحثه المشهور « حديث في ميدان يينان حول الادب والفن » وبعد ذلك ازدهرت كتابة خلاقة في المناطق المحررة بما لم يسبق له نظير كما اخذ الادب الجديد المبتدىء بحركة الرابع من مايس يدخل عهدا جديدا من المجد ·

شاوشولى (Chao Shu-Li)

ان كتب شاوشولى المولود في عام ١٩٠٥ وأشهر قاصى الصين المعاصرين يتم بداية العهد الجديد وشاو يمتلك معرفة ثرية في حياة الريف وهو ينحدر من احدى عوائل الفلاحين الفقراء كما ان له معرفة من الدرجة الاولى بالصراع المر المعقد بين الفلاحين وارباب الارض في القواعد ضد اليابانيين فقد قوى الفلاحون المنظمون من بأسهم وقواهم الصارمة اكثر مما كانوا · ان وجه المناطق الريفية تحمل تغيرا جذريا وفقما تحل الفلاحون انفسهم · هذا التغيير العظيم الذي كان يتطلع اليه لوهسون (Lu Hsun) بشوق ولم يعش ليشاهده قد حظى في الاول بتعبير فني في قصص شاوشولى ·

ان شخوصه عادة الفلاحون دون أن يمتاز بشيء خاص سوى معرفتهم مركزهم وادراكهم ان مصيرهم رهن ايديهم · شاوشولى له طريقته الخاصة التى ينفرد بها في معالجة شخوصه ، فهو لا يرضى ابدا أن يصف الناس غير متأثرين بمحيطهم الخارجي · انه يركز أبطاله في زحمة الصراع ولا يبني حذقا في عرض كيفية تفكيرهم واعمالهم في تلك الظروف · اذ من النادر ان ينغمس في الكتابة الجميلة حول ابطاله وانما يدعهم يكشفون عن صفاتهم من خلال كلماتهم واعمالهم الخاصة كما انه يلتقط بدون خطأ مدلول العبارات الصحيحة من كلام الفلاحين اليومي لا في حوارهم فقط وانما كذلك في رواياتهم ·

وقصصه محكمة السبك واضحه كالبلور ولغته مركزة سليمة التعبير ومن النادر أن يلجأ الى الوصف الطويل للمنظر او العقد النفسية ـ هذه الميزة التى يتصف بها كذلك القاصون الصينيون الكلاسيك ٠ ونموذج لذلك منظوماتـه المسماة (Li-Yu-Tsai) و (Hsiao Lnh-Hei) (وتبديلات في قرية لى) المعروفة شعبيا بصورة واسعة ٠

وما بعد عام ١٩٤٢ تقدم كتاب لامعون كثيرون الى الامام في المناطق المتحررة تحت زعامة الحزب الشيوعي الصيني اذ نشرت كتابات جميلة كثيرة من ذلك على سبيل المثال روايات وقصص (Chao Li-Po) المولـود في ١٩٠٨ حول اصلاح الارض في القرية وقصص (Liu Pai-Yu) المولود في ١٩١٥ في مواضيع الكفاح البطولى الذي اججه جيش التحرير الشعبي الصيني وقصص (Kang Cho) المولود في ١٩٢٠ القصيرة حول التغـير الجذري في حياة الفلاحين اليومية ـ هذه كلها مساهمة تستحق الملاحظة في الادب الصيني ٠

لقد كابد المجتمع الصيني تغيرا جذريا في الاعوام الثلاثين بين حركة الرابع من مايس ١٩١٩ وبين تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ واغلب مظاهر هـذه التغيرات انعكست في قصصنا الطويلـة والقصيرة ٠ كما ان نضالاتنا كانت عنيفة لا هوادة فيها بسبب الاساس الاجتماعي لاغلب كتابنا الذين هم انفسهم من المضطهدين في الايـام السابقـة وانهم كان لديهم الاسـاس الواقعي الذي وضعه لوهسون Lu Hsun ليشاد عليه لذلك لم يكن هناك اغراء للقصص الصينية الطويلة والقصيرة في الثلاثين عاما الماضية ان تتمرغ في المذهب الطبيعي المبتذل او اي شكل من اشكال الكتابة الوضيعة٠ ان التيار الرئيسي كان الواقعية من اشكال الكتابة الوضيعة٠ **ان التيار الرئيس كان الواقعية الاشتراكية** وقد أنجبنا كتـابا بارزين مثـل لوهسون (Lu Hsun) وما وتو (Mao Tun) وشاوشولى (Choochu-Li) وكان هناك ازدهار اخـر في القصص منذ تأسيس الصين الجديدة ونحن على يقـين بان التيـار الرئيسي لكتابنا **سيستمر بتمسكهم في الواقعية الاشتراكية ويسـير بهم مضطردا من قوة الى قوة ٠**

ترجمة : مرتضى الشيخ حسين

دروس من تأميم صناعة النفط في المكسيك

ف. سپيرين

تحاول الدعاية الاستعمارية ، وفي مقدمتها الدعاية الاستعمارية الاميركية ، ان « تبرهن » على أن البلدان المتأخرة عاجزة عن تطوير مصادرها الطبيعية الواسعة بنفسها ، أي بدون مساعدة « اجنبية » . واحدى جميع هذه الدعاية الرئيسية هي « انحطاط » صناعة النفط المكسيكية المؤممة ، الذى يزعم انه كان الثمن لتجرؤها على تحرير نفسها من الاحتكارات النفطية الاميركية والانكليزية وتصميمها على تشغيل مصادرها النفطية . وقد اصبحت هذه النقطة موضوعا مفضلا في السنتين الاخيرتين ، وبصورة واضحة بارتباطها بالتطورات الجارية في الشرق العربي . تقول المجلة الاميركية الليبرالية « ذى نيشن » ان الولايات المتحدة تعزف على موضوع « انحطاط » و « انهيار » صناعة النفط المكسيكية المؤممة لتبين للعرب الذين تستحوذ عليهم ، كما تقول المجلة ، فكرة التأميم ، « حماقة » هذه المهمة .

ولكن ماذا تبين تجربة المكسيك الفعلية ؟ لنتأمل في الحقائق .

*

مضى أكثر من عشرين عاما منذ أن أعلن مرسوم للرئيس (لازاردنياس) يقضي بجعل صناعة النفط ملكا للدولة . وكان استغلال المصادر النفطية قد عهد به الى (بترولوس ميكسيكانوس) (بميكس) وهي شركة تمتلكها الدولة . وقد جاء التأميم وطرق تنفيذه ملائما بالدرجة الاولى لمصالح البورجوازية الوطنية . وقد حدد هذا بالطبع أهمية التأميم . ولكنه مهم لانه قد نفذ في قطر شبه مستعمر (بفتح الميم) ولانه قد أنهى حكم الترستات النفطية الاميركية الجنوبية والانكلو ـ هولندية في المكسيك .

ان التأميم قد أوقف سلب الاحتكارات الاميركية والبريطانية الوحشي لثروة البلاد من النفط . فقد اسهم في تحرير المكسيك من

التبعية الاجنبية · واليـــوم تنمي صناعة النفط المكسيكيـــة في وجوه مختلفة تطور الصناعة والزراعة الوطنيتين ككل ، وتعمل كوسيلة هامة لتطوير البلاد ولانتصارها المستقل · وقد وجه طرد احتكارات النفط الاميركيـــة والانكلو ـ هولنديـــة ضربـــة خطيرة للمؤامرات المظلمـــة والنشاطات التخريبية الموجهة ضد القوى الديمقراطية وسياسة التحرر الوطنية ·

وفي مجرى العشرين عاما سجلت صناعة نفط الدولة انجازات كبيرة · ففي انتاج النفط تحتل المكسيك المرتبة السادسة بين بلدان العالم الرأسمالية والمرتبة الثانية (بعد فنزويلا) في اميركا اللاتينية · ان هذه النجاحات تظهر بصورة قاطعة ان الاقطار المتخلفة يمكنها ان تحارب حربا فعالة السياسة الاستعمارية للدول الغربية الكبرى ، وهي نفسها قادرة على تنظيم تطور مصادرها الطبيعية · وقد أثارت وتثير تجربة المكسيك اهتماما عظيما في العالم كله ·

وقد تم تأميم صناعة النفط المكسيكية تحت ضغط حركة الجماهير القوية المعادية للاستعمار · وتكفي الاشارة الى اضراب عمال النفط المكسيكيين الكبير الذى سبق مرسوم التأميم أو المظاهرة الجماهيرية لمائتى ألف شخص في مدينة المكسيك في ٢٣ آذار ١٩٣٨ تأييدا لقرار الحكومة · وفي الوقت الحاضر ايضا ، تقف الجماهير حارسة لصناعة النفط المؤممة ، وتصد أية محاولات لترستات الولايات المتحدة النفطية لاسترداد مراكزها السابقة في المكسيك ·

ان جهاز دعايـــة الوول ستريت ، على كل حال ، يحاول « ان لا يدرك » كل هذه المنجزات لصناعة النفط المكسيكية المؤممة ، ويستمر على الحديث عن « انحطاط انتاج النفط في المكسيك » بعد التأميم بسبب « التأخير الفني » للبلاد · وقد كتبت « فيشن » وهي مجلة تنشر في نيويورك بالاسبانية في مطلع ١٩٥٧ قائلة ان المكسيك كانت « تستغل مصادر نفطها باساليب متأخرة » وان انتاجا اكبر لا يمكن الحصول عليه الا بمساعدة التجهيزات الحديثة « ذات القدرة الفائقة » والتي لا تملكها هي ·

ولربما تنوي الولايات المتحدة مساعدة المكسيك واعطاءها مثل هذه المعدات الحديثة · ولكن الحقائق تشير الى النقيض من ذلك ·

ان عددا من الشركات الاميركية الشمالية التي عقدت اتفاقيات مع الـ « بميكس » بعد الحرب العالمية الثانية بحثا عن النفط ، قد قامت

يتخريب هذا العمل · وتبيع الولايات المتحدة للمكسيك أنابيب رديئة النوع لتستعمل في خطوط أنابيب النفط ، بالرغم من انها تقبض عنها ٣٠٪ أكثر من السعر الذي تبيع به الاقطار الاوربية ·

ولوضع نهاية لمثل هذا التمييز ، وللتخلص من الاعتماد على الاسواق الاجنبية في شراء معدات النفط ، فقد اتخذت اخيرا الشركة عددا من الخطوات لصنع المعدات التي تحتاجها في مؤسسات صناعية ثقيلة في المكسيك · ولهذه الغاية ارسلت ادارة الشركة مذكرة الى مجلس صناعة الحديد والفولاذ في المكسيك ، تشير الى الحاجة لان تنتج في مصانع وطنية معدات الحفر وغيرها من مهام النفط التي تستوردها البلاد ·

وتلبية لمذكرة البميكس دعى المجلس الى مؤتمر بين فيه الصناعيون المكسيكيون ، اعضاء المجلس ، ان المكسيك كانت قادرة على ان تنتج بنفسها المعدات لصناعة النفط ، وعبروا عن استعدادهم الكامل على القيام بصنعها ·

وفي المحاولات التي يبذلها المدافعون عن الاستعمار لارجاع الترستات النفطية العالمية الى المكسيك ، يؤكدون على ان رجعة كهذه ستحقق استثمارا واسعا لمصادر النفط وتوسيعا بالغا لصادرات النفط · وهذا كما ترون سيقدم للبلاد مبالغ محترمة من المال تعالج بها جميع المصاعب الاقتصادية · وكان مثل هذا البرنامج بالضبط قد قدمه في ايلول ١٩٥٧ (اتحاد غرف المكسيك الوطنية) الذى يتألف معظم ممثليه من البورجوازية التجارية المرتبطة مع رأس المال الاميركي الشمالي · كما ان جزءا كاملا من هذا البرنامج هو طلب الغاء تدخل الدولة في النشاطات الاقتصادية و « اعادة تنظيم » صناعة النفط المكسيكية ، بما يتلاءم و « المصادر المالية غير المحدودة » من الخارج · ولكن جميع هذه الدعوات يرفضها السكان ، بما فيهم ممثلو الدوائر الحاكمة ، رفضا حازما · وجوابا على الموقف اللا وطني للاتحاد أصدر (بيرميورس) ، المدير العام للبميكس تقريرا قاطعا أن شركة الـ (بتروليوس مكسيكانوس) قد تطورت ، وهي تتطور بمصادرها الخاصة ، وهي ليست بحاجة الى رأس المال الخاص ، وبخاصة رأس المال الاجنبي ·

وتأييدا لوجهة نظر البيمكس اوضح بنك التجارة الخارجية الوطني للمكسيك ، في أحد تقاريره بأن تأميم النفط في ١٩٣٨ « حقيقة

تاريخية لا تقبل التغيير » ، واعلن أن الحديث عن الانتاج الواسع النفط لمجرد أن يصبح التصدير « خصبا » كان بجوهره خطأ وهو « يسير في الضد من المصالح الحقيقية للامة » ٠

وخلال حكم شركات النفط الاجنبية في المكسيك ، كان النفط بأجمعه تقريبا يصدر ، بينما كان الغاز اما أن يبدد في الهواء أو يحرق وقد أرادت بذلك شركة (روكفلر ستاندرد أويل اوف نيوجرسي) والترستات الاجنبية الاخرى أن تحول دون تطور المكسيك الاقتصادى، ما دامت صناعتها وزراعتها تعتمدان اعتمادا مباشرا على النفط ، وذلك بسبب انعدام الفحم ومصادر القوى المائية غير الكافية ٠

ان سياسة البميكس ازاء صادرات النفط تتقدم ، على النقيض ، تقدما شاملا من الحاجة الى اقتصاد وطني مستقل ٠ ولم يحاول قط مدراء صناعة النفط توسيع صادرات النفط باي ثمن ، انما هم جهدوا أولا في اشباع حاجات البلاد الداخلية من النفط ومنتجاته ، وذلك ليحتفظوا بمصادر النفط لاغراض التقدم الاقتصادى ٠ وأحد مبادىء سياسة المكسيك التجارية ، كما بين ذلك تقرير للبنك الوطني التجارة الخارجية ، هو « أن تقيد بقدر الامكان صادرات المواد الاولية التى لم تسد بعد احتياطياتها أو المحدودة » ٠

وقد وصف باسهاب انطونيو بيرميوديس في تشرين الاول ١٩٥٥ في الاجتماع السنوى لمعهد البترول الاميركي في سان فرنسيسكو ، موقف المكسيك من هذه المسألة ٠ فقال : « بالرغم من ان بلادى تنتج من البترول اكثر مما تستهلك ، فليست لنا مشاريع طامحة لنصبح مصدرين للنفط كبارا ٠ وانما على العكس ، نحن نريد أن نصبح مستهلكين للنفط كبارا ٠ فالنفط المكسيكي المستهلك في البلاد يحقق فوائد اكثر من النفط المصدر ٠٠٠ فالبرميل الواحد من النفط المستعمل في مصالح الامة خلال البلاد ، يدر على المكسيك موردا اكبر اربعة او خمسة اضعاف من برميل النفط المعد للتصدير »(١) ٠

ان سياسة البيمكس تأتي اكلها ٠ فمنذ التأميم خطت صناعة تكرير النفط المكسيكية خطوة كبيرة الى الامام ٠ فما بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ وحدهما ارتفع تكرير النفط في البلاد بنسبة ٦٠٪ ٠ وفي صادرات البلاد تحتل المنتجات المكررة مكان النفط الخام بشكل متزايد ٠ وقد

---

(١) التأكيد من وضعي ٠ (المترجم) ٠

اقيمت صناعة لانتاج الغاز ، الاسفلت وزيوت التشحيم الخ · وارتفع استهلاك النفط استهلاكا عظيما ·

ان رأس مال المكسيك وحده استهلك في ١٩٥٤ ضعفي مقدار البترول الذي استهلكته البلاد باجمعها في ١٩٣٨ · وفي ١٩٥٥ بلغ استهلاك النفط ومنتجات النفط ٧٩ر٣ مليون برميل مقابل ٢ر٢٠ برميل في ١٩٣٧ ، أي ما يقارب زيادة قدرها أربعة اضعاف خلال ثمانية عشر عاما · وقد رأت السنة الاخيرة زيادة في استهلاك النفط قدرها ٣ر١٣٪ ·

وبهذا كانت هناك اسهامة في تصنيع البلاد وتطوير زراعتها ونظام مواصلاتها ، اسهامة لم تكن ممكنة الا بفضل تأميم صناعة النفط ، بفضل كون المكسيك قد تخلت عن انتاج النفط لمجرد التصدير ، كما كان الامر قبل ١٩٣٨ ، وهي توسع استهلاكها خلال البلاد ·

وكل هذا يبرهن على الطبيعة المضللة والمعادية في تأكيدات الدعاية الاميركية الشمالية حول الوضع « غير المفضل » في صادرات النفط المكسيكي ·

ان هذه المحاولات قد بذلت وتبذل ، طالما لم تعوض الاحتكارات الاميركية النفطية نفسها عن خسارة مثل هذا الهدف الاستغلالي الهام وعن استنزاف الارباح الفائضة · وحتى يومنا هذا لم تتخل الولايات المتحدة عن فكرة اعادة اغتصاب النفط المكسيكي بطريقة أو اخرى · وترى احتكارات الولايات المتحدة النفطية في صناعة النفط المكسيكية الحرة عقبة كبرى في طريق توسعها الاقتصادي في الاقطار الاخرى وذلك بأمل الاستيلاء على مصادرها الطبيعية · انها تريد القضاء على « السابقة الخطرة » التي قامت بها المكسيك · وتعتمد دوائر الولايات المتحدة الحاكمة في نشاطاتها التخريبية على ملاك الارض وجزء من البورجوازية التجارية والصناعية المكسيكية المرتبطة برأس المال الاميركي الشمالي ·

ولم تدخر الولايات المتحدة وبريطانيا وسعا لتقويض صناعة نفط المكسيك المؤممة · وجوابا على التأميم جاءت مذكرات الحكومتين الاميركية والبريطانية التهديدية · وطالبت الولايات المتحدة بتعويض « فوري ومناسب » عن الملكية المؤممة واعلنت عن مقاطعتها النفط المكسيكي · واكثر من هذا ، رفضت أن تبتاع الفضة من المكسيك ،

المادة الرئيسة في صادراتها ، وتوقفت في ذلك الوقت عن تسليم معدات النفط الى المكسيك · واعلنت الولايات المتحدة أنها تستمر في اعتبار النفط المكسيكي ملكا لها وانها لذلك تعتبر شراء هذا النفط كشـــراء « أموال مسروقة »(١) وقد هددت علنـا صحف الاحتكارات الاميركي الرئيسية حكومة كاردنياس « بنتائج خطرة » و « مضاعفات دولية » · وقد ضغط الاستعماريون الانكليز والاميركان باستمرار على حكوماتهم لتتدخل في شوءون المكسيك الداخلية ·

ولكن بالرغم من الضغط المشين والاستفزازات ، وقفت حكومة كارديناس موقفا ثابتا · وقد رفضت المكسيك جميع المحاولات لمناقشة تأميم النفط المكسيكي في مجلس تحكيمي في (الهاكيو) ·

وبالتالي فقد استمرت الولايات المتحدة على ابتزاز المكسيك لمدة طويلة ، مقدمة اليها « مساعدة » مقابل تعديلات ملائمـــة لدستورها تيسر عودة حقـول النفط الى الاحتكارات الاجنبية · ففي عام ١٩٤٩ وتلبية لطلب المكسيك قرضـــا بمائتي مليـــون دولار ، طالبت وزارة الخارجية الاميركية بابقاء قوانين تأميم النفط وقبول الرأسمال الاميركي الخاص في صناعة نفط البلاد · ومن الطبيعي تماما أن ترفض المكسيك رفضا حازما هذه الشروط المهينة · ويستمر هذا التهديد على أيـــة حال الى يومنا هذا · ولاقامة المصاعب في طريق نشاط الـ (بميكس)، فقد جعلت الولايات المتحدة من المستحيل على المكسيك الحصول على القروض لصناعتها النفطية من البنك الدولي للاعمار والانشاء ، بالرغم من أنها عضو في هذا البنك · ان هذه الخطـــوة التى خطتها الولايات المتحدة هي كما قال الرئيس السابق للفرقة الوطنية لصناعة المكسيك المانيوفاكتورية ، كاسترويولا « موجهـة بصورة مباشرة الى تقـويض صناعتنا النفطية التى اقيمت طبقا للدستور » ·

وقد صاغ الشيخ الديموقراطي مورس ، رئيس اللجنة الفرعية الاميركية اللاتينية للجنة العلاقات الاجنبية لمجلس الشـيوخ الاميركي موقف واشنطن من صناعة النفط المكسيكية كما يلي : « اما أن تتطوروا حسبما نخبركم ، واما أن لا نمولكم » · ثم ان الشيخ نفسه اكد على أن

---

(١) هارفي اوكونور ، (امبراطورية النفط) ، نيويورك ، ١٩٥٥ ، ص ٣١٥ ·
(٢) مونثلي ريفيو ، ايلول ١٩٥٧ ، ص ١٦٤ ·

موقف وزارة الخارجية من صناعة النفط المكسيكية « ذو طبيعة انضباطية » ٠

ولم تمض مدة طويلة على اعلان المكسيك تأميم صناعة النفط في عام ١٩٣٨ حتى تنبأت عدة « سلطات » في الولايات المتحدة وبريطانيا وبلدان استعمارية اخرى بأن المكسيك « ستجثو على ركبتيها » خلال سنة على الاكثر امام الاحتكارات النفطية الاجنبية ٠ وحين ترك الاخصائيون المكسيك كدليل على احتجاجهم ، فقد تركوا في بيوتهم حراسا لانهم كانوا مؤمنين بان المكسيك ستستسلم بعد قليل وتستدعيهم ثانية ٠ ولكن هذا لم يحدث لا بعد قليل ولا كثير ، بالرغم من جميع الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة وبريطانيا ٠

لقد برهنت الـ « بميكس » شركة النفط الحكومية ، على حيويتها منذ أمد بعيد ٠ فما بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ وحدها بنت هذه الشركة مصافي نفطية في ميناتيتلان (فيراكروز) وفي (رينوز) (تاموپيلاس) ومصفى لزيت التشحيم في سالامانكا (كواناجواتو) وقد وسعت مصفى النفط في ضاحية من ضواحي مدينة المكسيك واقامت عددا من أنابيب النفط ، وهي تربط حقول النفط بالمناطق الداخلية من البلاد وقامت بأعمال ضرورية أخرى ٠

وقد أفاد أنطونيو پيرميوديس ، المدير العام للشركة ، بأن استثمارات رأس المال في صناعة النفط في العشرين سنة الاخيرة بلغت مبلغا وافرا هو ٦ر٨٠٠ مليون پيزوز (الدولار الاميركي يساوي ٥ر١٢ پيزوز مكسيكي) ٠ يضاف الى ذلك أن جميع الاستثمارات قد جاءت تقريبا من الاحتياطات الداخلية للشركة ٠

ان انتاج النفط في المكسيك ، الذي انخفض في الفترة الاولى بعد التأميم بسبب تخريب ومقاطعة الاحتكارات الاميريكية والبريطانية الكبرى ، قد استمر في الارتفاع بصورة مطردة في السنوات التالية : ففي ١٩٥٦ ، بلغ انتاج النفط ٢ر٩٤ مليون برميل مقابل ٤٦ مليون برميل في ١٩٣٧ ، وقد بلغ المستوى الاعلى في السنوات الثلاثين الماضية ٠ وقد اكتشفت مخزونات غنية جديدة من النفط في البلاد بعد التأميم : فقد اكتشفت ٨٨ مخزونا من النفط والغاز بين ١٩٣٨ و ١٩٥٦ ، و ٥٩ منها في السنوات الاربع الاخيرة ٠ وقد كان الوضع مختلفا اختلافا كليا حين كانت ترستات النفط الاميركية الشمالية

والبريطانية تسود المكسيك . ولم يكن هناك حقل نفط واحد يؤمل العثور عليه بين ١٩٣٢ و ١٩٣٦ .

ان اكتشاف مخزونات كبيرة في المكسيك بعد التأميم قد زاد زيادة عظيمة من مصادر النفط والغاز التي جرى مسحها ، وقد بلغت في ١٩٥٧ (٣٣٧٣) مليون برميل يقابلها (٨٣٥) مليون برميل في ١٩٣٨ . كما أن مقارنة عدد آبار النفط المحفورة قبل وبعد التأميم هي بوضوح في غير صالح شركة (اميركان ستاندارد اويل) و (رويال دتش شيل) وشركات نفطية اجنبية اخرى . فبينما لم تحفر في خمس سنوات ، من ١٩٣٢ الى ١٩٣٧ ، سوى (٤٨٠) بئرا في المكسيك ، فان (١٠٣٨) بئرا حفرت من ١٩٤٧ الى ١٩٥٢ و (١٧٦٨) بئرا من ١٩٥٣ الى ١٩٥٧ .

وفي الحملة الموجهة ضد البميكس ، يحاول الاستعماريون الانكليز والاميركان أن يستغلوا استغلالا متزايدا القوى الرجعية في المكسيك . وقد برز في هذا المجال تقرير الصيرفي . (الفونس دايز كرازا) وهو ممول مكسيكي مماليء للاميركان ، الذى اشار الى سير مشاريع البميكس (غير الكفوءة) ، ملمحا الى ضرورة تسليمها الى الشركات الاجنبية .

وقد رد الرأى العام المكسيكي على تقرير كارزا ، مؤكدا بصواب بان جزء من الحملة الموجهة لزعزعة الثقة في صناعة النفط التي تمتلكها الدولة . وقد اصدر اتحاد عمال نفط المكسيك نداءا الى جميع العمال والفلاحين ، واصفا كارزا « كعميل للاحتكارات التي تبذل كل شيء في سبيل تحويل بلادنا مرة اخرى الى مقاطعة مفتوحة وجعلها هدفا للاستغلال » .

وفي الواقع ، فان الزيادة في عدد عمال النفط من سبعة آلاف في ١٩٢١ الى اربعين الفا في ١٩٥٧ ، كما اقتبس الارقام دايز كارزا ، لا يمكن ان تدل الا على شيء واحد ، اي تطور صناعة انتاج وتكرير نفط البلاد . وفي الماضى ، خلال سيطرة ترستات النفط الاجنبية ، استخدم عدد من العمال أقل ، ولكن المسألة بصورة رئيسية لم تكن بعد ذلك سوى مسألة استخراج النفط الخام للتصدير . أما الآن فان الوضع يختلف اختلافا كليا : فتكرير النفط في البلاد قد تطلب تجنيد عمل اضافي كبير .

ان دايزكارزا وأشباهه لا يقول بالطبع شيئا عن استغلال الاحتكارات الاجنبية الوحشى للعمال المكسيكيين · وتقتبس المجلة المكسيكية (سيمبرى) في هذا الصدد قصة عامل عجوز من عمال النفط هو (ريجينو توريس) الذى اشتغل في حقول النفط العائدة للرأس مال الاجنبي · ويشتغل العمال منذ شروق الشمس حتى غروبها في ظروف مناخية قاسية · وكانت ظروف السكن مرعبة · وتنقص العمال الخدمة الطبية الضرورية · وكان أقل اظهار لعدم الرضا يخمد اخمادا فظا · أما الفلاحون الذين اتوا الى حقول النفط بحثا عن عمل فقد عادوا « مرضى أو محطمين او بقوا في الحقول المجاورة للآبار لكي لا ينهضوا ثانية » ·

وقد ادى التأميم الى تغييرات كبيرة في العمل والظروف الحياتية لعمال النفط المكسيكيين · والى ما قبل ١٩٣٨ كان مستوى اجور عمال النفط الادنى بين الاجور في البلاد · وفي ١٩٥٥ ، كانت أجور العمال المستخدمين في البميكس أربعة أضعاف في المتوسط أعلى من اجورالعمال المستخدمين في المشاريع الخاصة · وفي السنة نفسها أنفقت البميكس خمسة ملايين دولار على تقديم المساعدات الطبية لعمالها وعائلاتهم وعلى احتياجات التعليم · وتدير اليوم البميكس تسعة وثلاثين مدرسة يحضرها (٢٢) ألف من اطفال عمال النفط · وتعيش الآن عائلات عديدة من العمال في مقاطعات للبيمكس ، حيث تمتلك الكهرباء والغاز·

ويخصص مكان في حملة الدعاية المكرسة للتقليل من شأن البميكس ، لابراز الفروق بين « تأخر » المكسيك في انتاج النفط و « رفاه وتقدم » فنزويلا ، التي تسيطر على صناعتها النفطية سيطرة كاملة الاحتكارات الاجنبية وبصورة رئيسية الاميركية ·

ان هذه الحقائق ، على أية حال ، تظهر أن مقارنة كهذه هي بكل جلاء ليست في صالح ابواق الاستعمار الاميركي · والحقيقة فان المكسيك تحصل من موارد صناعتها المؤممة ما يقارب ما تدفعه احتكارات النفط الاجنبية الى فنزويلا ، بالرغم من أن انتاج النفط في فنزويلا اكبر بعدة مرات من انتاجه في المكسيك ·

ان اقتصاد فنزويلا قد دمر وأصبح معتمدا اعتمادا كليا على الموارد المتأتية من انتاج النفط · ويصرف هذا المورد بصورة كبيرة على استيراد البضائع وبخاصة من الولايات المتحدة · وصناعة فنزويلا

الوطنية متطورة تطورا بطيئا جدا ، أما زراعتها فقد تدهورت · والى ما قبل استغلال رأس المال الاجنبي لحقول النفط كانت فنزويلا قادرة على اطعام نفسها · أما الآن فان البلاد لا تنتج الا نصف الذرة واللحم والحليب الذي تحتاجه ، وثلثا واحدا فقط من الحبوب والخضروات · وترعى في مراعي فنزويلا قطعان هي أقل مما كانت عليه قبل (١٥٠) عاما ·

ان تأخر صناعة وزراعة فنزويلا الذي خلفته هيمنة شركات النفط الاميريكية والبريطانية هو من الكبر حيث أن فنزويلا تسير خلف المكسيك في أسس اقتصادية كثيرة · فانتاج القوة الكهربائية للفرد الواحد ، مثلا ، بلغ (١٥٠) كيلوواط في فنزويلا في ١٩٥٣ ، مقابل (٢٥٠) كيلوواط في المكسيك · وفي ١٩٥٣ كونت واردات فنزويلا من الطعام (١٤) بالمائة من مجموع وارداتها وبلغت (٢٦ر٦) دولارا للفرد الواحد · أما في المكسيك فان حصة المواد الغذائية من المجموع الكلي للواردات كانت (٦ر٥) بالمائة تقريبا ، أو دولارين للفرد الواحد اي ، (٩٠) بالمائة أقل مما هي عليه في فنزويلا ·

كل هذه الحقائق تظهر بجلاء **أن قطرا متأخرا يأخذ على عاتقه تطوير ثروته الطبيعية له كل المزايا على قطر يستغل مصادر موارده الاولية رأس المال الاجنبي·(١)**

وبنقيض الاقطار المتخلفة حيث يتصرف الاجانب بالنفط ، فان المكسيك قادرة على تقديم المعونة الى الاقتصاد الوطني ككل ، باتباع سياسة اسعار منخفضة للنفط ومنتجات النفط المباعة في السوق الداخلية · فبينما كان سعر البترول في ١٩٣٧ ، خلال سيطرة الشركات الاجنبية ، (٢٠) بالمائة اعلى منه في الولايات المتحدة ، فان البترول في الولايات المتحدة يباع اليوم بسعر هو (٨٠) بالمائة أعلى منه في المكسيك ·

ان سياسة كهذه للبيع باسعار منخفضة هي شكل من اشكال تنشيط الصناعة والزراعة والنقل الوطنية · فما بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ وحدهما صرفت البيمكس (١١٩١) مليون پيزوز في مثل هذه المساعدات ·

---

(١) تاكيد كاتب المقال ·

وتؤلف الضرائب التي تدفعها البيمكس الى الدولة موردا هاما من موارد الميزانية المكسيكية • فقد استخرجت الشركة ما بين ١٩٣٨ و ١٩٥٦ (١٢٠٥) ملايين برميل من النفط ودفعت ما يزيد على خمسة آلاف مليون پيزو للضرائب • ولكن شركات النفط الاجنبية ، وقد استخرجت ما بين ١٩٠١ و ١٩٣٧ (١٨٩٥) مليون برميل من النفط ، لم تدفع للضرائب الا (٧٧٧) مليون پيزو •

ان محاولات الاستعماريين الاميركان والبريطانيين للاستفادة من المشاكل المعلقة التى لا زالت تواجه صناعة النفط المكسيكية المؤممة عقيمة أمام نجاحات البيمكس التي لا تقبل النقاش • ان أحدا لا ينكر أن هذه الصناعة لا زالت تواجه مصاعب في تطورها • ولكن علينا أن نتذكر أن الاخطبوطات التي طردت من البلاد لا زالت تداعبها آمال العودة ، وانها لا تزال تقيم مختلف ضروب العقبات أمام نشاطات البيمكس •

ومن بين المشاكل غير المحلولة حقيقة كون الشركة لم تنجز حتى الآن تمويلا متوازيا للمجالات الرئيسية لفعالياتها ، وقد وجدت (اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة لاميركا اللاتينية) أن معظم أموال البيمكس تتسرب الآن الى بناء مصافي نفط جديدة وتوسيع القائمة منها وكذلك لاقامة أنابيب النفط • ان هذا يؤدي الى حد ما تمويل توسيع انتاج النفط والاعمال الجيولوجية المنتظرة •

ان حقيقة كون شركة (پتروليوس ميكسيكانوس) كانت ملزمة أن تدفع من مصادرها الخاصة مبلغ (١١٣) مليون دولار تعويضا لشركات النفط الاجنبية ، هذه الحقيقة تلعب دورا كبيرا في هذه المشاكل • يضاف الى ذلك أن البيكمس تعاني خسارة في استيراداتها من الولايات المتحدة والاقطار الاخرى منتجات النفط التي تنتج الى حد ما في البلاد أو تنتج بكميات غير كافية • ان منتجات النفط هذه تستورد بأسعار مرتفعة وتباع في السوق الداخلية باثمان منخفضة • فالشركة ، مثلا ، تدفع (٤٦ر٢) سنتافو لكل لتر لزيت الديزل الاجنبي ، ولكنها تبيعه بـ (١٧ر٩) سنتافو للتر الواحد •

كما ان صعابا غير قليلة امام البيمكس تنشأ عن حقيقة كون الاسعار المنخفضة لمنتجات النفط قد بقيت بلا تغيير لمدة طويلة ، بينما

الموارد البشرية
واثرها في التوجيه الاقتصادي

حسن النجفي

من الضروري في اية محاولة لدراسة التخطيط الاقتصادى ان نخص بعنايتنا مسألة الموارد البشرية وتوليها اهتمامنا البالغ ، ذلك ان هذا الجانب ـ من الموارد المنتجة ـ في النشاط الاقتصادى له اكبر الاثر في الحكم بأن ذلك التوجيه هل يسير بطريق سليمة أو لايسير · وينبغى ان يكون هناك انتظام وتقدير صحيح في استخدام الموارد المذكورة بالنسبة لغيرها من الموارد المنتجة ، لئلا يكون تفضيل لاحدها على حساب العمال الذين يؤلفون هذه القوة المحركة ·

على ان هذا التقدير رهن الى حد بعيد بالمفاهيم المسيطرة على اذهان الموجهين والقائمين على التخطيط الاقتصادى ، وعلى الرغم من ان الاجماع يكاد يكون تاما في كلا النظامين الرأسمالي والاشتراكي على الرفع من انتاجية العامل ـ التي تتوقف الى حد بعيد على درجة تطور اموال الانتاج ـ فأن النتائج في كلا النظامين ايضا رهينة الى حد بعيد بالانجازات التى تكفل الارتفاع بمستوى العمال الى الحد المعقول من الرخاء المادي والمعنوي ·

وفي ضوء هذه النتائج يمكن البحث عن السبل الاكثر انسجاما مع نفسية العامل العراقي وتطويره الى المستوى الذى يكفل له نسبا عالية من النشاط الذهني ـ ليواكب تطور الالة ـ والنشاط البدني ـ ليواكب امتداد انتاجية العمل ـ ونسبا اخرى من التعليم لتنمية كفاءاته الاكثر انتاجا ، والعمل على رفع مستواه المادي لتغطية حاجاته المعاشية الضرورية ·

ولهذا كان دور التوجيه في اعداد وتهيئة العمال ـ الذين يمثلون الموارد المنتجة ـ في النظام الاقتصادي ، عامل مهم ذو خطر ، ذلك ان ايد غير كفوءة قد تتعهد هذا الجانب من النظام فتسيء اليه ، لعجزها

عن الاستنتاجات الصحيحة او الركون الى استنتاجات بعيدة عن الواقع وعن التطبيق العملي ٠

فعلينا اذن في بداية هذه المرحلة التي تعتبر بداية جدية لتصنيع العراق ان نولي هذا الجانب كل اهتمامنا ونرسم الخطط الموجهة كأول مرحلة من مراحل التمهيد لاشتراكية علمية صحيحة ، واعتقد ان اية بداية لا تتناول بالتغيير جذريا اوضاع العامل العراقي سوف لن يكون لها اثرها في تطوير العامل او في تطوير الانتاج نفسه ، ذلك ان اظهر صفة تميز انتاج العامل العراقي هي الوحدة الانتاجية ذات السعة المتناهية في الصغر بالنسبة الى الوحدات العادية في البلاد المصنعة والبلدان الاشتراكية ٠ ولا شك ان الوحدات الصغرى لانتاجية العامل العراقي هي نتيجة تنسحب الى اسباب كثيرة ٠٠٠ وأول هذه الاسباب هو الفقر المدقع الذى يبلغ درجة الحرمان وما يصاحب هذا الفقر من جهل ينحط بصاحبه الى قناعة شديدة واستكانة للامر الواقع وايمان مطلق بالغيبيات ٠٠ وثاني هذه الاسباب أو النتائج هو المرض الذي يستهلك مقاومة العامل ويستنفد وقته ويختزل بالتالى الحجم الممتد للعمل ٠٠

ولعل هذه السلاسل الثلاث التي ينتظمها الفقر والجهل والمرض هي السلاسل الاكثر ملائمة التي كان الاستعمار ولا يزال يقيد بها رقاب الشعوب المتخلفة في شرقنا الاوسط ، ذلك ان اي تقدم مرهون الى حد بعيد بالرغبة التي تعتمل في نفسية الشعب ٠

وقد حاول الاستعمار أن يحد من تنمية هذه الرغبة وان يوجهها توجيها خاطئا ، فأستعان بالطريقة المألوفة عن طريق اذنابه وعبيده ، فخلق الاقطاع واوجد طبقة من كبار الملاك والمكتنزين ، ويسر الطريق امام الرأسماليين ذوى المصالح المشتركة مع الاستعمار وفتت المجتمع الى فئات صغيرة متناحرة ، من صغار الملاك وصغار التجار وصغار الملتزمين ، عن طريق المنافسة الحادة ، وجاء بالعمال في الطبقة السفلى وسلط على هذه الطبقة الفقر والجهل والمرض حتى كاد أن يودى بها الى الانحلال ٠

ولو اننا نظرنا الى الاحجام النسبية للعمل لاصابنا الذهول ذلك ان الظروف التي تعينها تعتبر ظروفا هزيلة قياسا على مثيلاتها في

الدول المتقدمه صناعيا ، فالمقاييس التي تحددها هذه الظروف هي :

١ ـ حجم العمل من حيث كفايته ٠

٢ ـ انتاجية العمل أي المقدار الذى يتوقف على درجة تطور أحوال الانتاج ٠

٣ ـ حجم العمل من حيث طول يوم العمل ٠

ان دراسة هذه الظروف ومدى مطابقتها لاحوال العامل العراقي تحتاج الى مزيد من البحث الطويل الذي رأينا ان نتناولها هنا بأختصار شديد ٠

ان معدل نسبة وقت العمل الفعلية الى الوقت الموزع بين البطالة والضياع ، هي كنسبة واحد الى سبعة في احسن احوالها ٠ ونسبة حجم العمل المنتج في الاوقات المشغولة فعلا التي ينتجها العامل العراقي بالنسبة الى الاحجام المنتجة في الاوقات المشغولة فعلا في البلاد المصنعة تصنيعا حديثا ، هي كنسبة واحد الى ثلاثين ٠٠ ان اسباب هذه الانتاجية الهزيلة للعامل العراقي والسعات المنتجة الواطئة ، يعود بالدرجة الاولى ـ كما قلنا ـ الى الجهل والفقر والمرض ٠٠ هذه الدوامة التي كانت تنتظمه في كل الفترات التي تولى فيها الاستعمار فيها الحكم أو تولاه اذنابه وعبيده ، وكان محروما تبعا لذلك من الحقوق ، مهما بلغت ضآلة تلك الحقوق ، في التنظيم النقابي ـ الذي يتولى شؤون العمال ـ كان في حكم العدم ، وقوانين العمل كانت متهافتة في معظم نصوصها وغير مغمول بنصوصها الاقل اعتدالا ، وكنتيجة لذلك لم يكن في استطاعة العامل تنظيم حياته حسب اسس نقابية ثابتة يعتمد عليها في حالة عجزه او مرضه او تقاعده او في حالة مطالبته بزيادة الاجور او الاعتصاب او الاضراب او التعويض مع ان هذه الحقوق تعتبر في البلدان المتقدمة صناعيا حقوقا معتدلة جدا ٠

ان العامل العراقي يتعرض للاهمال المطلق في اي مطلب من مطالبه ، مهما كانت مشروعية ذلك الطلب ، لان الاستعمار الذي يخيفه التقدم اي كان نوعه وتقدم الصناعة بصورة خاصة ، كان يشد بدوره من ازر المعركة لتضيق الحصار وعدم الافساح لاية حركة يتنسم من ورائها نسمة من حرية او حق ، والعامل بدوره كان يستشعر هذا

الظلم ويلمس هذا الاهمال ولكنه لا يستطيع ـ الا في الحالات القليلة ـ دفع هذا الظلم ومقاومة استهتار الحكومة بشأنه ويضطر بالنتيجة ، بعد أن توهن مقاومته بالاستمرار ، الى الرضوخ والعمل في أسوأ حالاته النفسية وظروفه الصحية والمعاشية ـ تحت ضغط الحاجة ـ ويكون الدافع الوحيد له الى العمل هو الحصول على الاجر بغض النظر عن اعتبارات العمل الاخرى ·· ولن يكون له في مثل هذه الحالة اي دافع لزيادة الانتاج أو حافز لرفع كفاءته أو الاهتمام بملء الوقت كله بالعمل ·

ومن ناحية اخرى فأن العادات الاجتماعية الرجعية وما يصاحبها من خنوع ويأس وخرافات قد انحرفت باعداد كبيرة من العمال الى المفاهيم الخاطئة والنظرات الرديئة التي ينظرون من خلالها الى الحياة ويفسرونها تفسيرا شاذا تنحط قواهم الذهنية والبدنية تحت وطأتها ·· ان نتيجة ذلك هو قلة المقاومة والوقوع فريسة للامراض النفسية والجسمية وما يتبع ذلك من التضييع والبطالة الاجبارية ، ومن ثم تقلص حجم العمل وانخفاض كفايته الى النسب الواطئة التي بينتها آنفا ·

اما بالنسبة الى المقياس الثالث وهو علاقة تطور ادوات الانتاج بتطور العامل نفسه ، فاننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان تلك التبعية معدومة تقريبا ليس في العراق فحسب بل في كل بلد ابتلى بالاستعمار بصورة عامة · بل ان هذه التبعية قد تكون معدومة أيضا في البلدان التي ينتظمها النظام الرأسمالي ، وعلى الرغم من ان معارك فكرية عتيقة لا زالت دائرة بين انصار المذهبين العالميين الرأسمالي والاشتراكي ، وعلى الرغم من أن لكل من أنصار المذهبين حججهم حين يدللون على نجاح تجربة اي المبدأين قياسا الى مدى التقدم المادي والتقدم التقني الذى يصيب العامل تحت ظلمها ، فان مقياس أي منها ينعدم ، أو يصعب انطباقه على العامل العراقي بحالته الحاضرة ، ذلك ان حقوقه المهدورة وظروفه الشاذة التي بيناها سابقا ، يضاف الى ذلك استهتار الفئة الحاكمة وتوجيه الاستعمار الخاطىء لقتل الصناعة الوطنية والقضاء على العالمية والتنظيم العمالي بصورة خاصة ، هذه العوامل كلها قد وجدت فجوات واسعة جدا يتعذر معها القيام بأية مقارنة

للمستوى المعاشي او التقني للعامل في العراق بالنسبة الى العامل في البلدان المتقدمة صناعيا .

وعلى سبيل المثال نذكر ان نظام توزيع الارض مثلا قد اوجد طبقة من كبار الملاك الاقطاعيين تعيش عيشة باذخة على رأس المخروط الذى تشكل قاعدته طبقة الفلاحين الذين يصل بهم الفقر الى درجة الحرمان .. وان أى استصلاح للارض كانت تتعهده الفئة الحاكمة كان يستهدف اولا وقبل كل شيء مصلحة اولئك الاقطاعيين فحسب . وهكذا ترتفع ارباح قمة المخروط ، في حين تظل القاعدة راكدة بأوضاعها ومشاكلها .. فان نظام العهد لبائد ، كما قلنا ، كان موجها كله لتجميد التنظيم النقابي في مكانه ، وقتل الحركة التحررية في نفوس العمال ، وعلى الرغم من ان بعض التشريعات العمالية الحديثة والقوانين التى تنظم اموال العمال ، قد اقتبست من قوانين وتشريعات الدول الصناعية الحديثة نرى ان روح هذه القوانين لم تفسر مرة واحدة ، ولم يسبق ان طبقت في تاريخ الحياة النقابية في العراق .

ومن الملاحظات التى تلفت النظر ان تطوير الآلة لم يرافقه تطوير في كفاءة العامل العراقي الا بنسبة ضئيلة لا يقاس عليها ، ويعود سبب ذلك الى جملة من الاعتبارات التي كانت تستهدفها الفئة الحاكمة وتوصيات الاستعمار الذى كان يهمه ان يبقى البلد في حالة بدائية غير مصنعة ، وان تبقى السوق تبعا لذلك مفتوحة لمنتجاته الفائضة ، ذلك ان من مقومات الاستعمار ديناميته المستمرة للسيطرة على الاسواق القديمة ، وغزو اسواق جديدة ، واستنفاد طاقة الشعوب المغلوبة ، وتشجيع الاوضاع الاجتماعية الرجعية ، والابقاء على عوامل الاقتصاد المتخلف ، والحد من تطوره ، لكي يبقى عاجزا يتهافت امام أية منافسة اجنبية ، ولن يمكن تحت هذه الظروف ان يصاحب تطوره الآلة الهائل الا تطور ضئيل في كفاءة العامل وتطوير تقنينه ، ومما ساعد على ضعف هذه الكفاءة عدم كفاية المشاريع الصناعية ، وتخلف الموجود منها عن استيعاب اكبر عدد من العمال وتدريبهم تدريبا ميكانيكا ماهرا . يضاف الى ذلك ان الفئة الحاكمة لم تكن تستعين بأبناء البلد في المشاريع والمعامل الصناعية للافادة منهم في تشغيل وادارة هذه المعامل والمشاريع ، وانما هى استنجدت بالاجانب بأعداد تفيض عن الحاجة المعقولة ، حتى بالعمال منهم .. مما ابعد المجال

العملي للشباب لان يظهر كفاءاته ، وابقى على جمود الطبقة التي تؤلف أحد المقومات الرئيسية لحياة المجتمع ، وهكذا قتلت الابداعات وانزوى الابتكار ، وانسحبت الكفاءات لتضمحل شيئا فشيئا لعدم تعهدها بالعناية والتدريب ٠

ونقول في ختام الحديث عن اهمية الموارد البشرية وأثرها في كيان المجتمع الجديد وضرورة تجنيدها في مخطط اقتصادي سليم ، انه لابد من التفتيت والتشذيب في البدائية ٠٠ لابد من تخليص العمال من أوضار الماضى وتصفية العادات الرجعية المتخلفة والقضاء على الخوف واليأس والعجز ليمكن انتظام هذا المورد الخلاق في دعم التخطيط الكامل والتوجيه الصحيح ٠

حسن النجفي

ستصدر « الثقافة الجديدة » عددا خاصا بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لوفاة الشاعر الكبير معروف الرصافي ، وترحب المجلة بما يردها من بحوث حول الشاعر الفقيد ٠

العلاقات العربية الجيكوسلوفاكية

الدكتور كارل بتراجيك

لا يعني كون جيكوسلوفاكيا بعيدة عن البلدان العربية ان الشعب الجيكوسلوفاكي غير مهتم بالبلدان العربية ولا بشعوبها منذ عصور سحيقة وفي الوقت الحاضر ، بل على العكس • فمنذ فجر الادب الجيكي امتد اهتمام الشعب الجيكوسلوفاكي بالشرق العربي كخيط ذهبي حتى ايامنا هذه • ولذلك ارتبطت معرفة الشعب الجيكوسلوفاكي الآن بالعالم العربي بهذا الخيط •

وبالفعل تحدثت أقدم النصب الادبية الجيكية والسلافية عن العرب ودينهم وعلومهم • وهي تقيمها حق قيمتها ، لان العلاقة بين الاسلام والمسيحية لم تكن ودية تماما انذاك • والفيلسوف سيريل الذي حمل المسيحية الى بوهيميا في القرن التاسع ، والذي كانت له مساجلات علمية في موضوعات الدين خلال احدى رحلاته ، ينعت هذا الفيلسوف العرب بالمعرفة والعلم في الهندسة والفلك والعلوم الاخرى • وهو اول من حمل الى بوهيميا ترجمة بعض الايات القرآنية •

فالعلاقات الاخوية تقريبا هي التي تربط العراق ببوهيميا • تصف أقدم التواريخ الجيكية ؛ التقويم التاريخي لمطلع القرن الرابع عشر، قصة خروج الجيكيين من بابل وفي هذا التسلسل من الأفكار، تبدأ التواريخ الجيكية بالفكرة المعروفة في الانجيل حيث تم وصف اختلاط اللغات وانفصال الشعوب • كان الناس يعتقدون ، وحتى بعض البحاث ، في مطلع القرن الخامس عشر ، ويؤكدون بان الجيكيين قد نقلوا الاله بال من بابل الى بوهيميا • وما هذه ـ طبعا ـ الا اسطورة •

غير ان الاهتمام بالعلوم العربية المتقدمة كان في تعاظم دائم ، فكثيرة هي الكتب التي تضمها المكتبات الجيكوسلوفاكية التي اعتبرت ابن سينا وابن رشد والكندي وغيرهم اشهر من يمثل الثقافة العربية ، شخصيات علمية لا تتزعزع ، نعم فلدينا تفسيرات جيكية لمؤلفاتهم •

ان المكتشفين والحجاج الجيكيين الذين جابوا البلاد العربيـــة منذ ٥٠ سنة قد جمعوا ايضا موادا كثيرة جدا • وبصورة عامة ، كانوا يقصدون القدس • ولكنهم ذهبوا الى سوريا والى شبه جزيرة سيناء والى مصر • ومن هذه البلدان حملوا معهم معلومات عن حياة العـــرب ومدنهم وانشاءاتهم ، خاصة ما شاهدوه في طريقهم • وقد ركز بعضهم الاهتمام ـ مارتان كاباينداك مثلا ـ على الحياة اليومية ، كما حـــاول آخرون تشخيص النصب الدينية ـ جان هازيشتنسكي ولوبكوفيك ـ ودرس آخرون ، خاصة فولدريخ يريفـــات دي فلكانوف والنبيـــل كريستوف هارانت دي بولشيس ، النصب المعماريـة والمؤسســات الحربية وغيرها دراسة عميقة •

ولو اضفنا عليها المعلومات التي جمعها رجال البعثات الجيكيـة الذين اشتغلوا في البلدان العربية ، في مصر خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، لتوفرت لدينا ثروة من المعلومات التي خلفها لنـا اجدادنا عن البلدان العربية • والحقيقة ، قليلـــة هي تلك الشعوب التي تتمكن من الزهو بمثل هذه العلاقات الطويلة الامد مع الثقافـــة العربية •

أما في الازمنة الحديثة فالامر هو نفسه • اذ يتعاظم يوما بعد يوم اهتمام الجيكيين والسلافيين بالشرق العربي • فلم يعد الامر متوقفا على وصف الرحلات بل تعداه الى دراسات علمية عن تاريخ العرب وآدابهم وعلومهم وعن البلدان التي يقطنونها الان • يصعب علي هنا ذكـــر اسماء البحاث الذين عالجوا هذه المسائل • ولكن علي ان اذكر مع ذلك اسم احدهم الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالبحث عن تاريخ الآشوريين والبابليين الذين سكنوا عراق اليوم • وهو الاكاديمي المتوفي بيدريخ هروزني ، الذي اشتهر خاصة في التقرير الذى اعده والذي اعتبر فيه ان اللغة الحتية تعود الى أصل اللغات الهندية الاوربية • وقد قادته سفرياته للبحث عن النصب الاثرية الى ســـوريا وفلسطين وآســيا الصغرى • وهناك عثر على المخطوطات الحتية والآشورية والبابلية • فكتب بحوثا علمية عديدة ومقـــالات شعبية للجماهـــير الواسعة • الا ان مؤلفه الرئيسي ، الذي عالج اقدم الحوادث التاريخية والثقافية وحياة الناس في عراق اليوم ، هو « اقدم تأريخ لآسيا الدنيا والهند » •

وهكذا توفر بين يدي القارىء الجيكي كتاب يزوده بالمعرفة عن تاريخ البابليين والاشوريين وعن علومهم ٠

والمهم ايضا ان دراسة العربية ، التي انشاها في جيكوسلوفاكيا بيدريخ هرونزي ، قد بدأت منذ زمن وما زالت مستمرة ٠ والفضل الاكبر يعود في ذلك الى جهود البروفسور لوبور ماتوس ٠

كما وان « ألف ليلة وليلة » قد نشرت وترجمت الى الجيكوسلوفاكية ٠ فتلقفها القراء بحرارة ٠ تدور اغلب حوادثها في بغداد وضواحيها ، انها تعكس بصورة رائعة الحياة في هذه المدينة العراقية في عصر ازدهار الخلفاء العباسيين ٠ وفي هذا الصدد للادب الجيكي ان يفخر بترجمة نادرة في الاداب الاخرى ٠ وقام بها البروفسور فيلكس تاور عن الاصل العربي ، واضاف اليه الكثير من الملاحظات التي سهلت قراءة هذا الاثر الرائع ، تشهد الطبعات العديدة لهذه الترجمة على تفضيل القارىء لها في جيكوسلوفاكيا ٠

هكذا يعود الفضل الى اعمال اجيال عديدة من الرحالة والمكتشفين الجيكوسلوفاكيين في ايجاد ثروة يفخر بها الادب الجيكوسلوفاكي ، هذه التي تقود خطانا نحو غد ذي آفاق نيرة في تطور الشعوب العربية٠ وباهتمام وتفهم نريد نحن متابعة هذا التطور وسنتابعه ٠

٠ كارل سبيتراچيك

عدد العاطلين في الولايات المتحدة

عام ١٩٤٨	كان عدد العاطلين	٢/٢٠٥/٠٠٠
عام ١٩٥٦	كان عدد العاطلين	٢/٨٢٢/٠٠٠
عام ١٩٥٨	كان عدد العاطلين	٥/١٧٣/٠٠٠

عن كتاب « امريكا عام ١٩٥٨ »
لفتحي خليل ـ دار الفكر

قصة عراقية

عمل ... في المدينة

غانم الدبّاغ

في المنعرج المقبل سيستقيم امامه الطريق ... والشمس تنحدر ببطء نحو الافق الغربي .. سيصل قبل المغيب ، كانت خطاه قبل العصر اشد وطئا وهي تتلقف الدرب العام بين المدينة وهذا المنعطف المترب .. وقد مرت به سيارات كثيرة .. لوريات .. باصات .. سيارات صغيرة ..

ـ جززززز ..

أشار لها ... كان بعضهم لا يلتفت .. وآخرون يلوحون بأيديهم نفيا ... ومرة وقفت سيارة كبيرة ، تحمل أكياسا ، أخشابا طويلة .. براميل .. صفائح تنك .. تكدس فوقها بضعة رجال وامرأتان وقبل أن يصعد ... صاح به السائق :

ـ وين تروح !؟

ـ للقرية ... قرية سيد محسن ..

ـ فلوسك !

ـ بويا ما عندي هسع .. الله يخليك .. نوبة لخ انطيك ..

ولكنه ادار المحرك ... واندفعت السيارة تكنس الشارع .. وأزيزها يطن في اذنيه مع الشتائم :

ـ لا يا كلب ابن الكلب .. ! بس عطلنا .. !

لقد تلقفت أذناه شتائم كثيرة في المدينة .. حتى (اسطة عباس) كان يناديه :

ـ ولك معيـــندي ! يالله گوم .. دور لك على شغل ! وانطيني فلوسي .. !

ـ عمي واشصار !!

ـ شنو اشصار ! هاي ست ليالي نمت ·· بعد شتريد !؟ وفلس ما انطيت ·· !

ـ الله كريم ! خلني ادور لي شغيلة ·· وانطيك ·· بس هاليلة ياخوي ·· صبر الله وصبرك !

ـ يالله دنشوف تاليتها !

ويتكور على تخت المقهى العتيـــق ··· يتنخم ·· ويبصق على الجدار ··· ثم يسيل بصاقه اخضـــر لزجا ويختلط مع اعقـــاب السيجاير المتناثرة على الارض ···

كانت على الجدار ·· صور مؤطرة تنحني نصف انحنـاء ··· ويرى فيها خياله ، والجدار المقابل ·· واستكانات الشـــاي ··· والسماور البرونزي ·· وبصيص الموقد ·· كما يرى (اسطة عباس) يروح ويغدو بين ارائك المقهى ··· يدفع بالطبليـــات الحديديـــة المصبوغة بلون قاحل اختلط ببقع الشاي الداكنة امام الزبائن ·

في احدى الصور يمتطي (الزير سالم) حصـانة وهو يقتـل (جساسا) ويشق هامته نصفـين والدم يسيل منه الى الارض ·· حتى الحصانان يشـاركان في القتـال (خيـل أصيلة مال عرب !) وصورة مستلة من مجلة مصورة ··· بنت عارية الا من اللباس وغطاء النهدين ··· تهدلت شفتاه وانفتح فمه ببلاهة ، فبعجت يده اليمنى جيب سراويله وبدا يهرش ، وتنعقد فوق جبينه الضيق غضون افقية متورمة تنفرج وتنفك مع ايقاع الحك الرتيب ···والرقعة الصغيرة تحت البنت ، مخطوطة على صفيحة صبغت بالاسود ··· فيها خطوط ومنعرجات يدرك بغضها ··· الالف ·· والصـاد ·· والقـــاف ·· وهاتان الدائرتان ··· تختلطان بلفات متلوية اخرى مع حرف العين الكبير ··· (أل ·· أل ·· مص ··· أ ق ·· مم ·· ممنـــوع) (اي ! الله يرحم ابويا !) كان يصرخ في وجهه ، ويعرك أذنيه :

ـ ولك عبد ! ترى شوف ! الفلاحة ما تنفع ، روح للمدرســة أخير لك ·· !

(چان هسع صرت مثل ذاك الافندي بالحكومة ·· أبسط الناس ·· واتفل بوجوههم ·· وگاعد ورا ميز چبير ·· أدك الجرس ·· ! استاهل ··· آني انهزمت !)

وحين ذهب الى الدائرة في بنائها الكبير ··· وكانت اكبر من

قلعة سيد محسن ·· تدافع مع الناس ·· واخذته روعة الجـــدران المطلية ، والارض المزوقة الملساء ·

ـ عمي ! بالله وين يكتبون الكناسين !؟

ـ على ايدك اليمنى ·· يم ذيج الباب ·· !

ولج غرفة انيقة ··· يحجبها عن الداخلين ستارة من الخشب والقماش الزاهي ·· اوقفه الفراش لحظة ليستأذن له ··· ثم دفعـه للدخول ·· ثلاثة افندية ·· امامهم على المناضـــد اوراق كثيرة ··· أقلام ··· وأشياء أخرى لا يعرف اسماءها ·

زعق احدهم :

ـ ها ! شتدور ولك !؟

ـ عمي ! أريد انكتب كناس ·· زبال ·· اجمع وصخ ·· حيا الله !

ـ ماكو شاغر !

ـ بويا يعني شلون !؟

ـ مو داكلك ماكو شاغر ··· يعني ما ناكصنا احد ·· !

ـ اي چا شوكت آجي !؟

ـ شوكت تجي !؟ آني شمدريني ·· لك انتو شلون زمايـل ! امشي اطلع بره ·· !

ـ عمي ··· الله يخليك ·· آني صاحب أطفال ·· آني ·· ! وصرخ أفندي آخر في صدر الغرفة ·· داعسا زرا أمامه :

ـ انت شلون قرصاغ عندك يا صبري افندي !؟ فراش ! تعـال طلعه الهذا المعيدي بره ·· !

وخرج ··· ثم عاد في اليوم التالي ·· وأخبروه بان الافنـــدي غير موجود ·· وفي اليوم الذي يليه ان الافندي يعقد اجتماعا مـــع المدير ·· (هاي شلون طرگاعة !) ماذا يصنع اذا عاد الى القرية ! ؟ (فطومة والعجيان ·· !) لقد وعدهم بالعمل في المدينة ·· (خيرها چثير وشغلها ما يخلص !) كناس مثل حسين ·· او خادما كـ (جواد) يركب بجانب السائق في سيارة مخدوميه (أوف ! الدجاجات راحن بلاش !) شتمه السائق في الطريق :

ـ لك مو وصخت الكشن بذرك الدجاج ··· لو عبالي ما ركبتك هي السيارات أنخلقت لاشكولكم !!

او يعمل كسيد (شلاگة) سكن بالتاكسيات ·· أركبـــه في

المدينة دون أجر ·· وأوصله الى الدائرة ··· كان الوقت متاخـرا ، والافندي ·· ذو الوجه الابيض المستدير ·· والجسم البدين ، يبدو كأنه قد حضر لتوه (خفت بس ليطردوني هالنوبة ·· ماكو چاره ! راح ارجع للمهجومة !)

ـ ها ولك ! هم شوفتني وجهك ! مو گتلك لا تجي بعـــد ·· ! دا أگلك ما عدنا شاغر ·· لك انتو شلون زمايل ·· !

تمنى بوقتها لو ان (الزير سالم) كان في اهابه ،ليشق هـذا الجرم الهائل نصفين (غير يضحك وياهم ويگوم ابوجههم) :

ـ اتفضل ابو سمير ! شلونك ؟ تعال فراش ·· ! شوف الاستاذ شيريد ·· چاي ·· حامض ·· كوكا ·· يا أهلا وسهلا ··· !

(لو اشتغلت من اول السبوع ·· چان اشتريت پالطو عسكري عتيك ·· ودشاديش للجهال ·· اش ديتزقنبون هسع ؟! اي ، اكو عدهم طحينات ··· وياخذون شكر وچان من البگال ··· هي هذي فطومة وجه الاگشر ·· من اخذتها كل درد الله وگع على راسي ·· مات ابويا ولحگته أمي ··· وين فطومة ، او وين هذني البنات امهات المودة ·· يمشن ويلبسن عالهندسة ·· أمهات ذراعات البيض ·· لا يا ملاعين الوالدين ··· خو مو طامسات بالحليب ·· ! أقلها لو عندي هايشة ·· چان جيت للصرايف ·· آني اشتغل عند الحكومة ، وفطومة تدور حليب بالدروب ··· واگعد (مخلف) بالمدرسة ·· بويا اشچم درب يكنسون هذولة الكناسة ·· كل درب مثل نص القريـــة ··· ولو ! يومية ربع دينار ، اشگدها !! خمس دراهم ·· چنت أكـــد ليل ونهار عند (شيخ محسن) باكل بطني ··· ! لو هـذا الچايچي شغلني عنده لكن شله بالصناع ·· !)

ـ ولك عبد !! انت هم راح تنام عندي اليوم !؟

ـ اي عمي ! بس وين أروحن · ؟ آني الي قدرة مسافرخانة !

(هذا الگواد حسين ! سواها بي ·· اول أمس ··)

ـ حسين ! أگلك ·· ما يصير اشتغل وياك !

ـ خايب شلون ؟! دروح للحكومة ·· بدايرة البلدية ··

ـ خويا تعبت من الروحة والجية ·· ما شـغلوني ·· خلني أعاونك ··

ـ يعني شلون !؟ تشتغل بلاش !؟

ـ لا ! أنطيني يومية درهم !

ـ ولك درهم شيكفيك ؟! آني يوميـــة خمس عربيـــات ..
وبالدروب دا أعيش آني وتكرم اختك والعجيان .. !

ـ خايب ، دخل أجمع لي چم درهم ! دينار واحد أقلها .. !

ـ واذا شافك الافندي .. ؟! شلون ؟!

ـ عود اختل .. الله يخليك ابو علي .. سوي هالجويدة وياي لا تخليها حسرة بگلبي .. حتى اكولن اشتغلت عند الحكومة .. !

ـ ومكناسة امنين لك ؟

ـ ميخالف .. بويا بمكناستك ذيا !

ـ ما يصير .. خافن يشوفك الافندي .. ! ترى هذا مو خوش رجال .. تريد تكطع خبيزتي .. وارجع للمهجومة عند (سيد محسن) اشتغل باكل بطني !

ـ خويا آني اجمع عودان من الدروب واسوي لي مكناسة !

ـ ترى شوف عبد .. ! هذا الافندي يمر بها لدرب ساعة تسعة .. وبعدها يروح .. وما يجي لثاني يوم .. اعرف شغلك عاد .. ! ترى تكنس الدرب كله ابمچاني .. ! وانطيك درهم مو أكثر .. !

ـ أوف ابو علي ! خلني أحبك .. ابوس ايدك .. !

ـ لا ! استغفر الله خويا ! توكل بالله . ! توكل بالله .. ! بيها المخير .. !

وبدأ يعمل .. كان صباح الثلاثاء ... يذكره جيدا (يـوم الاكشر !) وأحس لاول وهلة وهو يمسك بالمكنسة ، انه ما زال يعمل في المزرعة عند ســـيد محسن ... ولكن المكنســـة كانت اخف من المسحاة .. فلم يضطر للانحنـــاء كثـــيرا الى الارض ... وقدماه الحافيتان يغوصان في الوحل الاسود المنتن .. والرائحة النفـــاذة تحرق انفه ... لقد اعتاد روائح الزبل الذي ينشره في ارض المزرعـة ولكن الوحل المخروج بقشور الفاكهة .. وحثالة الشاي .. والغائط ... وقشور البيض ... والاوراق المدكوعة .. نتانـــة لم تصهرها حواسه ... فيبدأ بتجميعها ودفعها في زوايا الزقاق .. ليحملهـــا الزبال ... ثم يعود الى الساقية يدفع وحلها اللزج ... انه لا يحس رطوبتـــه .. فرجلاه قد تعودتا الخوض في مياه الحقـل والدعك في الارض الموحلة والانغماس في ذراتها ... فجسمه جزء من لونهـــا وصلابتها .. ولكن هذا السائل كان يبعث في نفسه الغثيان ويلكع

مناخيره المتفتحة صوب الارض ·· فيسحب انفاسه بانقباض او يمسكها تبقزز ··

وكان حسين الجالس على عتبة احد الدور ، يرقبه من بعيد ، وهو يدخن بتلذذ وبلادة ويتلفت باتجاه الدرب العام ، ثم يهتف :

ـ خويا عبد ! دشوفك ! ترى صار وكت المراقب ·· !

ومع السيل الاسود ·· يندفع هو ببطء وسط الزقاق تحمل قدماه المفرطحتان بقايا منه ، فتنبعج خطاه عن فقاعات هوائية اثر خطوه المتثاقل ·· ويبدو امامه الزقاق ·· طويلا متلويا ·· بعض الابواب مغلقة ·· ومعظمها مفتوح على مصراع واحد ·· وهي تبدو متراصة صامدة ·· تعلوها شرفات على الطريق ··· واذ يعتدل ، ويقف محدقا ·· حيث لا فضاء فسيح ، كما في القرية ·· السماء تلوح بعيدة ·· وكأنه يغطس في بئر منتنة يمتح ماءها بنفسه ·· وتمر به اقدام كثيرة ··· لها سيقان عملاقة في بناطيلها ·· وهو في انحنائه ينشق نتن الساقية ·· وتنتهي كعوب بعضها بأحذية تحوطها لطخات الوحل ·· واخرى صغيرة تدب بخفة ورشاقة ··· وغيرها تمشي بحذر الا ان اكثرهم يبدون كالراكضين ·· !

وصرخ به (افندي) أنيق تفوح منه رائحة ذكية تشممها بارتياح :

ـ أوگف ولك ! لا توصخنا ·· انت أعمى !

وحدق فيه ببلاهة ·· ثم حاول ان يستمر في الكنس ·· الا ان عوده تصلب ، واستند على المكنسة :

ـ تفضل عمي !

وانسكب امامه في الساقية ·· سيل من رغوة الصابون (دشوفو ! آني اتحسر عالصابونة وهذوله يچبونه بالدرب ! انهجم بيتچ فطومة ·· چان غسلت هدوم العجيان ·· !)

أوصته قبل ان يبرح (ابو مخلف ·· جيب ألنا شكر وچاي ·· وچم قالب صابون ·· لا تنسى بداعة العباس عليك ··· ما دام راح تشتغل عند الحكومة ·· !) (وهذي تاليتها ! يومية درهم وما طايحه بيدى ·· ! عشرين فلس لاسطه عباس الچايچي ·· والباقي ·· صمونة وبيضة مسلوگة واستكانين ثلاثة چاي ·· مرة وحده بس ·· اكليت كباب ·· من حگ الدجاجات !!)

ومر نهاره الاول في الزقاق ··· طويلا ··· فقد كنسه بعناية··

حتى العتبات مرت عليها مكنسته .. وفي اليوم التالي بدأ يالف الزقاق ... هذه الجدران ... العتبات ... النوافذ العالية .. الشرفات الشامخة .. كلها تطل عليه .. تحدق به .. تحنو عليه ، كما لو كانت جسما كبيرا يلوذ باكنانه ... (هذا هو ! مودآشتغل عند الحكومة .. وراح اشترى القبوط العسكرى .. اصفر مثل معطف الجنود ...) له نفس الازرار الصفراء .. وذاك الحذاء الاسود .. ! والمكنسة : ؟ سيشتري مكنسة جديدة .. لا بد ان حسينا سيدفع له درهما آخر ... (اقلها فد عشرين فلس لخ .. خل اشتغل چم يوم .. وبعدين .. !) وسيخبر فطومة .. (راح أوديلها مكتوب عند العرضحالچي .. لو واحد من الافندية أبگهوة اسطه عباس .. يكتبه .. باسم مخلف لو فطومة .. ؟! لا عيب باسم حرمة ! : الى ولدنا مخلف ... في قرية سيد محسن .

سلام بعد السلام .. ان كان تسألون عنا لله الحمد ... لا هم ولا غم لنا الا فراقكم من طرف الشغل ... آني اشتغلت اليوم عند الحكومة .. والمعاش يمكن يزيد ... ناخذ كل يوم أبيومه ... وان شاء الله نتوجه الطرفكم يوم الجمعة .. بعد ما يصير لنا مدة سبوع .. المنديل الضايع وجدناه بجيب الصاية ... بعد ما اشترينا لوازم الشغل ... يعني القبوط والبسطال .. ولما نشتريها ونشتغل من تمام ناخذ من السوق .. شكر وچاي وصابون .. وان شاء الله ثوب ألفطومة .. ولمخلف ولحسنية ومحسن .

من طرفنا يسلم عليكم حسين ، وهو يشتغل معانا بالحكومة .. وجواد بن عدلة .. صانع عند الدكتور .. يعني همينا بطرف الحكومة .. وتسلمون لنا على عدلة ام جواد .. وام حسين تكون ان شاء الله صحتها صارت زينة .. وابنها .. وابنها يسلم عليها ويجسها .. نقبل عيون مخلف ومحسن وحسنية .. نتوجه ان شاء الله الى طرفكم الجمعة الجاية نقبل عيون الجميع ... ولا يظل بالكم طرفنا ... »

وسيكتب في اسفل الرسالة .

(يمكن نشترى على راتب الثاني .. قبوط المخلف ..) .

ويكتب ايضا ... اذا لم يضجر الكاتب ...

(ابني .. ابني مخلف .. لا تخلي خاطر أمك يا وليدى ! ..)

واذا طلب منه الكاتب التوقيع ... فانه يجيد كتابة اسمه ...

ـ اعرف .. ! اعرف اكتب اسمي .. لا تتكلف ... عبد ..

عبدالسادة ·· سيوقع بيده ·· (عبدالسادة بقرية سيد محسن) ·· وعلى الظرف سيكتب (وصوله خيرا وسرورا ··· يصل الخط الى يد مخلف بن عبدالسادة ·· في قرية سيد محسن ·· وامانة الله ورسوله) وسيفرحون ·· ! سيفرحون لانه يعمل لدى الحكومة ·· !

* * *

في صباح الخميس على قرقعة الاستكانات في مقهى (اسطة عباس) :

ـ گوم ولك ·· وگوم ·· عبد گوم روح دور على شغلك ·· !

واكل الصمونة وشرب استكان الشاي ··· وفي الزقـاق رأى (حسينا) يتدفأ في نور الشمس والمياه الآسنة لا تزال راكـدة في الساقية ·· داكنة ··· تنتشر روائحها في الارجاء ··· وبدأ يدفـع المستنقع الطويل امامه ·· واذ مر افندي ، سأله :

ـ عمي ! الساعة بيش ؟

ـ ثمانية ونص ·· !

ـ حسين ! يعني بعد نص ساعة ، يجي الافندي ؟! مو هيچ خويا ؟

ـ يالله استعجل ·· وهاك درهمك !

(ما راح ما يزيدها حسين ·· ميخالف خل يفوت السبوع ·· واكله ··)

وتناول الدرهم ، ودسه في جيب السروال الطويل مع كيس التبغ والمنديل الاحمر الذي سيلف به السكر والشاي وقوالب الصابون ··

بعد قليل ، مر الزبال الذي يجمع النفايات من تحت الجدران ··

ـ ها يبين شغلوك !؟

ـ شنو ·· ! ها ! اي اشتغلت الا شوية ·· !

وصاح به حسين من طرف الزقاق :

ـ وانت اش مالك ! روح ·· روح أبدربك !

فصرخ به الزبال :

ـ وانت ليش گاعد ·· !؟

ـ موت الكرفك ·· بابا روح ألشغلك ·· هسه انت شنو ؟! هذا گرايبي ويعاوني ·

ـ زين ! گرايبك وديعاونك ·· خير ان شاء الله !!

وابتعد الزبال ·· يسوق دابته ويزعق امام الابواب :

ـ زبل ·· ! زبل ·· !

* * *

أبطأ قليلا ... وتناول ورقة من دفتر السيجاير وقبضة تبغ من الكيس .. وبعد ان لف السيجارة واولعها تابع سيره .. كان المنعرج قد استقام به الى منحدر يتلوى قليلا ويؤدي الى ارض فضاء اكثر انبساطا ...

كانت تبدو عن يمين الطريق غربان تحط ثم تطير ... واخرى بعيدة تحلق في الجو وهي تمد اعناقها نحو الارض وترف اجنحتها ثم تضرب الهواء بقوة ، وما تلبث ان تندفع وتنساب برفق .. وكانت الغربان تتحلق حول رمة وهي تتدافع وتنعق بصخب ... ثم اجفلت حين اقترب في سيره منها الى اعمدة التلفون ... وكان نعيقها وخفق نعليه يبعثران نثار الحجارة الصغيرة حوله ، ووشيش الاسلاك ... هو كل ما يخرق السكون الذي يحيط به ... هذا الدرب الذي بدأ يحس شموله واتساعه ! لقد مر به كثيرا في طفولته وفي شبابه ، مع ابيه .. ثم في عنفوان رجولته مع فطومة يتسوقان للعيد او لموسم الشتاء ... لقد بدا اليوم دربا غير مألوف لديه ، وخامره احساس بانه يمتلك هذه الآفاق الممتدة امامه حتى انطباق السماء مع الارض بعيدا نحو مغيب الشمس ... هل يستطيع الآن ذلك الافندي عند الحكومة ان يطرده من عالمه هذا ؟! أو أن يطالبه اسطه عباس بأجرة نومه اذا شاء الرقاد هنا .. !؟ او لسواق السيارات الذين انتزعوا منه بعض دجاجاته في رواحه للمدينة ... (لا ... ! دخلي يسوون .. ! ليش الله يخليها تروح عوافي .. هسع آني شسويت ، بس ما أصلي !)

والله !؟ انه لا شك ينظر اليه الآن .. وقد اقتعد كرسيه الفخم في السماء .. !

(مو هو ملا عبود گال .. استوى على العرش ... !)

ـ ملا ! شنو يعني إستوى على العرش ؟

ـ يعني گعد ! جلس .. بس مو مثل گعودنا ... !

(ملا عبود ... وابويا المرحوم .. چانوا يعرفون التفسير ..)

كان يلعب بوليس وحرامية واختبأ في خربة السيد محسن ... وكان ينتظر ان يباغته احد رفاقه البوليس .. ولكنهم لم يقتربوا من الخربة ... وسمع وهو في مخبئه احدهم ويذكره جيدا (مصيوف الاعور) :

ـ ولك عبد ! اطلع من هاي الخرابة .. لك تراها مسكونة !

ارتعب لاول وهلة وركبه الهلع ... ولكن من الذي يسكنها ..!؟ يسأل أباه (ضربني ابوكتها المرحوم !)

ـ ولك هـذي الخرابة مسكونة .. لا تروح يمها .. مسكونة يعني بيها جان .. بيها ملايكة .. الله يعلم ... !

جان .. مـلايكة .. وقالت امه ، ان المـلائكة يسـكنون تحت الارض .. والجان يطيرون وكانت تمصمص شفتيها حـين تسكب الماء الحار على الارض :

ـ يمه ! ليش أتسوين هيچي ! ؟

ـ عيني ! الملايكة لا تتأذى !

* * * *

صباح أمس ... حين غادر مقهى (اسطة عباس) الى الزقـاق راى حسينا منكبا على الساقية يدفع اكوام السيان بمكنسته .. لا بد انه ندم على الدرهم ، او انه استبطأه لا .. لم يندم . ! فقد ظهـر بغتة من زاية في الزقاق افندي الحكومة ، لم يخاطبه .. بل هـز حسينا من كتفه :

ـ ها ولك حسين ! مو هذا اللي چان يشتغل ابمكانك أمس !؟ مو هذا .. هو لو .. لا ؟ .. گول والا أطردك من الشغل !!

ما أبرعه هذا الملعون حسين (شلون نكرني !) فقـد اتكأ على المكنسه ، وأخذ يدور بعينيه وجلا بينه وبين الافندي :

ـ والله عمي ! لا اعرفه ولا شايفه !

ـ بس شنو شغله !؟ ليش جاى هنايا !؟ وشنو ها المكنسـه بيده !؟

ـ ها !! المكنسه !؟ ما أدري ... بلكت يريد يشتغل كناس..!

ـ هـ...ا ! بس تعرف يريد يشتغل ! ليش آني ما اعرفـه ! عشرين نوبة جا للدايرة .. وطردناه .. يالله ولك .. امشي منـا گبل ما أبسطك .. !

(لو ما توخرت چان ضربني .. مثل چتلات سيد محسن .. ودفرات سيد مرهون) .

ـ سيد مرهون ! ما تأدبه الهذا الچليب ! طول النهار يا يشرب جگاير .. يا مغفي وفوگاها ما يخلي مرته تشتغل عدنا بالبيت !

وكان هو يتوسل :

ـ وجدك يا سيد ! عسع يالله گعدت !

ـ لا ! لا ! أمشي ما اريدك بعد ... امشي ولي ولا تشوفني وجهك ! سيد مرهون ! شوف بقا أله شي !؟

ـ لا وجدي وجدك يا سيد ! حسابه كله أخذه ... انطيناه ربع طول خام ... واخذ نص تن تمر من البساتين ... وما ادري اشچم كيلو شكر ... وطراگ .. ما ظله شي عدنا .. احنا نطلبه شغل سنة بعد !!

وقبل أن يجذب (سيد مرهون) المسحاة من يده .. كان يعبر القناة الكبيرة وينعطف باتجاه مضخة الماء وهي تهدر :

ـ پف ! پف ! پف !

وبصق بحقد ومرارة ... وتصور بصقته تسقط على لحية (سيد مرهون) هذه اللحية التي لا ينسى تشذيبها وتعطيرها كل يوم جمعة .. (اي وهسع شلون ! فطومة والعجيان !) ان سيد محسن لم يطرده من القرية (وشكو بعد بها المهجومة !!)

وحين رآه (سيد مرهون) بعد ذلك يتردد قرب المضخة .. نصحه بالابتعاد عن المزرعة :

ـ ترى چان يريد يطردك من الجرية .. لو مو الخاطري ! ترى لا تشوفه وجهك گالي خل يشيل من الجرية .. خليها چم يوم .. ويبرد زومة .. آني دبرلك چارة ! تعرف احنا سادة ... وتجي السيدية براسنا بالعجل !

* * * *

ظهر النهر محاذيا للطريق بانحراف قليل نحو الجنوب ... وهو يشق الارض المنبسطة ، وينساب هادئا ، ولاحت له عن كثب خضرة النخيل ودكنة الحقول المحروثة تطوق القرية ... لم يبق بينه وبين ان يأوى الى دفء البيت الا هذا المنحدر عبر الحقول التي سيجانبها قليلا ثم يندفع الى ساحة البيادر .. فمزابل القرية .. ثم صريفته على الناحية الشمالية منها ...

واتسع امامه المجرى شيئا فشيئا .. ليس له بعد هدير الفيضان (بعد وكت .. شهر لو شهرين ، وتنهجم الدنيا .. المزرعة تروح هالسنة مصوگر .. گام يزرع حتى الجرف !)

وانقله تعب مكروب ، حينما بدأت الشمس تنزلق أكثر فأكثر نحو المغيب .. وخارت ركبتاه ، وشعر بحاجة لان يقتعد اي حجر في الطريق ... فكلما خطا الى الامام بدت له القرية وهي مؤطرة

بحزام اخضر ·· كالاطار الذي يحيط صورة (الزير سالم) وهـــو يشق هام (جساس) بسيفه ···

ثم غمرته الشمس الآفلة بنور باهر ··· وفاضت اشعتها على القرية وهي تنحدر على سطوح الاكواخ الواطئة ·· وفوق مياه النهر·· الا انها لا تزال قوية ساطعة فوق قصر الشيخ العالي في اقصى القرية الجنوبي (هناك ·· ! ببلاد برة ·· مثـل ما شفت بالسينما تسبح النسوان بالتبان ··· فطومة لو تسوي هيچ فد يوم ·· غير أذبحها ··· ! يعني سيد مرهون ··· مر عندهـــم بالبيت !؟ يمكن خلص الطحينات والتمر ·· هي ملعونة الوالدين ·· تدني النفس ·· ومثل نعجة الثولة ينضحك عليها ·· هينة ! لو صار شي ·· يا أذبحها ·· يا أطلجها !)

وبصق ثم داعب شاربيه ، واستلقى على ناحية الطريق متكئـا على مرفقه باتجاه القرية ··· واخـــرج كيس التبـغ ·· وبدا يلف سيجارته ··

كان ضجيج القرية يصل الى سمعه ··· خليطا من نبـــاح الكلاب ، ونهيق حمار ، وأصوات أخرى ·· بعضها يتضح له كثغاء اغنام راجعة من المرعى ··· واخرى مبهمة ·· مـع نداءات نسوة ·· وصراخ صبيان ·· لعل (مخلف وحسنية) بينهم ·· تندغم كلها مـع صوت تراكتر الشيخ يعدد من الحقول ·· (هو هذا اللي ذبحنا ·· وگطع ارزاقنا ·· الله يرحم ابويا ·· چان يگولها :

ـ خايب عبد ! شوف ! ترى الفلاحة ذيا ما عاد تنفـع ·· روح للمدرسة·أخير !! چان هسه صرت مثل ذاك الافندي بالدايـرة ··· أضرب الناس ·· وافشر عليهم ·· واتفـل بوجوههم ·· واگعـــد ورا ميز چبير ·· أدگ الجرس ·· !)

واضطجع على قفاه ·· متوسدا ذراعيه ، محدقا بالسماء ··· انها السماء التي يتحدث عنها ملا عبود ، موطن الله !

(بس ذولة الافندية ! اكثرهم لا يصلون ولا يصومون !! اشو الله منطيهم ·· هم يتفلون بوجوه الناس ·· ويفشرون عليهـم ·· آني شردت غير قپوط وبسطال ·· يومية درهم ما طاح بيـدي ·· چا هو ما يشوف الافندية الما يصلون وهم فوگاها يسكرون ·· !!؟)

وحين تدفقت افكاره على لسانه ··· نهض وتمتم :

ـ استغفر الله ! توبة واستغفر الله !

ولمح الغربان التي بدت بعيـــدة كنقط ســـوداء ، وهي تزال تتهافت على الرمة ·· ثم تنفض عنها الى اعمدة التلفـــون ، وبدا كان الحدآن اختلطت معها فلم يعد يميز بينهما ···

احس بالجوع يقرص احشاءه ·· فمنذ تناول الصمونتين صباح اليوم مع الشاي عند (اسطة عباس) لم يذق طعاما آخر ·· وجاشت في نفسه رغبة في ان يصرخ او يعول ··· كما خيل اليه انـــه يسمع صوت ابيه ·· ابيه الذي مات ·· هل هو في السماء مع الله !؟

ـ ولك عبد ! انت ما راح تصير شي ! ما يصير براسك خير ·· !

حتى فراش الدائرة وهو معيدي مثله ، كان يصيح به :

ـ امشي ولك ! معيدي ابن الچليب !

هذه الكلب بن الكلب ·· ! ما تزال تدق سمعه بعنف ·· انـــه لم يجد كلابا كثيرة في المدينة ·· ! أكان هو الكلب الوحيد فيها ·· ! وتلمس وجهه ·· انه يعرفه ·· له شاربان كشاربي (سيد مرهون) ··· وألقى نظرة على يديه ·· كبيرتين معروقتين ·· ذابت اظافرهما تحت الجلد ·· لكنهما ليستا كيد الافندية بالمدينة ·· ولكن المدينة لفظته ·· المدينة ذات الازقة النتنة المليئة بالغائط والسيان ·· المدينة التي كان يحلم بالعمل فيها مرتديا معطفا عسكريا ذي أزرار صفراء ··! وبقدميه حذاء عسكري كبير ··· انه يكرهها ·· يكرهها ·· يكرهها من اعماقه ·· يمقتها ·· يبصق عليها :

ـ تفو !

واشتعل فيه حنـــين صاخب الى القـــرية التي كانت تضطجع امامه في هدوء الاصيل وديعة مسترخية ، تسحب الشمس عليهـــا آخر خيوط النهار ··· واعتوره شعور يتدافع فيه الحنين الى دفء البيت ، والرغبة الى الارتماء في احضان فطومة ·· ! فطومة الانسان الوحيد في حياته ، التي يناديها :

ـ تعالي بنت الچليب ··· !

بل ويصرخ فيها ، ويضربها بالنعال ، ويبصق في وجهها ·· ثم يضاجعها في الليل !

وانتصب على قدميه ·· ثم امتدت يده الى جيب سراويلـــه ·· وتهدلت شفتاه وانفتح فمه ببلاهة ·· وراحت الغضون تنعقد فـــوق جبينه الضيق ·· غضون افقية متورمة تنفرج وتنفك مع ايقاع الحك الرتيب ، ووقع قدميه ·· ثم اندفع يسير بخطى حثيثة وسريعة ···

كانت شمس النهار الآفلة ·· تعكس اشعتها الحمراء الغامضة على صفحة النهر الهادىء ، وتسحب معها نحو المغيب ظلالا سـوداء صغيرة تكبر وتستطيل لاحجار وأكوام من التربة المتفقعة عن الارض ··

والى مدى بعيد ··· كان لظله العملاق ·· رجلان ضخمتان ترتفعان وتهبطان بعزم واستمر هذا الظل يعظم ويمتد مع العتمة الزاحفة ··· وما لبث أن مسح الارض والفضاء المحيط بالقرية ··· ثم امتزج بغبش الاصيل ؟

الموصل ـ غانم الدباغ

اقرأ واشترك في

« الثقافة الوطنية »

مجلة النضال الفكري · مجلة القومية العربية المتحررة ·

المجلة التي تناضل من أجل ترسيخ أسس علمية ديمقراطية ·

* ● *

« الثقافة الوطنية »

المجلة التي تسير في طليعة الفكر العربي والانساني المتحرر ·

المجلة التي تقدم لك ألوانا حية من الفكر القومي الوطني·

المجلة التي تجد فيها صورا من أفضل ما ينتجه الانسان في العالم أجمع ·

انها مجلة المناضل والمفكر والاديب · تجد فيها دراسات نظرية ، ومسرحيات عالمية ، وقصصا جديدة ، ونقدا أدبيا عميقا ، وأضواء علمية على تراثنا العربي الانساني ·

* ● *

تراجع ادارة مجلة « الثقافة الجديدة » في شئون الاشتراك والتحرير في مجلة « الثقافة الوطنية » ·

تحية الوداع لموسكو العظيمة

شاعر الشعب

محمد صالح بحر العلوم

أعاصمةَ الأقمارِ في دولةِ النورِ ... خذي الحبَّ من قلبٍ بثغريَ منظورِ
اعودُ بجسمي للعراقِ ومهجتي ... لديك سبَتْها بهجةُ النورِ والحورِ
تأبّيتُ أن أغزى من الحسنِ في الصبا ... فعباً لي في الشيبِ حملةَ منصور
ومكّنَ عيني أن تراكِ فسلّمتْ ... وسلمَّ قلبي للجمالِ ، وتفكيري
واحكمتِ أنت العشق في رأسِ شاعرٍ ... بكل جميلٍ من معانيك مسحورِ
فلا تحسبي أني سأنساك لحظةً ... وتنأين عن ذهنٍ بحسنكِ مبهور
فللعربي الحر نفسٌ كريمة ... تكافىء صنعَ المحسنين بتقدير
ومن ينكر المعروف نكرانَ جاحدٍ ... يُعامَلُ لدينا بازدراءٍ وتحقير

* * *

مواقفُك المثلى بكل قضيةٍ ... إدانةُ تجريم لباغٍ ومأجورِ
عرفناك من (تشرين) آيةَ رحمةٍ ... لنفسكِ والدنيا ، ورايةَ تحرير
فاكتوبر الباقي مع الدهرِ خالداً ... يحدّث عن مجدٍ مع الدهر مذكورِ
تباركتِ من صرح منيعٍ بعدله ... وحصنِ سلام عامرٍ بالمغاوير

* * *

احييك يا موسكو العظيمة شاكراً ... لكل عظيمٍ من أياديكِ ، مشكور

عواطف عرفانِ الجميل يزفها ... لساني بمنظومٍ إليك ومنثورِ
واحسبني لم أخلُ فيما اصوغه ... لشكركَ من عجزِ الاداء وتقصير
عبيرٌ من الطيبِ الذي فيك لا تفي ... له الحقَ افواهٌ بطيبِ التعابير
وأيُ بحورِ الشعرِ يدرك حاصراً ... بحورَ أيادٍ فضلها غيرُ محصور

* * *

أعاصمةَ الأقمار ارجعُ عائداً ... لشعبيَ في وجهٍ بنورك مغمور
ولاَ لحَقَ في ركبٍ بفضلِ كريمه ... سيحبطُ غدرَ اللؤمِ من أي مسعور
على كل عاوٍ ان يرى كيف (فيصلٌ) ... ثوى وعلى أي الحراب هوى (نوري)؟
وأين طغاةٌ قدروا ان حكمَهم ... يدوم بعرشٍ لاحتلاليَ منجور؟
وهل (حلف بغدادٍ) تمكن حافظاً ... حياةَ نظام فيه حتفُ الجماهير؟
ومن كان لايدري بأن حكومةً ... من البغي تفنى رغم كلِ التدابير؟

* * *

رأيتُ خيوطَ الفجرِ قبلَ طلوعه ... تلوحُ بأصفادٍ تضيق لتفجيري
وقدرتُ أن الحيفَ شارفَ حتفَهُ ... فصدَّقَ جيشُ الشعبِ صائبَ تقديري
وشوهد (بوم الرافدين) متنعاً ... يفتشُ عن قبرٍ يقيه من النورِ
فخفَّ إليه الشعبُ كالسيلِ عارماً ... يحاول كلٌ منه حصةَ موتور
ولم يبقَ من اشلائه غيرُ تتنيها ... ومن ذكره غيرُ افتضاحٍ وتشهير
أريناهُ كيف البغيُ يُهلكُ ربَه ... وكيف يُطيرُ الطيشُ رأساً لمغرور
وكيف يواري الناسُ سوأةَ سلطةٍ ... أتتهم سفاحاً من فروجِ المواخير

* * *

أعاصمةَ الأقمارِ كم لك من يدٍ ... علينا سنا معروفها غيرُ منكور
لمستُ بها اللطفَ الذي بأريجه ... فملتُ وعندي منه نشوةُ مخمور
سأحمله للرافدين مُحدِّثاً ... بلاديَ عن أشذاءِ دنيا الأزاهير
وأروي لها عما رأيتُ بمنطقٍ ... يصوِّرُ حسنَ الناسِ اصدقَ تصوير
وما أنا ممن يُبصرُ الحسنَ ماثلاً ... لديه ولا يُطري هواهُ بتعبير
عجبتُ لقومٍ شاهدوا الخلدَ واقعاً ... بدنياكِ ، وانساقوا لوهمِ الأساطير

***

ويا أدباءَ السلمِ نحن بهديكم ... نُيسرُ من اهدافنا كلَّ معسور
سنصنع من أحشائنا لشعوبنا ... مشاعلَ تنويرٍ لشقِ الدياجيرِ
ونحتُ من اكبادِنا لسلامنا ... بيوتاً تقي الأجيالَ شرَّ الأعاصير
لكم ، ولكل المحسنين لشعبنا ، ... تحياتُ إعجابٍ وحبٍ وتقدير

شاعر الشعب
محمد صالح بحر العلوم

معطيات عن ارباح الاحتكارات البترولية
(بملايين الدولارات)

البلدان	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	المجموع
الكويت	٣٣٠ر٨	٣٨٣ر٨	ـ٤٣٥ر	ـ٤٦٠ر	٤٥١ر٦	ـ٤٨٨ر	٢٥٤٩ر٢
السعودية	ـ٤٢٤ر	ـ٣٣٢ر	ـ٥٢٠ر	ـ٥٦٠ر	ـ٥٦٠ر	ـ٥٦٠ر	ـ٢٩٥٦ر
العراق	ـ١٨٤ر	٢٨٧ر٨	٣٨٣ر٦	٤١٢ر٨	ـ٣٨٦ر	ـ٢٨٠ر	ـ١٩٣٥ر
ايران	—	—	—	ـ١٦٨ر	ـ٢٩٢ر	ـ٤٢٨ر	ـ٨٨٨ر
المجموع	**٩٣٩ر٦**	**١٠٠٣ر٦**	**١٣٣٨ر٦**	**١٦٠٠ر٨**	**١٦٨٩ر٦**	**ـ١٧٥٦ر**	**٨٣٢٨ر٢**

البراعم والصغار ...

يوسف الصائغ

لماذا يموت الصغار ؟
وفي حقلنا ينضج البرعمُ
وفي نهرنا يستفيض الدمُ
ليسقي الثمار
فتنمو ... وتحيا ... ولكن
يموت الصغار
يموتون قبل إحتضار الثمار
وقبل انطفاء النهار
لماذا ...
لماذا يموت الصغار
بلا مقلتين
بلا وجنتين
وينطفىء الأمل الباسم
على دمعتين ..
على دمعتين من الرافدين
صغاراً ... صغار
على لثغة جمدت في الصقيع

على بسمة حلمت بالربيع
سلام عليها ... تجوع
لبعض الزهور .. لبعض الثمار
وفي حقلنا ينضج البرعمُ
يجوعون حتى الى قطرتين
الى بسمتين من الوالدين
الى قفزة فوق ضوء النهارْ
لماذا ، وفي الرافدين
عروق الحليب ... الى قطرتين
يجوع الصغارُ
وفي الرافدينِ .. عروق الحليبِ
وقلبٌ دمٌ
بها ينضج البرعمُ
وتنمو الزهورُ .. وتحيا الثمارْ
ثماراً .. ولكن يموت الصغار ...

يوسف الصائغ

صدر من منشورات الثقافة الجديدة

الكرد والمسألة الكردية

تاليف

الدكتور شاكر خصباك

توزعه : دار الاهالى ـ عمارة عبد علي الهندي ـ تلفون ٤٣٦٩

من اجل المقاومة الشعبية

موسى النقدي

شعبَنَا
مادام في الأرضِ طغاهْ
يستغلّـون الحيـاهْ
في سبيل القتل ، قتل الآخرينْ
ويمصّون دم الناسِ الضعافْ
ويطيرون الى النهبِ ، إلى السلبِ ، خِفافْ .

شعبَنَا
ما دام في الأرضِ بقـايا
عالمٍ ، يعتاشُ من بيعِ الخطايا
ولهُ فيها تجارهْ
ويسمّيها ـــ على الزيْف ـــ حضارهْ
ولهُ عند ضحاياهُ اعترافْ
ولهُ في كلّ ما أذنَبَهُ الغيرُ ، اقتِرافْ

شعبَنَـا
ما دام للشيطانِ أعوانٌ بواشنطنْ
ولندنْ
واللصوصيّةُ شرْعُ

والظلامية ِدرْعُ
فيهما ، في قلبِ واشنطنْ .. ولندنْ
فعلينا أن نقاومْ
ونهاجمْ
من يُعادينا ، ولكن لا نسالمْ
مجرماً يطلبُ منا أن نُساومْ.
وعلينا أن نغنيّ ، أن نغنيّ ، للسلاحْ
انه كالميْت
مَنْ تخمدُ في اعراقهِ نارُ الكفاح
إن جمهوريةَ الشعبِ ، الحبيبهْ
نحن حرّاسٌ لها ، نحن الشبيبهْ
بدمانا نحن ، أطْلَعْنا الصباحْ .
ودم الشعب الذي سال على الأمواه قطره
تلوَ قطرهْ
ودمِ الشعب الذي لوّن نهرَهْ
والذي خطّط جسرَهْ
صارَ ثورَهْ
والذي لا يتطوّرْ
يتقهقرْ .
إننا نحن الشبيبه
بدمانا نحرسُ الثورةَ من اعدائها
نحن الشبيبه

العلم

البطاريات الشمسية

الدكتور بهاء

قد يتساءل الكثير منا ـ في أيام الاقمار الاصطناعية هذه ـ عن كيفية حصول أجهزة السبوتنيك وجهاز الارسال فيه عن الطاقة الكهربائية طيلة المدة التي يقضيها السبوتنيك في الفضاء . نجد الانسان هنا كما وجدناه في حالات عديدة يمد يده الى المنبع الابدي للطاقة في مجموعتنا الشمسية الا وهي الشمس أم كوكبنا ومصدر طاقتنا . ان مشكلة الطاقة الكهربائية في القمر الاصطناعي السوفيتي قد حلت بواسطة ما يسمى بالبطارية الشمسية وذلك تتحول طاقة الشمس الضوئية الى طاقة كهربائية .

ومن الجدير بالذكر هنا ان كل سنتمتر مربع من طبقات الجو العليا يحصل على طاقة شمسية بمعدل سعرتين كل دقيقة في حالة كون المربع عموديا على الشعاع الشمسي ، وبهذا فان نصيب سطح الارض المعرض للشمس من هذه الطاقة هو بمعدل ٣٫٠٦٥ × ١٨١٠ كيلو سعرة ـ ساعة يوميا وبالرغم من ضخامة هذا الرقم فان الارض لا تحصل من الطاقة الشمسية الا جزءا من ٢٠ مليون مليون من الطاقة التي تشعها وذلك لبعدها الشاسع ولصغرها النسبي .

ان هذا الجزء البسيط من الطاقة الكلية التي تشعها الشمس قد ساعد على تكون ونمو الحياة الحيوانية والنباتية على الارض وبانعدام هذه الطاقة الشمسية التي هي قوام الحياة تنمحي الحياة من على وجه الارض .

لقد اخترعت البطارية الشمسية من قبل مختبرات بل (Bell) للتيلفون في اميركا . ان الطريقة الاساسية لتحويل الطاقة الضوئية الى طاقة كهربائية في البطارية الشمسية هذه تختلف في بعض الوجوه عنها في الخلية الكهراضوئية المعروفة. فالخلية الكهراضوئية لا تحوى الا ٥ر٠٪ من الطاقة الضوئية الساقطة عليها ولا تستعمل الا لاغراض محدودة في حين ان البطاريات الشمسية تفوق الخلية الكهراضوئية عشرين مرة في الكفاءة ويمكن استعمالها كمولد للكهربائية .

وقبل ان نتطرق الى شرح المبدأ الاساسي في توليد الكهرباء في البطارية الشمسية يجدر بنا ان نشرح قليلا التركيب الالكتروني للذرة . ان الالكترونات تكون اجزاء اساسية في بناء الذرة وحسب النظرية المقبولة فان الذرة تتكون من جزء مركزى يسمى النواة وعدد من الالكترونات المدارية وهذه تدور حول النواة كدوران الكواكب حول الشمس . تحوي النواة معظم كتلة الذرة وتتألف من دقائق موجبة الشحنة تدعى البروتونات وأخرى متعادلة الشحنة تسمى بالنيوترونات . ان عدد الالكترونات التى تدور حول النواة يساوى عدد البروتونات داخلها وبهذا تكون الذرة معدومة الشحنة الكهربائية. والالكترونات هذه مرتبة في مدارات حول النواة وكل مدار لا يتحمل أكثر من عدد معين من الالكترونات وهذا العدد ثابت وخاضع لقانون طبيعى معلوم . ان الالكترونات في المدار الخارجي من الذرة هي التي تعين خواص العنصر الكيميائية وهي التي تربط ذرات العناصر مع بعضها لتكون جزيئات المادة وبهذا يكون التركيب الجزيئي والبلوري للمادة خاضعا للتركيب الالكتروني في الذرات المعنية .

ان المدار الخارجي لذرة السليكون مثلا يحتوي على اربع الكترونات ولهذا نجد كل ذرة من ذرات السليكون مرتبطة بأربع ذرات مجاورة مكونة بذلك تركيبا خاصا لبلورة السليكون . والآن لو فقدت احدى هذه الذرات الكترونا واحدا من مدارها الخارجي نتيجة احد العوامل الخارجية كالحرارة أو الضوء أو الطاقة الكهربائية . فستصبح ذرة قابلة لاستيعاب الكترون آخر وبهذا تكون ذات شحنة موجبة وتسمى بالثقب (Hole) وسيأخذ الالكترون بالتنقل بحرية تامة داخل بلورة السليكون .

والآن لو امتلاءت هذه الذرة (الثقب) بالكترون من ذرة مجاورة فستخلف (ثقبا) جديدا محل الذرة المجاورة وهكذا نجد الثقب ينتقل من طرف من البلورة الى الطرف الاخرى كانتقال الالكترون وبهذه الطريقة نكون قد ولدنا تيارا كهربائيا نتيجة تاثير مصدر خارجي ·

ان العامل الاساسي الذي يسهل تجوال الالكترونات و (الثقوب) في بلورة السليكون هو ادخال ما يسمى بالشوائب على هذه البلورة النقية · ولنبحث الآن ما سيحصل لبلورة السليكون عند اضافة قليل من الزرنيخ لها ·

تحوي ذرة الزرنيخ خمس الكترونات في مدارها الخارجي وبهذا سترتبط اربع من هذه الالكترونات بأربع من ذرات السليكون المجاورة ويبقى الالكترون الخامس حرا منطلقا وبهذا فان اضافة قليل من الزرنيخ لبلورة السليكون ستتكون بلايين من الالكترونات المنطلقة ، ومع هذا فسيبقى المزيج متعادل الشحنة لان العدد الكلي للالكترونات سيبقى مساويا للعدد الكلي للبروتونات ويسمى هذا النوع من السليكون بالنوع السالب (N. type) · والآن لو اضيف قليل من البورون الى بلورة السليكون سنحصل على حالة مختلفة تماما فمن المعلوم ان ذرة البورون تحوى ثلاث الكترونات في مدارها الخارجي وبهذا تحتاج كل ذرة بورون الى الكترون آخر لتتحد مع اربع ذرات مجاورة من السليكون وفي هذا الاتحاد سينتقل الكترون من بعض ذرات السليكون الى ذرات البورون المتحدة وهكذا يتكون عندنا (ثقوب) موجبة منطلقة · وكما رأينا في حالة مزيج (السليكون ـ زرنيخ) سيتكون هنا بلايين من (الثقوب) الموجبة المنتقلة رغم بقاء المزيج متعادل الشحنة · ويسمى هذا النوع من السليكون النوع الموجب (P-type) · والآن للحصول على تيار كهربائي من هذين النوعين من البلورات نتبع العملية التالية :

يضاف للجزء الاول من السليكون قليل من الزرنيخ وللجزء الثاني قليل من البورون ويلصق الجزءان مع بعضهما وسيبقى كل جزء متعادل الشحنة كما بينا سابقا · ولكن جزء (السليكون ـ زرنيخ) سيحتوى على مزيد من الالكترونات المنطلقة بينما سيحتوى جزء (السليكون ـ بورون) على مزيد من الثقوب الموجبة المنطلقة وبما ان الشحنتين قابلتان للحركة فسيحاولان اختراق الحاجز بين الجزئين

والانتقال من جزء الى آخر فسيحصل جزء (السليكون ـ زرنيخ) على شحنات موجبة لانتقال الاخيرة اليه وسيحصل جزء (السليكون ـ بورون) على مزيد من الالكترونات لانتقالها اليه ويستمر هذا الانتقال الى ان تصل حالة تعادل حيث يكون كل جزء في حالة مشبعة لا يستطيع ان يتحمل مزيدا مما ينتقل اليه وبهذا نقول ان الخلية بطرفيها تكون في حالة تعادل وفي الحالة هذه تكون البطارية ـ التي تتكون من عدة خلايا كهذه ـ جاهزة للعمل ٠

تكون كل خلية على شكل صفيحة رقيقة الجزء الداخلي منها يتكون من السليكون الممزوج بقليل من الزرنيخ (N-type) والجزء الخارجي من السليكون الممزوج بقليل من البورون (P-type) ويسمى الحاجز (P-N Junction) ٠ ولكى يوصل الجزءان من الخلية بالاجهزة الخارجية تلحم قطعتان من المعدن على الجزئين ٠

عند سقوط ضوء الشمس على الخلية تنطلق بعض الالكترونات من جوار ملتقى الطرفين من الخلية وبهذا يتكون ازواج من (الالكترونات ـ ثقوب موجبة) وتحاول هذه الالكترونات والثقوب الموجبة ان تخترق الحاجز لتتجمع الالكترونات في الجزء السلبي من البلورة ولتتجمع الشحنات الموجبة في الجزء الموجب من البلورة وبهذا تكون حالة التعادل قد فقدت وتخرج الالكترونات خلال الاقطاب الملحمة وخلال دوائر كهربائية وبهذا يتكون عندنا تيار كهربائي طيلة تعرض الخلية للضوء الشمسى لان التيار ما هو الا عبارة عن الكترونات متحركة ٠

يوجد في البطارية الشمسية المستعملة عدد كبير من هذه الخلايا المربوطة على التسلسل وتستطيع كل خلية ان تولد ٣٣ر٠ فولت اذا عرضت لضوء الشمس مباشرة وان تولد ٠١ر٠ واط من الطاقة لكل سنتمتر مربع من السطح المعرض للضياء ٠ ولقد قدر ان ١١٪ من الطاقة الضوئية الشمسية قابلة للتحويل الى طاقة كهربائية بهذه الطريقة ٠

تستعمل الان هذه البطاريات الشمسية في الولايات المتحدة الاميركية في الدوائر الكهربائية للتليفونات وخاصة في الاتصال التليفوني لمسافات طويلة حيث يجب تقوية الذبذبة التي تحمل الكلام في محطات وسطية لكي تصل المحل اللازم بالقوة الكافية وفي مثل هذه المحطات تستعمل البطاريات الشمسية حيث تكون على شكل

صحون موضوعة على اعمدة التليفون ومواجهة السماء لكي تستلم أكبر كمية من الطاقة الشمسية · ان السيوتنيك الذى يدور في فلكه ويتعرض نصف الوقت الذى يقضيه في الدوران لاشعة الشمس والنصف الاخر يقضيه في الظلام فان الطاقة الكهربائية المتولدة من البطاريات الشمسية وتخزن في بطاريات عادية وبهذا يحمل السيوتنيك بطاريات شمسية وأخرى خازنة فعندما يدور في النصف المظلم يستهلك البطاريات الخازنة وعندما يدور في النصف المشع تخزن الطاقة المتولدة من البطارية الشمسية في البطارية العادية لكي تستهلك في النصف المعتم ·

ان موضوع البطاريات الشمسية لا يزال قيد البحث المستمر وخاصة لمحاولة انتاجها على نطاق تجارى حيث ان تنقية السليكون في الطرق المعقدة حاليا يكلف كثيرا بالاضافة الى كون السليكون نفسه غاليا ومن المؤمل ان تتحسن طريقة تنقية السليكون وعند ذلك يعم استعمال البطاريات الشمسية كعموم استعمال البطاريات العادية ·

ان البطارية الشمسية ذات مزايا عديدة فهي لا تحتوى على المواد الكيميائية المتلفة والتي يجب ان تجدد باستمرار كما هي الحالة في البطاريات العادية ولا تحتوى على جزء متحرك ودوار كما هي الحالة في المولدات الكهربائية (الداينمو) وما ان يتم صنعها فانها تستخدم لامد طويل · ولما كانت الشمس ترسل اشعتها لبلايين وبلايين من السنين القادمة فان هذه البطاريات الشمسية ستنفعنا ما دام كوكبنا باقيا ·

اقدم شكرى للاستاذ نعمان النعيمي لترجمته هذه المقالة الى العربية ·

الدكتور بهار
كلية العلوم ـ بغداد

محكمة الشعب

الكتاب الذي يكشف لك القناع عن تلك الوجوه القذرة التي حكمت شعبنا العظيم لعشرات السنين ووقفت كالفئران المذعورة امام محكمة الشعب ·

توزعه : دار الاهالى ـ عمارة عبد على الهندي ـ تلفون ٤٣٦٩

آراء ومناقشات

ماهكذا يا ... دكتور

لفت نظري في مجلة (الثقافة الجديدة) الغراء ، مقال قصير تحت عنوان « انهيار أسس الادب الحديث » للدكتور يوسف عزالدين ، يتحدث فيه بغرابة عن الادب والثورة ٠

ويبدو لاول وهلة ان الدكتور عزالدين ، لم يتفهم لحد الان المرحلة التاريخية التي يمر بها عراقنا الحبيب ٠ فهو يعتقد ان كل ما جرى من أحداث هامة في وطننا ليس الا « عواطف ! » فقط ٠ ان الدكتور يصف الوضع على الشكل التالي : « العواطف ملتهبة والنفوس هائجة والعقول جامحة طائشة » !

هكذا ٠٠٠ « العقول طائشة » !

انني أسأل الدكتور الفاضل ، أين يجد هذه « العقول الطائشة »! أفي صفوف الشعب والقوى الوطنية المخلصة التي لم تلق – ولا ليوم واحد – راية النضال الوطني الشريف ؟ أفي صفوف الادباء والشعراء والكتاب الذين تعرفهم سجون نورى السعيد وبهجت العطية ؟ !

ان « الطيش » موجود بالفعل ، ولكن ليس في صفوف الشعب ، بل في صفوف أعدائه ، في صفوف (أيتام العهد البائد) ، في صفوف الحاقدين والموتورين والمنتفعين من عهد غابر لن يعود أبدا !

ان الطيش موجود بالفعل ، ولكن ليس عند الشعب وقواه الوطنية المخلصة ، بل عند الاستعمار وأذنابه الذين أذهلتهم ضربة الجيش والشعب في ١٤ تموز الباهر !

٠٠ ويتكلم الدكتور عن الوضع في العهد البائد ويبرر انعزال البعض وخوف البعض الاخر من المساهمة الجهادية ، ويزعم انك لا

تستطيع » أن تتحدث عن مساوىء الحكم وأعمال رجال السلطة الا لاقرب المقربين وأنت خائف » !

ترى ، كم عدد السجناء السياسيين الاحرار الذين أخرجتهم الثورة من سجون العهد المقبور ؟ ولماذا سجنوا ؟ **وهل يتذكر الدكتور شهداء شعبنا الابرار الذين صعدوا المشانق وهم يهتفون بحياة الشعب وقواه الجهادية ؟! ولماذا اعدموا ؟!**

وهل يتذكر الدكتور ـ وهو أكبر سنا مني بالطبع ! ـ شهداءنا في تظاهرات وانتفاضات الشعب في كاورباغي و ٤٨ و ٥٢ و ١٩٥٦ ؟!

ان محاولة طمس نضال شعبنا العنيد ومحاولة طمس نضال قواه الجهادية المخلصة ، لن تلاقي غير الفشل · كما ان تبرير انعزال البعض من المثقفين وغيرهم عن النضال الوطني وابتعادهم عن ساحتها لن يكون ذا جدوى مطلقا ·

وكنتيجة لتفسير هذا الوضع الذي تحدث عنه الدكتور ، يعتقد هو ان « أدبنا جاء مثلا للحزن ورمزا للكآبة والنقمة » ! وعلى هذا ، فقصائد الجواهري وبحر العلوم وكاظم السماوى والبياتي وكاظم جواد والخ ·· انما جاءت « مثلا للحزن ورمزا للكآبة والنقمة » ـ وربما كان هذا الرمز طائشا ـ على حد تعبير الدكتور !

وبرغم هذا كله ، لا يستطيع الدكتور الا أن يقول الحقيقة ـ لان الحقيقة لا تخفى بالغربال ـ **فيناقض كلامه** هذا ، ويقول : « ان حظ الشعراء والادباء والمفكرين لا يغبط من العذاب والتشريد والملاحقة والاضطهاد والسجون » · فيا ترى ، لماذا سجنوا واضطهدوا ، ألتعبيرهم عن الحزن والكآبة ؟

لست أدري ، ولعل الدكتور يوضح ذلك !

ولا يكفي الدكتور كل هذا ، بل يظهر صراحة نقمته على اطلاق الحرية الفكرية للادباء والكتاب ، ويدعي ـ بدون أن يبين السبب ـ « ان هذه الحرية في القول غدت وبالا (كذا !!) على شعر كثير من الشعراء فلن يتذوق الشعب شعرهم » !

ولعل الدكتور يريد أن يشارك في الحملة ـ **الطائشة والفاشلة بالتأكيد** ـ ضد اطلاق الحريات الديمقراطية ـ للشعب لا لاعدائه ـ التي انطلقت من هنا وهناك · فراح يؤكد على ان اطلاق الحريات يعني صعود الادباء « الى قمم المبالغة » ! بل انه يزيد في صراحته فيقول

« ان المبالغة في الاقذاع هي أول مظاهر هذه الحرية الجديدة » !

ترى أيريد الدكتور أن يعود الوضع الارهابي البائد الى حيث خنقت الحريات ، وحيث « منع عنك التحدث عن مساوىء الحكم وأعمال رجال السلطة الا لأقرب المقربين اليك وأنت خائف » ؟ أم ماذا ؟!

لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ، ان اطلاق الحريات الديمقراطية هي الضمانة الاكيدة لتوطيد دعائم النظام الجمهوري الديمقراطي وتحقيق أهداف الثورة . **ومن حقنا أن نشك في كل طعن لمسألة اطلاق الحريات بأي اسلوب ، ومن أي مصدر ينطلق هذا الطعن.**

ان الدكتور يقول أيضا ان الشعراء « استعجلوا ولم يلتفتوا الى الاسس الفنية » ! **لماذا لا يقول صراحة انه مستاء من (الاقلام الجديدة) ! التي ظهرت ، كما زعقت بعض الابواق المنحدرة الى الهاوية ، مع ان هذه الاقلام ليست جديدة بالمرة ، ويعرف الدكتور ـ اذا كان عائشا مع شعبنا ! ـ انها لم تكن غير حبيسة فقط .**

أما ان أدبنا سيكون « مهلولا معادا » فاعتقد انه يعني عدم تفهمه ومللله منه ، لا تفهم الشعب . وقد يكون هذا صحيحا اذا كانت هذه الافكار تخالف نظرته الى الحياة !

واخيرا ، فان « الادباء قد أثبتوا » النجاح والتقدم ، لا « الافلاس » ـ كما يقول الدكتور ـ . وان أسس ادبنا الجديد تتطور نحو الافضل ، أما المفاهيم القديمة فتتهدم بالضرورة ، سواء ارتاح البعض لهذا أم حصل العكس .

انني أقول بصراحة ، ان القافلة تسير ، ولن ترجع الى الوراء مطلقا ، فليطمئن الدكتور على مستقبل أدبنا ، فلن تموت فيه الا الحشائش !

الحلة ـ طالب كاظم الحسيني

اشترك في

« الثقافة الجديدة »

تجد فيها كل شهر خير ما ينتجه الفكر العراقي الحر

قيمة الاشتراك ـ دينار واحد داخل العراق

تراجع ادارة المجلة ـ شارع المتنبي ـ عمارة شاشا ـ تلفون ٨٨٢٦٠

كتب أقدمها للقارئ

عدنان الحافظ

الحرب والشعوب

- تأليف : بدر الدين السباعي
- اصدار : دار ابن الوليد ـ دمشق ـ ١٩٥٧
- ١٧٢ صحيفة من الحجم المتوسط

هذا هو الكتاب الثاني الذي أقدمه « لدار ابن الوليـــد » وهي الدار التي كان من أهدافها « نشر المعرفة في سبيل الحياة والشعب ، وربط الفكر العربي بالتراث الانساني الاكبر » ٠

والحرب ـ كما لا يخفى على احد منا ـ كانت ولا تزال وستبقى ـ ان بقيت ـ سببا هاما من اسباب تلك الضحـايا الهائلة ، والآلام البشرية الموجعة ٠

كان حصاد الحرب العالمية الاولى ـ كما بينهـا الكاتب فارغا ـ كما يلي :

- ١٠ ملايين انسان عدد القتلى ٠
- ٦ ملايين انسان عدد الجرحى الخطيرة جراحهم ٠
- مليون انسان عدد المصابين بجروح بسيطة ٠
- ٦ ملايين انسان اسير حرب ومفقود ٠

ومضت السنون ، واعتقد البسطاء من الناس أن هذه الحـرب ستكون خاتمة الحروب ، ولكن عام ١٩٣٩ نسف هذا الاعتقاد الواهي، واشتعلت حرب جديدة ، وازداد عدد الضحايا ، والخسائر الماديـة ، حتى بلغ كما يلي :

- ٣٢ مليون انسان قتلوا في ساحة الحرب ٠
- ٢٠ مليون انسان قتلوا ايضا نتيجة الغارات الوحشية على المدنيين ٠
- ٢٦ مليون انسان قتلوا في معسكرات الابادة النازية ٠

* ٣٠ مليون انسان فقدوا عضوا أو اكثر من اعضاء اجسامهم فاصبحوا غير قادرين على العمل ٠

* وبلغت الخسائر المادية (٢٦٠) مليار دولار !

وعلى الرغم من هذه الضحايا البشرية الضخمة ، وهذه الخسائر المادية الهائلة ، فالحديث عن حرب عالمية ثالثة نشيط مستمر ، والعمل على تهيئتها والاستعداد لها ، وابقاء نارها ، محموم فائر !

واذا كانت الحرب حادثا طبيعيا اجتماعيا فهي وليدة اسباب معينة لا بد من توافرها حتى تندلع وتتطور وتحصد ! ولا بد من القضاء على هذه الاسباب حتى تنعدم ٠ فما هي اسباب الحروب ؟

يقول هنري كلود في كتابه القيم « الى أين يسير الاستعمار الاميركي ؟ »(١) في الصحيفة ٣٦ : « ٠٠٠ ان الحروب ، التي تعني تدمير الثورة ، لا يمكنها أن تفني الشعوب ٠ انها افقار مطلق للجماهير ٠ ان الحرب ليست صفقة الا عند أصحاب الاحتكارات » ٠

ان النظام الاقتصادي القائم على طلب الربح ، القائم على السعي وراء اعظم ما يمكن من الربح ، وعلى اساس التملك الفردي لوسائل الانتاج ـ رغم الصفة الجماعية التي اكتسبها هذا الانتاج ـ هو المولد للحرب ، هو الذي تتأتى الحروب عنه ، كما تتأتى العواصف عن الغيوم الدكناء ٠

ويقف الاستعمار الاميريكي اليوم على رأس الدول الاستعمارية الاخرى ، يقف هذا الاستعمار الوحشي مهددا الشعوب الآمنة الوديعة باثارة حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر ٠ ان الاستعمار الاميريكي قد اعد لكل أمر عدته ، ولكنه أغفل عامل الشعوب في حسابه ٠ انه ما يزال يرى أن ارادة الحديد والدولار فوق ارادة الانسان ٠ ولكن الشعوب المناضلة في كل مكان ، ستؤكد للاميركان على الدوام ، أن ارادة الشعوب فوق كل ارادة ٠ « **فعلى الذين يواصلون اللعب بالنار ، أن يفهموا أنه ، لا المغامرات العسكرية المباشرة ، ولا الدسائس المستترة ، ولا المؤامرات المبطنة ، بقادرة على أن تتغلب على قوانين التطور الاجتماعي** » ٠

وكتاب « الحرب والشعوب » من تلك الكتب العلمية القيمة ، التي تعالج ـ بطريقة منطقية واضحة ـ مواضيع آنية ملحة هي : الحرب

(١) صدر هذا الكتاب عن دار اليقظة العربية بدمشق مؤخرا وقد ترجمه الدكتور بدر الدين السباعي ، ولنا دراسة عنه نشرتها مجلة المثقف بعددها الاخير ٠

دماء وثروات ، حتمية الحروب ، عدم حتمية الحروب ، واخيرا هـذا الموضوع الجدير بالتعمق وهو : الحرب العادلة والحرب الظالمة .

* ● *

تحت اعواد المشانق

- تأليف : يوليوس فوتشيك
- ترجمة : فهمي الاخرس
- اصدار : دار القلم ـ بيروت ـ ١٩٥٤
- ١٤٢ صحيفة من الحجم المتوسط

من منا لم يسمع بهذا الاسم العظيم ؟ هـذا الوجـه التشيكي الكبير ؟ هذا الرجل الذي ضرب اسمى آيات البطولة والتضحيات ؟!

لقد كان فوتشيك الشخصية النموذجية الحديثـة للنهضـة التشيكية ، فهو لم يمثل قط في حياته دور المفكر المنطوي على نفسه . لقد كان يحب اصدقاءه ، وكل اصدقائه كانوا مثله تماما ، يحبـون شعبهم والانسانية عامة ، وهو كما قال عنه الاستاذ لاديسلاف ستول : « ... عندما كان فوتشيك يكتب موضوعا يتعلـق بالعمـال الذين لم يمتهنهم ويحتقرهم الضغط الاقتصادي الطائش وحده ، بل يمتهنهم ويحتقرهم ايضا سلوك الانتهازيين والوصـوليين وحماقتهم ، ذلـك السلوك ، وتلك الحماقة اللذان يبدوان في دعوتهم الى (الصدقة) على العمال ـ عند ما كان يكتب هذا الموضوع ، **كان يعرف كيف يتحدث الى الناس الذين يحبهم** »(٢) .

لقد ظل فوتشيك واقفا في بسـاطة ، ينظر الى الحيـاة نظرة المتفائل ، وقد وهب حياته لشعبه بكل بساطة .

وهذا الكتاب في الحقيقة ليس كتابا ـ بالمعنى المالوف لهذه الكلمة ـ بل هو « مذكرات » هذا الكاتب العبقري ، كتبها وهو معتقل في سجن الغستابو « بانكراك » في ربيع ١٩٤٣ ، بعد ان قبض النازيون عليـه عند احتلالهم لتشيكوسلوفاكيا . وقد استطاع فوتشيك ان (يهرب) مذكراته الثمينة هذه الى خارج السجن عن طريق احـد الحـراس الطيبيين . لقد عذبه الغستابو عذابا مبرحا طوال مدة اعتقالـه التي بلغت (٤٢١) يـوما ، « فالوقوع بين يدي الغستابو يعني دائمـا

(٢) من مقدمة الاستاذ ستول للطبعة الفرنسية المترجم عنها هذا الكتاب .

النهاية » . وقد قارب نهايته مرات عديدة من شـــدة هـذا التعذيب البربري ـ « .. انني اتحسس قطـــع العشب المفروشـــة الآن على صدري ، وفي بطني ، وفي كل جزء صغير من جسمي . وكلها تسبب لي ألما وضررا وتجعلني اتنفس بصعوبة ! انني أرى بوضوح النهاية ، وانا في دور الاحتضار ! لقـــد ابطأت في مجيئك ايها الموت ، ولقـد أملت ، مع ذلك ، ان اتعرف عليك فيما بعد ، بعد سنين طويلة ، لقـد أملت ان اتمكن من العيش حياة رجل حر ، وأن اتمكن من العمل كثير ، ومن الحب كثيرا ، ومن الغناء اكثر ! وان اجوب العالم » .

وحينما شعر فوتشيك بقرب وفاته كتب وصيته التي جاء فيها : « ... انها وصيتي اليكم ايهـا الرفاق ، انهـــا وصيتي الى جميع من احببت ، ولئن اعتقدتم ان الدموع ستزيل عاصفة الالم فابكوا قليلا والى حين ! لقد عشت من اجل السرور ، وأود أن اموت من أجله . الى الرفاق الذين سيبقون احياء بعد هذه المعركة الفاصلة أمد يدي لاصافحهـــم بقـوة ، وانني مع جوستا(٣) قد قمنا بواجبنا تماما ، انني اردد مرة أخرى ايضا : لقد عشنا من أجل السرور ومن أله ذهبنا الى القتال ، ومن اجله ايضا نموت ، فأرجو ان لا يقترن الحزن باسمنا » .

وكانت آخر كلمات هذا الرجـل العظيم « انني احييكم ايهـا الناس ! استيقظوا ! »

كان فوتشيك علما خفاقا في سماء الانسانية الرحب ... وسيبقى كذلك الى الابد !

عدنان الحافظ

* ● *

تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦

- تأليف : شهدي عطية الشافعي
- توزيع : الدار المصرية للكتب ، عام ١٩٥٧
- عدد الصفحات : ٢٤١ من الحجم المتوسط

يتكون هذا الكتاب من اثني عشر فصلا يبدأ اولها من الاستعمار والسيطرة الاقتصادية ـ ١٨٨٢ ـ وينتهي بالفصل الاخير وعنوانـــه (الغـد) .

---

(٣) زوجته وقد كانت معتقلة معه في سجن واحد .

هذا العصر هو عصر الشعوب لا السلاطين والملوك ·· انه عصر الحركات التحررية من نير الاستعمار ·· انه عصر العامل والفلاح لا عصر النبلاء والبارونات ·· هذا هو عصرنا لا كما كان يصوره الكتاب القدامى من ان تأريخ الامة هو تاريخ حاكمهـــا ، وان المسير للتاريخ هو الفرد وليست الشعوب ·

ان اول ما يلاحظه القارىء في هذا الكتاب هو ان مؤلفه قد نهـج المنهـج العلمي في دراســـته · وحلل فيـــه الظروف الاقتصاديـــة والسياسية والاجتماعية التي صاحبت الحركة الوطنية المصرية بروح علمية اضف الى ذلك ان الكاتب قد اوضح دور الطبقات الجماهيريـــة من عمال وفلاحين في هذه الحركة · هذا اضافة الى ما كشفه المؤلف من اخطاء في الثورات المصرية الوطنية الاولى والاســـاليب التي اتبعتهـا والظروف المحيطة بهذه الانتفاضات والثورات التي ادت الى فشلها · ثم يستخلص المؤلف بعض النتائج من كل ذلك بروح علمية صادقة ·

هذا والحق يقال ان المؤلف في الفصل الاخير من كتابه قد اوضح بجلاء مستقبل الاقليم المصري من الجمهورية العربية المتحدة ورسـم المعالم الرئيسية لهذا المستقبل وخاصـــة ما يتعلق منهـــا بالاحوال الاقتصادية ·

انور امين المدامغة

* ● *

- **من الجوهر الى الوجود ، من ديكارت الى سارتر ·**
- **منشورات عويدات ·**
- **ترجمة : كمال يوسف الحاج ·**
- **عدد الصفحات ٢٢٧ صفحة ·**

كما حاول برغسون الجمع بين العلم والدين ، أو بين الالـة والصوفية ،نتيجة شعوره الحاد بضرورة اللقاء بين الروح والمـــادة ، بضرورة ادخال الروح الى الآلة ، كذلك يحاول تلميذه الدكتور كمال الحاج ، الربط بين جوهرية ديكارت ووجودية سارتر ، بين صوفية برغسون ومادية غيره من الفلاسفة ، وهو يبدأ الكتاب بحديث عام عن الجوهر وعن الوجود ، وعن الفلاسفة الذين اهتموا بمشكلة أولية كل

منهما ، منذ عهد الاغريق ، أى منذ ان كان هيرقليطس يؤمن باسبقية الوجود ومنذ ان كان افلاطون يؤمن باسبقية الجوهر · ومنذ هذه البداية · يتضح عمل المؤلف ـ التوفيقي ـ اذ يخرج بنتيجة هي انه لا انفصام بين الجوهر والوجود ، الا ان ادلته على ذلك ، تبدو غير مقنعة تماما ، فاذا طرحنا جانبا بعض الامثلة المستقاة من اساطير التوراة ، وتقدمنا الى المشكلة الفلسفية ، وهي أمام (الانسان) الذي هو مبدع ومحور القيم ، رأينا المؤلف يقف قليلا ليقول : « على صعيد كياننا البشرى ، يصبح الوجود متسللا الى الجوهر ، غاية الوجود ههنا ، ان يرمز الى جوهر متعال ، يغدو هدفا أخيرا لحياتنا ، الانسان ليس جوهرا لنفسه ، وفي حد نفسه ، ومن نفسه ، فوقه (فوق) يجذبه ، فيتنسب اليه المرء ، والا الغيت كل قيمة من وجود الانسان ·· » من هنا تتضح لنا مدى مثالية الكاتب · مدى ربطه للقيم التي هي من ابداع الوجود الانساني ، الى خيوط فوقية ما ورائية ، الى اشياء غير انسانية وبالتالي لا تستطيع مطلقا ان تعطي أي قيمة لاي عمل انساني ·

وبعد هذه البداية العامة ، يبدأ المؤلف بالحديث عن ديكارت وكوجيته :

(انا افكر **اذن** انا موجود) ويصف كيف انفلت هذا الفيلسوف من قيود التقاليد والجسم (أى الحواس) ثم العقل · الى ان وصل الى نقطة انطلاقه ـ الشك ـ الذي هو فكر في الحقيقة فانا اشك ، معناه ، انا افكر ، والفكر يؤدي بي الى الوجود ومن هنا تبدأ جوهرية ديكارت ، تبدأ مثاليته !

الا ان الدكتور الحاج ، يدافع عن عبارة ديكارت هذه ، ويحاول ان يحملها أكثر مما تحتمل فهو يقول : ان هذه ـ اذن ـ هي التي أوهمت أعداء ديكارت بانه يقصد خروج الوجود من الفكر » · ولما كان الدكتور الحاج يرغب في ان يردد مرة اخرى فكرة عدم انفصال الوجود عن الجوهر ، فانه يقول : لقد حرفت اللغة مقصد ديكارت ههنا فأثارت الاضاليل وجعلت من الحدس قياسا «انا افكر اذن انا موجود» تعني « انا افكر موجودا اذن انا موجود مفكرا » !!!

وبعد ان يتناول المؤلف فلسفة ـ وى بيران ـ في مسائل الفكر والارادة ، ينتقل الى ـ برغسون ـ وانطلاقاته (المعروفة) حول الله والحب والصوفية ·· ثم يبين لنا المؤلف كيف نسفت الديانة المسيحية

جميع الحواجز التي اقيمت بين الجوهر والوجـــود وذلك باتيانها ـالسرـ ، سر التجسد ، حيث ينزل الاله ، بيننا ، ويعيش على ارضنا ويهبط أكثر فأكثر الى درجة انه ينام ويشرب ويأكل معنـا ، كـأي انسان على هذه الارض ! ويتناول المؤلف بعد هذا رأي برغسون في الصوفية ، وكيف ان الصوفية المسيحية ، كانت أكمل الصوفيـات المعروفة ، ذلك انه فيها اجتمع الجوهر مع الوجـــود ، بينما كانت الصوفية اليونانية مقتصرة على الجوهر ، وكان افلوطين يقول : العمل يضعف التأمل • وبينما كانت الصوفية الهندية غارقة في التجريد الجوهري ، ومتطرفة أكثر من الصوفية اليونانية في ذلك ، بالاضافة الى هربها من الحياة ، وبعدها عن العمل ايما كان نوعه •

ولسنا ندرى ما هو رأي ـ برغسون ـ في الصوفية الاسلامية ، الا اننا على ضوء آرائه في الصوفيات التي مرت ، نستطيع ان نقول ان رأيه في الصوفية الاسلامية لا يختلف كثيرا عن رأيه في الصوفيـة اليونانية ، التي كانت نفسها ممثلة في افلوطين احســـن تمثيل ، فافلوطين هو المعلم الاول للصوفية الاسلامية •

ثم يعقد المؤلف فصلا آخر يتحدث فيه عن ـجان بول ساوترـ الذي ضرب الماورائية والماهية ضربة قاضيـــة منطلقا من الوجـــود الانساني نفسه ، راجعـــا اليه ، ـ انا موجـــود اذن انا افكر ـ ، يستعرض المؤلف افكار سارتر من ان الانسان وجود حر على الاطلاق، ومن ان الانسان هو مصدر الخير والشر ، ثم انه مقيم الخير او الشر ، ويقف عند مشكلة الله عند سارتر !

ومعروف ان سارتر لا يؤمن بالله كاستاذه هيدجر وقد تحدث عن ذلك في محاضرته (الوجودية فلسفة انسانية) كما انه يعتبـــر الممثل الحقيقى للفلسفة الوجودية الملحـدة ، ولكن الدكتور الحاج يسمي الحاد سارتر هذا ـ الحادا مؤمنا ! ـ وهو يختلف في رأيه ـ عن الالحاد الكلاسيكي المعروف الذي يقول بعدم وجود الله ! ذلك ان سارتر لم يقل بان الله غير موجود ، ولكنه قال بعدم جدوى وجوده أو عدمه ، هذا مع العلم ان المؤلف ينقل لسارتر كلمة يقول فيها : ان الوجودية ليست الا محاولة لاستخلاص كل النتائج الممكنة مـن موقف الحادي متماسك !!

ان التعبير المختلف عن الالحاد • لا ينفيه ابدا ، اذن ما قولنا بنيتشه الذى قال ان الاله قد مات منذ زمن ، على لسان زرادشت ،

هل نقول ان نيتشه كان مؤمنا ، بدليل انه قال هذه العبارة ، ولم يقل ان الله غير موجود ! كما يقول سائر الملاحدة ، بسذاجة لا حد لها !(١)

بعد هذا يتناول الدكتور الحاج مفهوم ـ الحرية ـ عند سارتر ، وهو يشبه لا محدوديتها بالارادة الديكارتية ، الا انه لا يلبث ان يلقي على هذه الحرية ، ظلالا من التشاؤم لا حد لها .. وهذا التشاؤم مبعثه ، كما اعتقد ، افكار المؤلف الدينية القبلية ، وليست الحرية السارترية . نعني اعتقاد المؤلف ، انه ما دام هذا الفيلسوف الكبير ، قد رفض فكرة الله ، واثر الحرية الانسانية التي هي غير مربوطة الى فوق ، فان الدمار سيحل بالانسان ، والفوضى ستعصف بحياته .

يقول المؤلف ـ ما هو امر هين ان يزجر الله من حياة الانسان ، لان موته يبطل الانسان ، ويلغى كل قيمة في الوجود ، يقضي على الوجود نفسه !

وفي الفصل الاخير ، يتفق المؤلف مع سارتر في ان الانسان هو مصدر التقييم ، الا انه يحاول ان يناقش القيم ، ان يفلسفها ، فيقسمها داخليا الى جوهرية ومجتمعية ووجودية وشخصانية ، ثم هي هرمية ـ أي انها تتجه بشكل هرمي ، الى نقطة فوقية ، ـ هي الله ..

وبعد هذا يعود المؤلف مرة ثانية ، ليؤكد من جديد ارتباط الجوهر بالوجود ارتباطا قويا ، هو الذي يعطي للانسان قيمته ، وللحياة معناها .

ان هذا الكتاب ، يبقى ، مع ذلك ، من امتع الكتب التي صدرت في المدة الاخيرة اذ انه يثير من جديد مشاكل فلسفية انسانية ، تحتاج الى مزيد من التفكير والتأمل ثم ان في الكتاب ، كما في سائر كتب الدكتور الحاج ، عدة « اشتقاقات » لغوية طريفة تبعث على الدهشة احيانا !! (٢)

نزار عباس

---

(١) يكرر المؤلف رايه هذا في (ايمان سارتر للتكابر ا) في كتابه الاخر ـ فلسفيات ـ الجزء الاول . وعند ـ نيتشه ـ انه مادام الاله قد مات فيجب ان يعيش الانسان مستغنيا عن القيم التقليدية التي اخترعها الضعفاء للتسلط على الاقوياء ، ويجب على الانسان خلق قيم جديدة .

(٢) هذه كلمة سريعة استعرضنا فيها بعض افكار المؤلف ، ونود ان نرجع الى الكتاب مرة اخرى .

جولة في المجلات العربية والعالمية

الطريق

بيروت ـ لبنان ـ عدد كانون الثاني ١٩٥٩

أبحاث هذا العدد كلها مهمة ، ومن أهمها مقال الدكتور عبدالعظيم أنيس « يجب أن يظل عنصر المبادرة بأيدينا » وقد استعرض الدكتور في مقاله صراع البلاد العربية مع الاستعمار ، ورأيه أنها كانت « في حالة هجوم كاسح على مراكزه في الشرق العربي » ونوه بثورة لبنان المجيدة و « **ثورة ١٤ تموز في العراق التي هي أهم انتصار وطني سجلته البشرية منذانتصار الثورة الصينية عام١٩٤٩**» ثم قال : « ان الثورة العراقية المجيدة لم تحرر الشعب العراقي فحسب بل كانت اللطمة الكبرى التي أصابت الاستعمار بكل المنطقة في صميم مصالحه العسكرية والاقتصادية والسياسية . ولقد غزت الثورة العربية ـ بثورة العراق ـ المركز الاساسي والقاعدة الاولى للاستعمار بالمنطقة فحطمتها عن آخرها » .

وبعدئذ عرض للتدبير الذي اتخذه الاستعمار للرد على هذه الضربة ؛ فكان في « تدعيم وتسليح إسرائيل » وتفرقة الصفوف ـ ما فعله مندوب بورقيبة في اجتماع الجامعة العربية ـ وانقلاب السودان ، و « ما يجري من محاولات مستمرة للوقيعة بين القاهرة وبغداد » كل ذلك يدل على « **أن الاستعمار الامريكي لم يهدأ منذ انتصار ثورة تموز في العراق** » وقد « حاول أن يستفيد من بعض قيادات الحركة الوطنية في العالم العربي والحقوقيين فيها بهدف الاستيلاء على الحركة الوطنية واستبعاد « اليسار » منها ومحاولة وضع اليسار في نفس معسكر « الاستعمار » « مقالات الريماوي وأحمد بها الدين وعبدالصبور في مجلة روز اليوسف » ثم أوضح الدكتور : « **ان اليسار في العالم العربي قوة وطنية ضخمة يعتد بها . وهذه**

القوة موجودة بصرف النظر عن رغبات الاساتذة : الريماوي وأحمد بها الدين وصلاح عبدالصبور وكل محاولة للنضال من أجل الاستقلال الوطني مع تجاهل اليسار كطرف من أطراف الوحدة الوطنية لن تؤدي الا الى أوخم العواقب على الحركة الوطنية ذاتها وعلى الذين حاولوها.»

وفيه مقال عن جوليوكوري العالم الفرنسي ، ورئيس مجلس السلم العالمي ، بقلم الدكتور جورج حنا . وفي المقال ينقل الكاتب عن كوري : « نحن العلماء نقف اليوم أمام مسؤولياتنا . اننا نعتقد ـ وبحق ـ أن تشويه رسالة العلم يجب أن يقاوم ، وبوسع العلماء أن يقاوموه . ان العلماء لا يريدون أن يتآمروا مع الانظمة الاجتماعية الفاسدة التي تحاول استثمار نشاطهم العلمي لغايات مريبة . ان العلماء لا يريدون ولا يجوز لهم أن يقبعوا في أبراج عاجية ويعزلوا أنفسهم عن الحياة العامة . ان عليهم أن يعملوا كما يعمل غيرهم ويضعوا انتاج اكتشافاتهم العلمية في خدمة الشعب . »

وكان كوري أول العاملين بقوله . وقد جازته حكومته على اخلاصه للعلم باقالته من رئاسة لجنة الطاقة الذرية ، ورفضت بريطانيا أن يدخل أرضها ؛ فزاده ذلك ايمانا برسالته .

وفي العدد مقالات أخرى كلها قيم ومفيد « الاسلحة النووية » : انطون ثابت . كفاح الشعب اللبناني : يوسف خطار الحلو . وغيرها .

* * * *

الآداب

بيروت ـ لبنان ـ عدد كانون الثاني ـ ١٩٥٩ .

في هذا العدد تعرض المجلة صورة لمؤتمر الادباء الرابع الذي انعقد في الكويت ، وتعرض ملاحظتين : الاولى ما ظهر فيه من « المهاترة » والثانية ما يتعلق بالتوصيات ، وأشارت الى أنها توصيات مهمة اذا نفذت . أما الملاحظة الاولى فقد أبقتها غامضة ، ولم تجرؤ أن تضع فيها النقط على الحروف ، وتعين «الاعور» ونحن مع المجلة في تساؤلها: « فاذا لم يجد الادباء صعيدا يتناقشون حوله ويتفاهمون على أساس من العقل والمنطق والفكر فمن هم الذين يجدون مثل هذا الصعيد ؟ » ولكن ذلك لا يكفي . وقد ظهر من البيان الذي أذاعه الوفد العراقي ،

ونشر في العدد الاسبق من الثقافة الجديدة **ان الجو العام للمؤتمر كان واقعا تحت روح تخريبية تحاول أن تشوه موقف العراق بالذات. ولم تجرؤ المجلة أن تعين اولئك المخربين .**

وفي العدد قصيدة لسليمان عيسى بعنوان : « للمأساة آخر » والقصيدة في ذكرى اللواء الذي سلبه الاتراك بمعونة الاستعمار . وقد جاء فيها :

بغداد قلعتنا ... وطيف موكب الهجناء عابر

ونحن نقول للشاعر وللمجلة أيضا : ان بغداد قلعة العروبة العالية ولو تهجم على علوها التافهون وستبقى عالية الى الابد . أما الذين يسميهم الشاعر « هجناء » فهم الذين دكوا عروش الطغاة ، وأنزلوهم الى الهاوية. وكل جريمتهم أنهم يؤمنون بالشعب ، ويؤمنون بأنه مصدر السلطات وأنهم يحتمون به ويحمونه في الشدائد . **ويؤمنون أيضا بأن الشعب لا يستطيع أن يبدع الا في ظل الحرية .** بينما أصحاب العروبة الصافية ـ ومنهم شمعون الذي كان يسمي عروبته صافية ـ يكفرون بهذه الحرية ، ويرون **أن الشعب لايزال طفلا** ، وأنه يجب أن يتلقى الوحي من « الابطال » وعليه أن يخرس اذا سمع رأيا لا يعجبه . فاذا ناقشت أصحاب « الصفاء » فأنت « هجين » وبورك المنطق العميق . !

وفيه قصيدة لنازك الملائكة بعنوان : « نحن وجميلة » ـ والمقصود جميلة بوحيرد ـ ومطلعها :

جميلة ! خلف المسافات ، خلف البلاد ؟
وترخين شعرك ، كفك ، دمعك فوق الوساد ؟
أتبكين أنت ؟ أتبكين جميلة ؟

وغريب هذا التشويه لحقيقة جميلة التي لم تضحك فقط حينما تلي عليها « حكم الاعدام » وانما قهقهت .. ضحكت بملء روحها حتى قال لها القاضي : « لا تضحكي ! ان الامر خطير » فأجابته : « ولكنه عليكم أخطر » **فعلى الذين يتحدثون عن جميلة أن يفهموا هذه الروح الشامخة . وعليهم أن يعلموا بأن الشعر لم يعد « ألفاظا منمنمة » وحسب .**

وفي العدد بحوث كثيرة تستحق النقد ، وتستحق الوقوف ، ولكن المجلة لا تتسع لذلك .

لقد قدر القراء غنى الافكار التي يعرضها الاستاذ عزيز الحاج في كتابه « ثورتنا » . فقد نفدت طبعته الاولى (١٠٠٠٠) نسخة في أيام قلائل ، واليوم يسر دارنا ان تعلن لمحبي أدب الاستاذ « الحاج » الرفيع انها ستصدر الى الاسواق قريبا طبعة « دار الفكر الجديد » اللبنانية لهذا الكتاب .

طباعة أنيقة * ورق أبيض * اخراج جميل

وبين القراء والاثر الرائع الاخر للاستاذ « عزيز الحاج » « القوميـة العربيـة والديمقراطيـة » أيام قلائل . فنلفت انظارهم اليه .

والبلاد مقبلة على اصلاحهـا الزراعي ، وتطمين الارض للفلاحين ، رأت دارنا انه من المفيد ان تضع بين يدي القراء العراقيين وثيقة علمية دقيقة عن أكبر تجربة للاصلاح الزراعي شهدتها قارتنا « اسيا » ، تلكم هي تجربة الاصلاح الزراعي في الصين الشعبية .

وبعد ايام ستصدر الى الاسواق الترجمة العربية لقانون الاصلاح الزراعي الصيني .

كتاب لا يمكن للمثقف والمعني بالابحاث الاجتماعية ان يستغني عنه مطلقا .

دار بغداد ـ ساحة الوثبة ـ عمارة الخضيري

تلفون ٧٦٤١

مكتبة المثنى - قاسم محمد الرجب

بغداد - شارع المتنبي - تلفون ٨٣٥٨٨

أوسع مؤسسة ثقافية لنشر الكتب في البلاد العربية

وكلاء دور النشر التالية :

* دار بيروت - بيروت
* دار صادر - بيروت
* دار اليقظة العربية - دمشق
* مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
* دار المعارف - بيروت
* مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة
* المكتبة الهاشمية - دمشق
* دار الفكر - القاهرة
* المكتب التجاري - بيروت
* دار الكتب الحديثة - القاهرة
* مكتبة الخانجي - القاهرة
* مؤسسة المطبوعات الحديثة - القاهرة
* وغيرها من دور النشر والمكتبات

هذا بالاضافة الى انها المكتبة العربية الوحيدة التي لها عملاء ووكلاء لنشر الكتب العربية في مختلف الاقطار الاوربية والامريكية .

اقرأ واشترك في

المثقف

مجلة الطليعة الواعية • المجلة التي تقدم لك خيرة ما ينتجه الفكر الانساني الحر • المجلة التي تتظافر جهود كبيرة لاخراجها وتقديمها لك •

صدر العدد الاخير منها قبل ايام قلائل •

متعهد التوزيع ـ دار الاهالي ـ بغداد

مكتبة النهضة

عبدالرحمن حسن حياوى

شارع المتنبي ـ تلفون ٨٧٨٦٤

المكتبة الفتية التي بدأت أعمالها مع انبثاق ثورة ١٤ تموز الخالدة ، والتي تقدم لك المختارات من المجلات والكتب التقدمية التي تصدر في مختلف الاقطار العربية ، الى جانب تبنيها حركة التاليف والترجمة والنشر بنطاق واسع داخل الجمهورية العراقية •

وثائق
ومذكرات

نص خطاب الاستاذ أبراهيم كبه وزير الاقتصاد الذي القاه في المجلس الاقتصادي العربي المنعقد في القاهرة مؤخرا ·

سيدى سيادة الرئيس المحترم
حضرات الاخوان الافاضل

باسم الجمهورية العراقية الفتية ، باسم حكومتها الوطنية الثورية ، وباسم شعبها البطل الجبار ، باسم المثل القومية والديمقراطية التى تشرب بها ، وباسم الدمـاء الزكية التى اراقها ، باسم الانتفاضات الشعبية التى قادها والمعارك التحررية التى خاضها ، باسم ثورة ١٤ تموز الخالدة ارحب بوفودكم وابارك جهودكم ومساعيكم واتمنى للجميع النجاح التام والفوز المبين ·

* *

تتعرض بلادنا العربية اليومالى مؤامرات استعماريةمشتدة مصوبة بالدرجة الرئيسية نحو طليعة الكفاح العربي التحررى ، المتمثل بالجمهورية العراقية والجمهورية العربيـة المتحدة · والاستعمار يدرك انه اذا استطاع ضرب هذه الطليعة هان عليه بعد ذلـك ان يبسط طغيانه على الامة العربية كلها · وخطة الاستعمار في الظرف الراهن تقوم على زرع بذور الجفوة والخصام بين الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، بأمل احداث صدع كبير يستطيع من خلاله اختراق الجبهة العربية المتحررة وتسديد ضربة للجمهوريـة العراقية وضربة اخـرى للعربية المتحدة وبالتالى اعـادة سيطرته الاسـتعمارية على العالـم العربى برمتـــه ·

ان الاستعمار يدرك ان التضامن العربي قد كان الضمانة الاساسية في الانتصارات التي حققتها مصر في سياستها القومية التحررية وأخصها رد العدوان الثلاثي الآثم،كماكان الضمانة في وقاية سورية من العدوان والمؤامرات وكـان بالتالى عاملا جوهريـا في احباط خطط الاستعمار العدوانية التى اتخذت في اعقاب انتصار الثورة العراقية · وواضح ايضا ان هذا التضامن قد لعب دوره في اجلاء جيوش الغزو عن لبنان والاردن وابلاغ ثورة لبنان الشقيق نتيجتها المنطقية ، كما لعب دوره في احباط مفعول مبدأ ايزنهاور وتقويض اركان حلف بغداد وتأمين الفعالية الكفاحية لثورة الجزائر وعمان ·

والاستعمار الذى ادركويدرك خطر التضامن العربى علىمصالحه ومشاريعه العدوانية والدور الذى يلعبه هذا التضامن في الانتصارات التى تحرزها القومية العربية يعمل الآن بكل ما يملك من اساليب ووسائل لحل عرى هذا التضامن وتقويضه · وهو لهذا الغرض يستهدف ـ كما بينا ـ طليعة الكفاح العربى ، المتمثلة بالجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة ·

ويبدو الآن واضحا ان المرحلة الاولى من خطة الاستعمار ترمىمبدئيا الى عزل العراق عن حظيرة التضامن العربى وذلك عن طريق تاليب الراى العام العربى عليه والتشـكيك بسياستة القومية التحررية وبالتالى اعداد الذرائع للتامر على نظامه الوطنى الديمقراطى·

والاستعمار في مسعاه هذا يعمل بمثابرة عجيبة على تحويل انظار الشعوب العربية عن عدوها الرئيسى المتمثل بالاستعمار والصهيونية ، ومن يلوذ بهما من اعوان واذناب وتوجيهها صوب العراق ـ باعتباره قد اصبح مبعث « الخطر »علىالحركة القومية العربية·

ومن اجل بلوغ هذا الهدف تبذل المساعي الاثمة للتقليل من اثر النتائج الايجابية الحاسمة للثورة العراقية على الحركة القومية التحررية ـ رغم ان ثورة العراق المجيدة كما هو واضح قد دكت بضربة ماهرة امنع حصن من حصون الاستعمار والرجعية في الشرق العربي ، وقوضت اخطر مركز من مراكز الكيد والتامر والعدوان ضد القومية العربية والبلدان العربية المتحررة • وثورة العراق كما يراها كل منصف ردت العراق عمليا وبقوة عظيمة الى الطريق العربي المتحرر ، وقد تمثل ذلك بجلاء في مبادرة حكومة الثورة الى سحب القوات العراقية من لبنان والاردن • والاعلان عن وقوف العراق الى جانب الحركة التحررية في هذين البلدين الشقيقين • وكل بلد عربي مكافح وكذلك مبادرة العراق الى عقد اتفاق عسكري مع الجمهورية العربية المتحدة ـ اعقبه بعقد اتفاقية الوحدة الثقافية ، واتفاقيات التجارة والتعاون الفني والتكامل الاقتصادي • ولم يقف العراق عند هذا الحد وانما سارع عمليا الى ازالة كل العقبات التي كانت تحول دون تحقيق امتن عرى التضامن العربي ـ ولاسيما بين العراق والجمهورية العربية المتحدة • وقبل ان تبدأ حكومة الثورة بالاقتصاص من طغاة العهد البائد الذين اذلوا الشعب العراقي وارهقوه بالاذى والمظالم ، عمدت قبل كل شيء الى فضح السياسة المعادية للقومية العربية ، التي كان ينتهجها العراق ، ووضعت الاستعمار واحلافه وزبانيته في قفص الاتهام ، وانزلت بهم الاحكام الرادعة جزاء تامرهم الاجرامي ضد سورية ومصر والاردن ، وجزاء كيدهم الدنيء للجمهورية العربية المتحدة وسياستها وقادتها ، ولم يقف العراق عند هذا الحد وانما بادر الى تقديم العون للجزائر البطلة المكافحة ، فاعترف فورا بحكومتها الثورية وقطع جميع علائقه الاقتصادية والتجارية مع فرنسا المستعمرة ، ومد يد العون الى شعب عمان الشقيق واحتج اشد الاحتجاج على المؤامرة الاستعمارية في البحرين ، واكد مرة بعد اخرى على لسان قائده الزعيم عبدالكريم قاسم على ان العراق جزء لاينجزأ من الامة العربية وان العراق مرتبط بامتن عرى التضامن والتاخي مع البلدان العربية الشقيقة وانه سيقدم دون مقابل كل مابوسعه من عون لاشقائه العرب • وهذا ايضا ما اكده الدستور الموقت واعرب عنه المسئولون من قادة الثورة ورجال الحكم وأكدته بالقول والعمل كل القوى الوطنية والشعبية في العراق •

ان راية القومية العربية المتحررة ترتفع خفاقة في العراق والعراق الثائر يندفع قدما في طريق التحرر العربي ويشغل بجدارة موقعه التاريخي في صفوف الطليعة المقدامة للحركة العربية المتحررة •

رغم كل ذلك ورغم قصر المدة التي ينصرف فيها الجهد لترميم الوضع الداخلي الذي افسده الحكم البائد نجد الاستعمار يجند ابواقه وصحفه واذاعاته واعوانه للنيل من السياسة القومية التحررية التي ينتهجها العراق والتشكيك بجوهرها الوطني الديمقراطي وهو الذي كان بالامس يركز الجهد ذاته على سياسة مصر وسورية وبالتالي على سياسة الجمهورية العربية المتحدة وقائدها الرئيس جمال عبدالناصر •

ان هذه الضوضاء المسعورة حول « مروق العراق » او « خروجه عن جادة القومية العربية » ليست في جوهرها ومغزاها الا مكيدة استعمارية هدفها دق اسفين في جبهة التضامن العربي وحل عرى وحدة الكفاح العربي ضد الاستعمار والصهيونية • ان هذه المكيدة ينبغي ان تبعث في نفوس العرب حيثما كانوا الحذر واليقظة وتدفعهم الى المزيد من التضامن ورص الصفوف •

وعراق الثورة الذى اعلن منذ البداية تمسكه بسياسة الحياد الايجابى وانتهاج سياسة التعاون الدول المتكافىء ، قد سلك في الواقع ذات الطريق الذى سارت فيه مصر وسورية من قبل ، وبالتالى الجمهورية العربية المتحدة • ان الدعاية التى تثار حول سياسة العراق الخارجية تستهدف زرع بذور الشك بين العرب وتمزيق جبهة الكفاح العربي • ان العراق اذ ينتهج سياسة الحياد الايجابى ويأخذ بمبادىء باندونغ والتعاون الدول المتكافىء ينطلق في ذلك من المبدأ القائل : نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا آخذا بنظر الاعتبار مصلحته الوطنية والقومية ، ساعيا جهده لكي يوفر لثورته ولحركة التحرر العربي مستلزمات الانتصار في الكفاح ضد الاستعمار والمساهمة في اعداد شروط التقدم والازدهار للامة العربية •

ان حكومة الثورة اذ تعمل بمثابرة وداب على تصفية التركة المثقلة بالشجون والمآسي التي خلفها العهد البائد المندثر تجد من اول واجباتها ان تحرر ارادة الشعب وان ترد له حقوقه • وما لم يدخل الشعب الى معركة البناء طليق اليدين من الاغلال •• حر العقل والارادة لا تستطيع الثورة ان تفلح في تحقيق اهدافها •

ان هذا هو ما تفعله حكومة الثورة في العراق في عهد الانتقال • فهي تتخذ كل الاجراءات المناسبة لتحرير ارادة الشعب ، مستهدفة من ذلك التعرف على ارادته الحرة في اصطفاء نوع الحكم الذي يريده ، والسياسة التي يرتضيها ، وهي في الوقت نفسه تسلك سياسة الحزم ازاء الاستعمار واعوانه ، وازاء المتآمرين واعداء الثورة • اننا على يقين من ان هذه السياسة منسجمة مع روح وجوهر السياسة العربية التحررية ، التي ولدت وترعرعت في معمعان النضال ضد الاستعمار ومظالمه •

ان قوميتنا في العراق بخير ـ كما يراها ويلمسها ويعمل في سبيلها الشعب العراقي وحكومته الوطنية • ونحن في الظرف الذي يشن فيه الاستعمار هجومه علينا ويتفاقم فيه خطر المؤامرات على كياننا وقوميتنا العربية ، نرفع عاليا شعار التضامن العربي ضد الاستعمار ، ونتخذ كل التدابير لتعزيز وحدة الكفاح العربي ، فالخطر لا يتهدد العراق فحسب ، وانما يتهدد العالم العربي برمته ـ ولاسيما الجمهورية العربية المتحدة • اننا في هذا الظرف الدقيق الذي تمر به امتنا ندعو الى مزيد من اليقظة ازاء دعايات الاستعمار وتهويشاته ، التي تستهدف النيل من سياسة العراق وحكومته الوطنية وندعو الى تعزيز الكفاح ضد الاستعمار ورص الصفوف العربية •

* *

ايها السادة

ان القومية العربية مثل سائر القوميات لابد ان تسلك سبيل تطورها التاريخي المعتاد • وكما توحدت امم كثيرة ستتوحد امة العرب • تلك مسالة هي في عداد الحقائق الموضوعية التي تشق طريقها الى الامام بفعل القوى الاقتصادية والاجتماعية وبمعزل عن الاهواء والنزوات • وهي بهذا الوصف لا يمكن ان تكون موضوعا للجدال او النقاش او النظرة الضيقة •

ان الحركة القومية العربية هي حركة العرب اجمعين • ولذلك فهي تهم كل عربي يقطن العالم العربي الوسيع الممتد بين الخليج والمحيط • وهذه الحركة مثل اية حركة

تاريخية مماثلة محكومة بشروطها الموضوعية التي ينبغي ان تؤخذ بنظر الاعتبار اثناء العمل على حث السير لهذه الحركة وابلاغها اهدافها الاساسية ٠

من المعلوم ان الاجزاء المختلفة من العالم العربي لا تعيش في ظروف متماثلة ، فلكل منها ظروف خاصة نشأت من التجزئة المصطنعة التي فرضها الاستعمار على الامة العربية ٠ ولهذا السبب تطورت البلدان العربية تطورا غير متناظر سواء في اوضاعها السياسية والاجتماعية أو في اوضاعها الاقتصادية والثقافية ٠ وليس ثمة من حاجة للتدليل على هذه الحقائق المعروفة للجميع ٠ ان هذا التباين ليس من صنع العرب انفسهم الذين ظلوا دوما يطمحون الى الحرية والوحدة وانما هو حصيلة للتجزئة الاستعمارية التي فرضت على الامة العربية ٠ لكن هذا التباين في ظروف البلدان العربية المختلفة ليس شيئا متأصلا وطبيعيا وانما هو شيء عارض وموقت ٠ اما الشيء الاصيل الذي يحتفظ بشروط البقاء والتطور ، فهو الخصائص القومية للامة العربية ، وهي التي اخفقت كل جهود الاستعمار ومساعيه لطمسها أو عرقلة نموها ٠

فمن اجل معالجة قضية توحيد الامة العربية معالجة صائبة ، ينبغي عدم اللجوء الى تبسيط هذه القضية الى حد تجاهل الظروف الخاصة للبلدان العربية ٠ ان عملية توحيد الامة العربية هي عملية مركبة تعيش في ظروفها الموضوعية الخاصة ٠ ولذلك فان حل هذه المسالة ينبغي أن يستند الى هذه الظروف بالذات ٠ والواقع الذي تعيش فيه امتنا العربية المجزأة يدل على ان سير البلدان العربية نحو الوحدة لن يكون متناظرا من حيث الزمن كما يدل على أن الشعوب العربية ستسلك في طريقها نحو الهدف سبلا متباينة لا سبيلا واحدا فقد تنضج بين بلدين أو اكثر من البلدان العربية ظروف تستدعي قيام نوع معين من الارتباط كما تنضج بين بلدين اخرين أو اكثر ظروف تستدعي قيام نوع اخر من الارتباط ٠ ان تأسيس هذه الارتباطات التي تاخذ بنظر الاعتبار الظروف الخاصة بهذه البلدان هو رصيد ايجابي في حركة الوحدة العربية ، وفضلا عن ذلك فان هذه الارتباطات ليست اشكالا مؤبدة ، وانما هي وسيلة لتيسير بلوغ الهدف شانها شان الروافد المختلفة التي ينتهي مجراها أخر الامر لتصب في النهر الكبير ٠

ان تناولنا لهذه المسالة على هذه الصورة من الادراك الواقعي سيجنبنا الكثير من المزالق والوقوع في الخطأ ، كما سيوجه نهجنا في السياسة القومية توجيها مثمرا صائبا يخدم قضية تضامننا الكفاحي ، ويجلب معه كل الخير للقومية العربية ٠ وبالعكس فان تناول المسالة على غير هذه الصورة لن يؤدي الا الى اثارة المتاعب وتاجيج الخلاف في معسكر الشعوب العربية وبالتالي زعزعة وحدة الكفاح العربي والسير في منهج لا يعود بالخير على الامة العربية ٠

ان معركتنا مع الاستعمار لم تنته بعد ٠ فالى جانب البلدان العربية الشقيقة التي تكافح ضد الاستعمار من أجل تحررها لا تزال ثمة بلدان عربية اخرى ترزح في أسر العبودية الاستعمارية انها معركة واحدة ٠٠٠ معركة الامة العربية ضد الاستعمار ٠ وفي الخط الاول من هذه المعركة تقف البلدان العربية المتحررة ـ الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة ـ والى هذه الطليعة العربية المقدامة يصوب الاستعمار رأس حربته كما بينا ٠ فالحفاظ على استقلال العراق والعربية المتحدة لا يزال في الظرف الراهن مهمة الساعة وضمانة الانتصار للقومية العربية المكافحة في شتى ارجاء العالم العربي ٠ ولذلك

يكون التفريط باستقلال اى منهما طعنة موجهة الى قلب القومية العربية وخسرانا فادحا لقلعة حصينة من قلاع الكفاح العربي ضد الاستعمار ٠

ان طريق العرب الى وحدتهم القومية هو طريق وحدتهم في الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية هو طريق تضامنهم في الحفاظ على قلاع الكفاح التى انتزعوها من يد العدو والتى يستطيعون منها تصويب النار ضد هذا العدو ٠

ذلك هو الطريق الوحيد ٠ وتلك هى المهمة الاساسية التى تواجه العرب في كل مكان٠

اما الارتباطات العربية فينبغي ان يسار اليها وان تحدد ـ على ضوء الظروف ـ افضل واجدى اشكالها بالاساليب الديمقراطية المالوفة ، وان تقرر في نهاية الامر على ضوء المصلحة القومية وبالاستناد على ارادة الشعب الحرة ٠

على هذا النحو يعمل العراق حكومة وشعبا ، وفي هذا الاتجاه تسير الجمهورية العراقية باتزان واقدام ٠

على ضوء ما تقدم من تبيان لظروف التطور غير المتناظر لمختلف البلدان العربية نستطيع ان نحدد الموقف الصائب من جميع المسائل المطروحة على هذا المؤتمر وفي مقدمتها الدعوة الى السوق العربية المشتركة ٠

ان تحقيق هذه السوق المشتركة باكمل اشكالها مرتبط ببلوغ ارتباط سياسى ديمقراطي للبلدان العربية المتحررة يأخذ بنظر الاعتبار ظروف هذه البلدان ومصالح مختلف فئات المجتمع العربي ولاسيما الجماهير العربية الغفيرة ٠ وبدون مسعى اولى لرفع مستوى البلدان العربية المتخلفة اقتصاديا وتقليص التفاوت بينها وتحقيق حد ادنى من الكفاءة والاكتفاء الذاتي لهذه السوق لا يمكن التعويل على بلوغ نتائج ايجابية ملموسة من تكوين هذه السوق ٠ وطبيعي ان هذا لا يمكن ان يتحقق ما لم تنشأ الصناعة الوطنية الثقيلة والخفيفة حيثما وجدت الظروف الملائمة لانشائها وما لم تحرر التجارة والاقتصاد والعملة من القيود الاجنبية ويجرى التخلص من تحكم الاحتكارات الاجنبية وما لم يصف الاستثمار الاقطاعي تصفية نهائية وتؤسس علائقنا التجارية والاقتصادية مع الدول الاجنبية على اساس النفع المتبادل ٠

اما السبيل الى تحقيق الحد اللازم من التناظر الاقتصادى فهو اقامة اوسع العلائق التجارية والاقتصادية وتبادل العون المالى وتقديم القروض والخبرة الفنية لكى يستطيع البلد الاقل تقدما بلوغ مستوى معين يؤهله للمشاركة في هذه السوق وفق ظروف عادلة ٠ وعند ذلك يمكن ان تقام هذه السوق على اسس نامية وطيدة تضمن مصالح الاقطار العربية المشتركة فيها وتؤمن النفع لمختلف ابناء الشعب ٠

وطبيعي ان هذه الاتفاقات التى ندعو اليها ليست الا خطوات في الطريق الى السوق المشتركة الموحدة المتكاملة ماخوذة على ضوء الواقع الذى تمر به امتنا ٠ وهى لذلك عرضة للتطور ولمسايرة الخطوات التى تتخذ على صعيد الارتباطات السياسية التى تحدد افضل واجدى اشكالها على ضوء الظروف ـ طبقا لمقتضيات المصلحة الوطنية والقومية وبالاساليب الديمقراطية المالوفة ٠

تلك هى تقديراتنا الواقعية للوضع وعلى ضوئها ترسم سياستنا القومية التحررية وندعو لها ونعمل من اجلها ٠

واننا لواثقون ثقة اكيدة من اننا نسير بثبات في طريق القومية العربية • ونحن مقعمون عزما على المضى في هذه السياسة وعلى السير قدما في الموكب العربي التحرري الظافر ـ علما باننا نخدم بذلك وعلى الوجه الافضل شعبنا وامتنا العربية • ونعمل على اعلاء راية القومية العربية فوق ربوع الوطن العربي الكبير •

●

مذكرة تفسيرية لحكومة الجمهورية العراقية حول الدعوة لقطع العلاقات الاقتصادية مع فرنسا المستعمرة

(١)

للسوق الاوربية المشتركة والاتفاقيات الاخرى المكملة له دلالتان الاولى ضعف الاقتصاد الاوربي والثانية استنفاد الامكانيات الذاتية للقضاء على هذا الضعف واللجوء الى طرق استعمارية لمعالجة ازمة الاقتصاد الاوربي •

ولا شك ان آثار هذه السوق ستنعكس على البلاد الافريقية الاسيوية بصورة مباشرة او غير مباشرة وستتراوح هذه الاثار قوة وضعفا حسب مركز كل بلد وارتباطاته الاقتصادية العالمية •

ومن البديهي ان البلاد العربية هى من جملة البلاد التى ستحاصر اقتصادياتها بشكل من الاشكال نتيجة للسوق الاوربية المشتركة ويجب ، تجاه هذا الوضع ، اتخاذ تدابير عربية مشتركة لتلافي هذه الاثار ولاضعاف هذه السوق ذاتها • وقد انشغلت الدوائر الاقتصادية العربية• بدراسة هذه التدابير المشتركة كما تبلورت هذه الدراسة بتوصيات مختلفة ينصب اغلبها على صب ارتباطات الدول العربية الاقتصادية بشكل آخر • وهو امر طبيعي زاد في تسريعه رد الفعل الذى احدثته السوق الاوربية المشتركة •

ونحن نعتقد في نفس الوقت بانه من الممكن ان تتخذ اجراءات ايجابية معاكسة يمكن ان تضرب السوق مباشرة وذلك عن طريق اضعف حلقات هذا السوق وهى فرنسا • اما عناصر ضعف هذه الحلقة فهي :

اولا ـ الوضع الاقتصادي السيء الذى تعاني منه فرنسا بسبب حربها مع الجزائر وبسبب فشل العلاجات الاقتصادية المتخذة لتلافي هذه الازمة • وليس هناك اصرح دلالة على ذلك من تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي واطلاق حرية الاستيراد من الولايات المتحدة بشروط معينة كل ذلك بعد ابرام اتفاقية السوق المشتركة مما يؤكد قابلية الاقتصاد الفرنسي للتاثر بكل تدبير يتخذ لاضعافه •

ثانيا ـ ان فرنسا من اكبر الدول وانشطها في بناء هذا السوق لذلك فان اى اثر سيىء في اقتصادياتها سينعكس بصورة مباشرة على وضع السوق الاوربية وعلى وضع الدول المرتبطة فيه مما سيعرقل تطور هذا السوق ان لم نقل بان ذلك سيقضى اعادة النظر في هذا التدبير الاستعمارى •

ثالثا ـ ان تقبل البلاد العربية لتوجيه التدبير ضد فرنسا مباشرة كبير جدا •

فرنسا لازالت تقترف ابشع الجرائم في الجزائر وتمد عمر استعمارها بدماء شهداء الجزائر الاحرار . وفرنسا كانت من الدول الثلاث التي مهدت للعدوان الثلاثي على مصر الشقيقة وساهمت في تدبيره وتنفيذه . وفرنسا كانت ولازالت من الدول التي تعاضد اسرائيل (صنيعة الاستعمار وعدوة القومية العربية) بكل الامكانيات والارتباطات الاقتصادية . هذا بالاضافة الى ان فرنسا من اهم الدول التي اوجدت السوق الاوربية المشتركة .

(٢)

فاتخاذ تدبير ايجابي مباشر ضد فرنسا سيكون له اكبر الاثر في احباط مؤامرة السوق الاوربية المشتركة على اسواقنا واقتصادنا .

وليس ادل على تقبل اوساطنا الاقتصادية العربية لهذا التدبير من الفقرة السادسة (القرار السابع) من مقررات الدورة الثالثة لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية المنعقد في القاهرة ما بين ٦ و١٣-١٢-١٩٥٨ والتي تنص على ان المؤتمر (يدعو الغرف التجارية والصناعية والزراعية للبلاد العربية الى مقاطعة السلع الفرنسية)

هذا مع العلم ان الجمهورية العراقية قد استبقت هذه الحوادث فقرر مجلس وزرائها بتاريخ ٢-١١-١٩٥٨ بان تكون سائر المعاملات الاقتصادية بين العراق وفرنسا بحكم المقاطعة وبالرغم من جراة هذا القرار فاننا نعتقد ان اتخاذه على انفراد سيعطل استثمار النتائج وتسارعها لذلك ترى الحكومة العراقية ان الواقع والواجب يقضيان بان تتخذ دول الجامعة العربية موقفا اقتصاديا موحدا تجاه فرنسا وذلك بقطع العلاقات الاقتصادية لدول الجامعة العربية بفرنسا تماما وبذلك كون قد سلكنا الى مواجهة آثار السوق طريقين . الاول عن طريق تطوير اقتصادنا حسب اوضاعنا وعلاقاتنا والثاني عن طريق العمل الايجابي باتخاذ موقف موحد تجاه فرنسا او اية دولة اخرى من دول السوق الاوربية المشتركة .

●

مذكرة الحكومة العراقية
حول عقد اتفاقية لشؤون البترول بين البلاد العربية

من المعلوم ان شركات البترول العاملة في البلاد العربية ترتبط فيما بينها بمصالح مالية واقتصادية معقدة ومتشابكة وهي ان تنافست فيما بينها في حدود معينة في الظاهر الا انها موحدة السياسة تجاه الحكومات العربية التي تمارس نشاطها في اراضيها .

اما الدول العربية ذات العلاقة فيبدو انها تنتهج سياسات منفردة ازاء تلك الشركات الامر الذي عاد عليها باضرار مختلفة ومصاعب كثيرة لتفرق كلمتها .

وبناء عليه فان الحل لهذه المشاكل يتمثل في عقد اتفاقية بين الدول العربية تحدد

بموجبها الخطوط العامة لسياسة استثمار الموارد البترولية سواء اكان ذلك بصوره مباشرة عن طريق الاتفاق بين الحكومات أو بصورة غير مباشرة عن طريق توحيد المبادئ الاساسية لعقود الامتياز التي تحكم العلاقات بين الحكومات والشركات ٠

لذا فان الحكومة العراقية تقترح بحث هذا الموضوع في المجلس الاقتصادي في دورته الحالية باضافته الى جدول الاعمال ليتسنى دراسة امكانية تشكيل لجنة من خبراء قانونيين وفنيين واقتصاديين لوضع مشروع للاتفاقية المقترحة في ضوء الاقتصاد البترولي في البلاد العربية وما حدث من تطورات جديدة في علاقات شركات البترول بالبلدان المنتجة ولا ترى الحكومة العراقية بأسا من الاستعانة بخبراء اجانب في هذا الشان اذا ما دعت الحاجة الى ذلك ٠

* *

مذكرة تفسيرية لحكومة الجمهورية العراقية حول الاستثمارات الالمانية في اسرائيل

اشارت نشرة مكتب الوفد الدائم للجامعة العربية في بون الى المحاولات الجارية لاستغلال رؤوس اموال المانية في اسرائيل والى مدى تاثير هذه الاستثمارات على المقاطعة العربية التي ربما ستكون اكثر تاثيرا من اتفاقية التعويضات في تقوية اقتصاديات اسرائيل والى ان هذا الاتجاه الجديد سوف لا يلقى اية معارضة من الشعب الالماني وتشير المذكرة كذلك الى الخوف من ان تتحقق هذه السياسة الجديدة كما تحققت التعويضات دون ان تتخذ البلاد العربية الاجراءات التي تحقق مصالحها ٠ ولذلك اقترحت الحكومة العراقية بحث هذا الموضوع في المجلس الاقتصادي بدور اجتماعه الخامس لاتخاذ موقف موحد للدول العربية تجاه المانيا الغربية ٠

ان الحكومة العراقية تعتقد ان هذا الاتجاه هو امتداد لسياسة تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي من قبل المانيا تحت الضغط الامريكي وتشير بهذه المناسبة الى زيارة الوفد الاقتصادي الالماني الى اسرائيل سنة ١٩٥٧ واجتماعه بوزير ماليتها لبحث وسائل توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين المانيا واسرائيل خارج نطاق التعويضات الالمانية وبحث امكانية توظيف رؤوس اموال المانية في مشاريع الاعمار الاسرائيلية فيها كاجراء يحل محل التعويضات الالمانية عند انتهاء موعدها ٠٠

وغني عن البيان ما للتعويضات الالمانية من اهمية كبرى في دعم اقتصاد اسرائيل لا سيما بتزويدها بالمواد الاستراتيجية التي من شانها تقوية جهازها العسكري العدواني٠ وقد صرح مؤخرا رئيس البعثة الاسرائيلية في المانيا الدكتور (شنياز) بان اسرائيل قد استلمت بضائع وسلع تبلغ قيمتها ٤٠٠ مليون دولار كان قسما كبيرا منها مواد ستراتيجية وناقلات وبواخر من السهل تحويلها للاغراض الحربية وتشير التقارير الى انه ستبلغ حمولة الاسطول الاسرائيلي خلال الخمسة سنوات القادمة ٦٠٠ الف طن على حساب التعويضات وسيكون من ضمنها بالاضافة الى الباخرة (هارتابور) التي سلمت مؤخرا الى اسرائيل سبع بواخر اخرى ستستلمها اسرائيل خلال هذه السنة ٠

ان الحكومة العراقية اذ تطلب بحث الموضوع من قبل المجلس الاقتصادي تود ان تشير الى ان من جملة وسائل الضغط التي تستطيع الدول العربية اتخاذها تجاه المانيا الغربية هي :

١ ـ ان يطلب من المانيا الامتناع عن اجراء اي اتفاق من شانه ان يؤدي الى تشجيع استثمار رؤوس اموال في اسرائيل ٠

٢ ـ مطالبتها بعدم اتباع سياسة تمييز في الاستثمارات الخارجية لرؤوس الاموال من شانها ان تساعد اسرائيل في استغلال رؤوس اموال المانيا لديها ٠

٣ ـ وفيما يتعلق بالتعويضات الضغط عليها لاستعمال حقها المنصوص عليه في الفقرة (ح) من المادة ٦ من اتفاقية التعويضات لتعديل قائمة البضائع من المجموعات (١ و ٢ و ٣)

٤ ـ استعمال حقها المنصوص عليه في المادة (١٠) من الاتفاقية بتعديل مبالغ الاقساط السنوية الواردة في المادة (٥) ٠

٥ ـ بحث الاجراءات التي يجب ان تتخذ في حالة عدم استجابة المانيا ومن ضمنها مقاطعة الشركات والمؤسسات الالمانية اقتصاديا ٠

* ● *

ممثلون من النقابات والمنظمات يستنكرون الحملة الظالمة ضد الجمهورية العراقية الدمقراطية ٠

وجه ممثلون من نقابات المحامين وذوى المهن الطبية والمعلمين والهيئة المؤسسة لنقابة المهندسين واتحاد الادباء العراقيين وجمعية الخريجين المذكرة التالية الى رئيس الجمهورية العربية المتحدة :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ـ رئيس الجمهورية العربية المتحدة ٠

باسم النقابات ومنظمات الادباء والمثقفين ٠٠ نحن الموقعين ادناه نرفع اليكم هذه المذكرة ٠

قام الشعب العراقي بكفاح بطولي لمدة سنين طويلة فى سبيل الاستقلال والديمقراطية ولقد ظهر جليا صمود شعبنا لتحقيق اهدافه منذ ثورة العشرين قبل حوالي ٤٠ عاما وظهر كذلك تمسك الجماهير العراقية بالوحدة الكفاحية للشعوب العربية واسنادها وكان شعبنا العظيم يؤدي واجبه القومي احسن اداء في دعمه نضال الشعب المصري والسوري ونضال كل الوطن العربي ، ذلك النضال العتيد ضد الاستعمار واذنابه الرجعيين المحليين ، ونحن نعتبر كل حركة تحرر الشعوب العربية وحدة نضالية لا تتجزأ ، في كل زمان ومكان، وكل نصر تحققه الحركة هو في الحقيقة نصر لشعبنا في الوطن الكبير باسره وهذا هو سبب اعتزازنا وفخرنا بالانتصارات العظيمة في سوريا ومصر ومن بعد ذلك في

الجمهورية العربية المتحدة . لم يتخلف شعبنا العراقي ، بعربه واكراده ، عن ركب العروبة المتحررة ، وكان دائما في الطليعة يقاتل الاستعمار واذنابه ، وقد قدم التضحيات الجسام ، طواعية وشعورا بالمسؤولية التاريخية ، من اجل اهداف القومية العربية المتحررة صامدا في وجه الاستعمار العالمي وزعيمته الولايات المتحدة الامريكية ، رغم الارهاب الوحشي الاستعماري والمحلي الرجعي في العهد البائد . وقد بلغ نضال شعبنا مرحلة عالية بالغة الوعي والعنف بعد حلف بغداد العدواني وابان الاعتداء الثلاثي الغادر على مصر الشقيقة ، اذ استجاب العراق لنداء الواجب وخاض معارك مريرة قاسية ضد مؤامرات الحلف المشؤوم واذنابه : نوري السعيد وفاضل الجمالي وبهجت العطية ... وليس خافيا على احد دور شعبنا في القضاء على المؤامرات الامريكية الاجرامية على سوريا العزيزة حين ساهم مساهمة فعالة في كشفها واحباطها وجاءت ثورة ١٤ تموز الخالدة لتحرر شعبنا وتطيح بالحكم الاسود وتحطم السجن الكبير وكذلك لتنقذ لبنان الشقيق من مؤامرات حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور ولتوقف التهديدات الاستعمارية ضد الجمهورية العربية المتحدة ولتعزز حركة تحرر وطننا الكبير ولسلام العالم .

ان الواجب يدعو اشقاءنا لدعم جمهوريتنا الفتية والوقوف بجانبها ضد مؤامرات رونتري وهندرسن وحلف بغداد واذنابهم الرجعيين المحليين المتآمرين الذين ينشطون الان بجنون لخنق جمهوريتنا الديمقراطية والقومية العربية المتحررة ، والواجب يدعوهم لتوحيد الجهود لصيانة الجمهورية وصد الاستعمار العالمي عدونا وزعيمته امريكا ، والذي يعمل جادا على تفريقنا وتفتيت وحدتنا الكفاحية ومن المؤسف حقا ان تقوم بعض الجهات العربية بالتهجم على شعبنا وجمهوريتنا وقادتنا ومحكمة الشعب التي تنفذ ارادة الشعب بحق الخونة الجمالي وباش اعيان والمتآمرين الاخرين وبدل ان تكرس جهودها، كما كانت تعمل سابقا ، لفضح مؤامرات الاستعمار وحلف بغداد ، ولتعزيز وحدة الكفاح العربي والعالمي ، نجد تلك الجهات تختلق الاكاذيب والاشاعات ضدنا وضد ثورتنا الخالدة . ولكن جهاد شعبنا المتواصل ومواقفه البطولية المشرفة ومواقف قادته المخلصين لا يمكن طمسها بالخداع والاكاذيب ولا يمكن ان تنطلي الاحابيل على شعب الجمهورية العربية المتحدة في سوريا ومصر او شعب الجزائر او الجنوب العربي ..

ونحن ، تجاه ذلك ، لا يسعنا الا ان نستنكر اشد الاستنكار هذه الحملة الظالمة التي التقت مع الحملات الاستعمارية والاسرائيلية الصهيونية ، ونطالب بوقفها فورا ، والرجوع الى طريق مكافحة الاستعمار ، وتوحيد جهود الشعب والسير في جادة الصواب واطلاق سراح الفئات الديمقراطية في مصر وسوريا وتجنب ممارسة الارهاب الذي يتنافى والانسانية واساليب الحكم الديمقراطي وروح العصر ، والذى لا يمكن ان تقبله شعوبنا ، وخاصة بعد يوم ١٤ تموز الخالد .

اننا وطيدو الامل ان نداءنا هذا سيلقى استجابة سريعة من المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ، فيعملوا على تدارك الوضع لتوحيد الصفوف في العمل لتحرير الشعب العربي في مرحلتنا التاريخية الحاسمة ، وان مثل هذه الخطوة ستلقى ترحيبا حارا في وطننا العظيم .

ممثل نقابة المحامين المحامي صالح الشالجي وممثل نقابة ذوي المهن الطبية الدكتور احمد الجلبي وممثل الهيئة المؤسسة لنقابة المهندسين المهندس عبدالرزاق مطر وممثل نقابة المعلمين الدكتور صفاء الحافظ وممثل اتحاد الادباء العراقيين الدكتور صلاح خالص وممثل جمعية الخريجين الدكتور رحيم عجينة .

* ● *

نداء رجال الفكر والفن في العراق الى بعض الاخوان العرب

اذاع فريق كبير من حملة الاقلام في العراق نداء الى بعض الاخوان العرب جاء فيه ما يلي :

انا نحن الادباء والكتاب واهل الفكر والصحافة العراقيين ، نرى ان الكشف عن مواطن الخلاف الحقيقية ، لا المفتعلة المكذوبة، على جمهوريتنا هو الوسيلة الاجدى لادراك المصلحة القومية الصحيحة ولتمييز الطريق السليم الى الوحدة العربية .

نريد بهذا النداء ان نقول لاولئك الاخوان الذين عرفوا ـ من قبل ـ بمقارعة الاستعمار واستحقوا بذلك احترام انصار الحرية في كل مكان ، نقول لهم :

انا نختلف واياكم حقا في بعض الامور ، ولكن خلافنا ليس يدور ، كما تصورونه للناس حول حقيقة القومية العربية وشخصيتها التاريخية المتميزة او حول الحق المشروع والطبيعي والمنطقي للامة العربية في وحدتها الكاملة وفي حتمية هذه الوحدة بل هو اختلاف ينحصر في النقاط الاساسية التالية :

١ ـ الديمقراطية : اننا نرى في الديمقراطية الوجهة السليمة حقا طبيعيا لكل شعب عربي ونراه حقا مفروضا على كل حكومة وطنية عربية تجاه الشعب لان ذلك هو الضمانة الحقيقية لتطبيق مبدا كون « الشعب مصدر السلطات » تطبيقا عمليا وهو السبيل لتعبئة جميع الفئات الوطنية المعادية للاستعمار والاقطاع والرجعية والصهيونية .

ومن هنا نرى ، كما يرى شعبنا العراقي وقادة جمهوريتنا ، ان استبداد فئة دون سائر الفئات الوطنية بثمار الثورة ، وان كبت حريات الجماهير الشعبية ، واقامة جهاز السلطة على اسس تعسفية تخدم الفئة العليا من المواطنين وحدها ، نرى ان ذلك ليس من الديمقراطية بشيء . فالثورات انما تنتصر بقوى الشعب جميعها وانما تبقى وتتوطد كذلك بقوى الشعب جميعها . والجماهير الشعبية ليست مجرد اداة لانتصار الثورات بل هي تصنع الثورات لنفسها ، وينبغي ان تظل ارادتها حرة لتعميق الانتصارات التحررية التي تظفر بها الثورات .

على ان ثوراتنا العربية المنتصرة ما تزال تواجه مخاطر الاستعمار فهي ما تزال محتاجة اذن لتعبئة الجماهير العربية الشعبية . وذلك لا يتوافر الا بتوفير اوسع الحريات الديمقراطية لهذه الجماهير .

٢ ـ الاساليب المحققة للوحدة : اننا نرى ـ تبعا لما تقدم ـ ان الاساليب والاشكال التي تتحقق بها الوحدة العربية لا يجوز ، موضوعيا ، ان تنحصر في شكل واحد معين من اشكال الوحدة ، والا كان ذلك تحكما او احتكارا للعمل القومي . ولهذا نرى ان هناك طريقين اساسيين للوحدة ، احدهما هذا الطريق التحكمي الذي نعتقد انه مكتوب له الفشل .

والطريق الاخر هو الطريق الدمقراطي الذي يراعي اولا الظروف الموضوعية والمصالح المتميزة لكل جزء من اجزاء الامة العربية ؛ ويراعي ثانيا مصالح جميع الطبقات الوطنية في كل جزء منها ؛ ويراعي ثالثا جميع المصالح والحقوق لكل اقلية تحيا ضمن اي بلد عربي . وعلى هذا نرى ان اختيار احد البلدان العربية لهذا الطريق الديمقراطي من طريق الوحدة ليس يجوز ـ بحال ـ ان يتهم بانه خروج على القومية العربية أو « خيانة » أو استيراد مبادىء « غريبة » عنها .

٣ ـ استخدام العنف ضد حكم عربي متحرر : ونحن نرى ـ اذن ـ ان محاولة اسقاط حكم عربي متحرر كالحكم القائم في جمهوريتنا بطريقة العنف والتآمر ، تناقض دعوى الحرص على القومية العربية والوحدة العربية الحقيقية فضلا عن كونها نقيضا لقاعدة التضامن العربي من اساسها وخدمة صارخة مباشرة للاستعمار والصهيونية . وهذا يختلف كثيرا ـ بالبداهة ـ عن محاولة اسقاط حكم رجعي في بلد عربي آخر بالعنف أو بغيره .

من الواضح ان قيام الجمهورية العراقية الديمقراطية المتحررة قد حول العراق الى معقل حصين للعروبة المتحررة الى سند رصين للجمهورية العربية المتحدة ولحركة التحرر العربي بأسرها . فكيف لا يكون التآمر على مثل هذه الجمهورية تآمرا على مكاسب الجمهورية العربية المتحدة نفسها وعلى القومية العربية المتحررة بوجه عام ؟

ولعله ليس من قبيل المصادفة ان يواجه وفد الجمهورية العراقية لمؤتمر الادباء العرب الرابع في الكويت تلك الاستفزازات المبطنة بالهجوم والتحامل على جمهوريتنا في حين كان من الواجب على مؤتمر اهل الادب والفكر ان يكون احدى الوسائل الهادفة المثمرة لدعم التضامن العربي ووحدة الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية ، فهل كان ذلك الا حلقة من سلسلة التضليل والتآمر على جمهوريتنا الديمقراطية المتحررة ؟

٤ ـ الحياد الايجابي :

واننا نختلف مع اولئك الاخوان ايضا في تفسيرهم للحياد الايجابي الذي هو ـ في حقيقته ـ معاد للاستعمار .. فان تجارب الكفاح العربي الطويلة تثبت ان هذا الموقف يجب ان يبقى كما هو لان هذه التجارب نفسها تثبت ان الاستعمار لا يمكن ان يبدل موقفه ايضا وان كان يبدل خططه (تاكتيكه) من حين الى حين تبعا لمراحل الكفاح التحرري العربي . . ان كل ادعاء بان الاستعمار لا يبغي سوى « مكافحة

الشيوعية العربية » هو تضليل عن واقع الامر وستر لاغراض الاستعمار ·· وان كل ادعاء ايضا بان الغرب الاستعماري ولا سيما امريكا قد اقتنع بضرورة التلاقي مع القومية العربية ليس هو الا تحريف لحقيقة الكفاح العربي ولحقيقة القومية العربية ومناقض للحقائق الموضوعية الواقعية · ومن هنا نشك في مقاصد الاستعمار الاميركي خاصة اذ ينادي الآن بضرورة توثيق الروابط مع الجمهورية العربية المتحدة بالذات·· ونرى في ذلك استدراجا لابعادنا عن اصدقائنا الطبيعيين الذين كانوا سندا ثابتا لنا في جميع الشدائد والملمات ولصرف انظارنا عن اعدائنا الحقيقيين وتوجيه نيراننا الى أعداء ليسوا هم الا الاصدقاء الشرفاء ·

ان معركتنا القومية التحررية ضد الاستعمار والصهيونية ما تزال قائمة وان اجزاء كثيرة من بلداننا العربية لا تزال في ذروة هذه المعركة فمن قصر النظر ـ باقل تقدير ـ أن يدعي بعض العرب في هذه الظروف ان معركتنا هذه قد انتهت وان علينا الآن أن نتحول الى معركة « عقائدية » ضد الشيوعية · · وان ينساق هؤلاء الناس بهذا الزعم الى مهاجمة العراق « المنحرف » · · ·

وبعد هذا نحب أن نسأل اولئك الاخوان :

أولا ـ هل الالتقاء مع الاستعمار الاميركي أو الفرنسي أو الانكليزي يمكن أن يخدم القومية العربية ووحدتها ؟

ثانيا ـ هل من جامع قومي يمكن أن يجمع بين الحرص على الوحدة العربية السليمة وبين التآمر او تغذية التآمر على النظام الوطني الديموقراطي لبلد عربي متحرر معين ؟

ثالثا ـ اية اوساط هي التي ابدت ارتياحها التام من التلويح بخطر الشيوعية واعتبرت ذلك دليل « رجوع » بعض الاخوة العرب للصواب ، ولماذا ؟

رابعا ـ اية مصلحة قومية في حملة الاعتقال والمطاردة المنصبة الآن على فريق واسع من حملة الاقلام الحرة ورجال الفكر الذين اسهموا منذ سنوات طويلة في معركة الكفاح التحرري الفكري والسياسي وأناروا أمام الامة العربية الطريق الذي تحققت عليه الانتصارات القومية الكبرى ؟

اننا نوجه هذه الاسئلة ونرجو مخلصين أن تنتبه الاذهان الداعية الى حقيقة الموقف ودوافعه · وتحية خالصة صادقة الى اخواننا العرب في كل مكان ·

محمد مهدي الجواهري ، دكتور صلاح خالص « كاتب ، ومدير الشؤون الفنية العام بوزارة التربية » ، طه باقر « كاتب ، ومدير الآثار العام » ، دكتور مهدي المخزومي « كاتب وعميد كلية الآداب » ، دكتور اسماعيل مرزا « رئيس قسم القانون بكلية الحقوق » فائق حسن « فنان ، ورئيس فرع الرسم بمعهد الفنون الجميلة » ، جواد سليم « فنان ، ورئيس فرع النحت بمعهد الفنون الجميلة » ، خالد الرحال « نحات » ، خالد الدرة « صحفي » ، رفيق حلمي « كاتب » ، كمال بطي «صحفي»، فرج عبو النعمان « رسام » ، اسماعيل الشيخلي « رسام » ، محمد صالح بحر العلوم

، شاعر ، عبدالوهاب البياتي « شاعر » ، بدر شاكر السياب « شاعر » ، كاظم جواد « شاعر » ، عبدالملك نوري « كاتب قصصي » ، بلند الحيدري « شاعر » ، حسين مردان « شاعر » ، عبدالله كوران « شاعر » ، يوسف العاني « سكرتير فرقة المسرح الحديث » ، عزيز الحاج « صحفي » ، عبدالونداوي « صحفي » ، عبدالقادر اسماعيل « صحفي » ، لطفي بكر صدقي «صحفي» ، الدكتورة نزيهة الدليمي «كاتبة» عفيفة رؤوف « كاتبة » ، سلوى زكو « صحفية » ، حياة النهر « شاعرة » ، وفية أبو فلام « شاعرة » ، سافرة جميل « أديبة » ، سالمة الفخري « كاتبة » ، محمود صبري « رسام ، سكرتير جمعية الفنانين » ، خالد السلام « كاتب » ، نزيهة سليم «رسامة» صالح سلمان « صحفي » ، موسى جعفر « صحفي » ، يونس الطائي « صحفي » ، سلمان شكر « مدرس الموسيقى الشرقية بمعهد الفنون الجميلة» داود الصائغ «كاتب» فرج الله ويردي « مدرس الموسيقى بمعهد الفنون » ، شريف الشيخ « صحفي » دكتور يوسف اسماعيل « كاتب » ، عبدالله اسماعيل البستاني « كاتب ، استاذ في كلية الحقوق » ، دكتور خالد الجادر « رسام، أستاذ في كلية التحرير »، فخريةعبدالكريم « ممثلة فرقة المسرح الحديث » ، مجيد العزاوي « ممثل فرقة المسرح الحديث » ، عبدالجبار عباس « ممثل فرقة المسرح الحديث » كامل قزانجي «كاتب» ، دكتور أكرم فاضل « كاتب » ، ناهدة الرماح « ممثلة فرقة المسرح الحديث » ، دكتور سعدي ابراهيم « استاذ مساعد كلية الحقوق » ، دكتور علي سلمان العبيدي « مدرس كلية الحقوق » ، دكتور عباس الصراف « مدرس كلية الحقوق » ، دكتور صفاء الحافظ « مدرس كلية الحقوق » ، سعدون عبود العامري «مدرس كلية الحقوق» ، جاسم محمد الرجب « كاتب » ، جليل كمال الدين « كاتب » ، حميد سعيد « كاتب » ، عامر عبدالله « كاتب » ، جورج يوسف « صحفي » ، محمد حسين أبو العيس « كاتب » ، رشيد ياسين « شاعر » ، محمد شرارة « أديب » ، جيان « كاتب قصصي » ، عبدالمجيد الراضي « شاعر » ، محمد حسن الصوري « صحفي » ، الفريد سمعان « شاعر » ، الدكتور مهدي مرتضى « كاتب » ، الدكتور صالح جواد « كاتب » ، ضياء شكارة « كاتب » ، علي الشوك « كاتب » ، عبدالجبار وهبي « كاتب » ، عدنان الحافظ « كاتب » ، عزيز السباهي « رسام » ، دكتور نوري جعفر « كاتب » ، سلافة حجاوي « كاتبة » ، دكتور حمدي يونس « مدير التعليم الثانوي العام » ، بديع عمر نظمي « كاتب » ، ادكار سركيس « كاتب » ، عبدالامير درويش « كاتب » ، نجيب المانع « كاتب » ، صاحب حداد « كاتب » ، ناظم توفيق «كاتب» ، غازي الكيلاني «شاعر» نوري عبدالرزاق « كاتب » ، يوسف متي « صحفي » ، علي الشوبكي « كاتب » ، خالص عزمي « كاتب » ، رشدي العامل « شاعر وصحفي » ، اسماعيل فتاح الترك « نحات » ، نوري الراوي « رسام » ، موسى الشيخ الراضي « صحفي » .

المؤتمر السابع لجمعية الطلبة العراقيين في انكلتره يحي ثورة شعبنا الجبارة وقائدها الزعيم الجسور عبدالكريم قاسم ٠

سيادة اللواء الركن عبدالكريم قاسم رئيس وزراء الجمهورية العراقية بعد التحية ،

يشرفني ان انقل لكم نص القرار السياسي الذى أقره المؤتمر السنوى العام السابع لجمعية الطلبة العراقيين في المملكة المتحدة المنعقد في لندن بيومي ٢٨ و ٢٩ من شهر كانون الاول :

« المؤتمر السنوى السابع لجمعية الطلبة العراقيين في المملكة المتحدة المنعقد في يومي الاحد ٢٨ـ١٢ـ١٩٥٨ والاثنين ٢٩ـ١٢ـ١٩٥٨ في لندن ـ

يحيى الثورة العراقية المظفرة التي قام بها شعبنا العظيم عربا واكرادا بقيادة جيشه الباسل التي أقامت النظام الجمهوري المشرق على انقاض الحكم الملكي البائد ٠

ويعلن عن تأييده المطلق لخطوات حكومتنا ضد المؤامرات العدوانية الاستعمارية التي تحاك من الخارج والداخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ٠

ويرى في قانون الاصلاح الزراعي خطوة مباركة لرفع مستوى شعبنا على الصعيد السياسي والمعاشي ٠

المؤتمر : يحيى الاعمال الحكيمة التي تقوم بها حكومة الجمهورية في افساح الحريات للشعب لانه يجد منها رصينة في سبيل بناء نظام ديمقراطي سليم ٠

والمؤتمر يجد من نضال الفئات الوطنية المختلفة ضمن نطاق « جبهة الاتحاد الوطني » طريقة مثلى لتوحيد الشعب في سبيل المحافظة على مكاسب الثورة وانجازاتها ٠

المؤتمر يطالب بتنفيذ احكام الاعدام بحق الخونة فورا ومعاقبة اعداء شعبنا المتامرين مع الاستعمار بلا هوادة » ٠

السكرتير العام

لجمعية الطلبة العراقيين في المملكة المتحدة

منشورات الثقافة الجديدة

صدر منها :

١ ـ انطون تشيخوف (دراسة ، مسرحيات ، قصص) ٠ تعريب الدكتور شاكر خصباك
٢ ـ ابارين مهشمة (ديوان شعر) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ عبدالوهاب البياتي
٣ ـ نشيد الارض (اقاصيص) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ عبدالملك نوري
٤ ـ تشريح الماكارثية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ابراهيم كبه
٥ ـ صور شتى ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ذو النون ايوب
٦ ـ راس الشليلة (مسرحيات شعبية) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ يوسف العاني
٧ ـ اشعار في المنفى (ديوان شعر) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ عبدالوهاب البياتي
٨ ـ سياسة الاعمار الاقتصادي في العراق ٠ ٠ تاليف : الدكتور توماس بالوك
ترجمة : الدكتور محمد سلمان حسن
٩ ـ الكرد والمسالة الكردية ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ الدكتور شاكر خصباك

تحت الطبع :

١٠ ـ الجمجمة (مسرحية) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ تاليف : ناظم حكمت
ترجمة : ابراهيم وصفي رفيق
١١ ـ يا لحياة المنفى من مهنة شاقة (شعر) ٠ ٠ ٠ تاليف : ناظم حكمت
ترجمة : الدكتور اكرم فاضل
١٢ ـ نشيد الارض (اقاصيص) ـ الطبعة الثانية ٠ ٠ ٠ ٠ عبدالملك نوري
١٣ ـ اقاصيص ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ذوالنون ايوب

الثقافة الجديدة : مجلة شهرية ثقافية عامة
العنوان : شارع المتنبي ـ عمارة شاشا ـ بغداد ـ العراق ـ
تلفون : ٨٨٢٦٠
مدير الادارة : خالد السلام ٠ المحاسب : الفريد سمعان
مسجلة بدائرة البريد برقم (٧٠)
الاعلانات : الصحيفة الكاملة خمسة دنانير
نصف الصحيفة ثلاثة دنانير

طبعت بمطبعة الرابطة ـ بغداد